

# البلاغة العربية بين التقليد والتجديد

تأليف

د. عبد العزيز شرف  
أستاذ جوامع اسلامية

د. محمد عبد الحليم مفتاحي  
أستاذ زائر جامعة القاهرة

دار الحديث  
بيروت

# البلاغة العربية بين التقليد والتجديد

تأليف

د. عبد العزيز شرف  
أستاذ العلوم الإسلامية

د. محمد عبد المنعم منقاجي  
الأستاذ المساعد بجامعة القاهرة

دار الحديث  
بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الأولى

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

- ١ -

ليس من شك في أن فساد الآذواق ، وانحراف الملكات ، وتضاؤل الطبع في نفوس العرب ، بعد اتساع الفتوحات الإسلامية ، وامتزاج العرب بالشعوب المغلوبة ، وظهور أثر هذا الامتزاج في الألسنة والطباع ، ليس من شك في أن ذلك كله كان الباعث على تدوين أصول لتكون ميزانا سليما توزن به بلاغة الكلام ، ولتعمم هذه الأصول الأدباء والمتأديبين من الخطأ في الأسلوب والبيان . . . ويضاف إلى ذلك عامل آخر يعيد الأثر في تدوين البلاغة ، هو الرغبة في فهم أسرار أعجاز القرآن الكريم ، وإقامة الأدلة العلمية على هذا الإعجاز .

ولقد أخذ النقاد والأدباء والكتاب في القرن الثاني يحاولون فهم أسرار البيان ووضع أصول موجزة تعدد آراءهم في جمال الأسلوب ، واشترك في النهوض بهذا العبد منذ العصر الأموي كثيرون ، في مقدمتهم : أئمة الشعر والخطابة وفحول الكتساب والرواة وعلماء الأدب من بصريين وكوفيين وبغداديين ، ورجال النقد الذين جمع الكثير منهم مع الثقافة العربية ثقافات أخرى . ونشأت من ذلك آراء كثيرة في البيان وتحديده ، نجدها في مصادر كتب الأدب والنقد والبلاغة .

ثم ألفت في القرن الثالث كتب تجمع كثيرا من الآراء والدراسات الموجزة حول البيان وبحوثه ، ومن هذه الكتب :

أعجاز القرآن لأبي عبيدة م ٢٠٧ هـ ، والفصاحة للدينوري م ٢٨٠ هـ ، وصناعة الكلام للجاحظ ، ونظم القرآن والتشليل له أيضا ، والبلاغة وقواعد الشعر للمبرد ، والبلاغة للحراني ، وقواعد الشعر لشعلب ، والبلاغة والخطابة للمروزي ، والمطابق والمجانس لابن الصرون ، وتهذيب الفصاحة لأبي سعيد الأصفهاني ، وأعجاز القرآن في نظمه وتأليفه للواسطي المعتزلي - ٢٠٦ هـ - وصناعة البلاغة للباحث .



على أن أهم الكتب التي تناولت بعض مسائل البيان بالبحث ، أو التي ألقت فيها خاصة هي : البيان والتبيين للجاحظ ، وهو أهم ما ألف في هذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب نثراً وشعراً ، وتتعرض لتحديد البلاغة والبيان وما حولهما من آراء كانت ذاتعة في عصر الجاحظ ، وفيه كثير من بحوث البيان وأصوله .

ولا يضير الجساحظ أن كانت دراساته موجزة مفردة كما يقول أبو هلال (١) ؛ فهي على كل حال ذات أثر كبير في نشأة البيان ، وهي التي أوجت إلى كثير أن يعدوا الجاحظ الواضع الأول لعلم البيان . ومن الخطأ التهمين من أثر الجاحظ في البيان ، كما ذهب إليه بعض الباحثين .

وعلى نهج الجاحظ سار المبرد في كتابه الكامل ، ففيه آراء كثيرة وروايات مدونة تتصل بالبيان وموضوعاته . وكذلك ابن المبرق في كتابه الرسالة العذراء ، ثم ابن عبد ربه في العقد ، والحصري في زهر الآداب ، وسواهم .

ويبدأ التدوين في صميم البيان بتأليف ابن المعتز ( ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ ) كتابه « البديع » عام ٢٧٤ هـ ؛ وقد ذكر فيه مؤلفه ألوان البديع وهي : الاستعارة - التشبيه - التجنيس - المطابقة - رد العجز على الصدر - المذهب الكلامي - الالتفات - الاعتراض - الرجوع - حسن الخروج - تأكيد المدح بما يشبه الذم - تجاهل المعارف - حسن التضعيم - التعريض والكناية - الإفراط في الصفة - لزوم ما لا يلزم ، وهذه الألوان كلها هي موضوع علم البيان والبديع .

وبعد ذلك ظهر كتاب نقد الشعر لقدامة ، وقد تكلم فيه عن سر الجمال وأسباب القبح في الشعر وعناصره : اللفظ والمعنى والوزن والقافية . وعرض بسبب ذلك لكثير مما عرض له ابن المعتز ، وزاد عليه أنواعا كثيرة .

ثم ظهر نقد النثر ، وهذا الكتاب صورة قوية لفهم مؤلفه للبيان واتسام الكلام وألوان الأساليب ، مما تأثر فيه بذوقه العربي وثقافته اليونانية معا .

أما كتاب الصناعتين لأبي هلال المتوفى نحو عام ٣٩٥ هـ ، ففيه تحديد للبلاغة والبيان وأوصافهما وشرح الآراء فيها ، وذكر لألوان البديع والمسرقات الشعرية وغيرها . وقد تأثر فيه أبو هلال بالجاحظ وابن المعتز وقدامة إلى حد بعيد .

---

(١) ٦ و ٧ الصناعتين .

ومن الكتب التي تتعرض لبحوث البيان : الموازنة للآمدى ، والوساطة للجرجاني ، واعجاز القرآن للباقلاني ، والمعدة لابن رشيق وهو أكثرها اتصالاً بالبلاغة ، وسر الفصاحة لابن سنان ، وهو كتاب جليل في البيان والنقد والأدب ، مؤلفه هو الأمير ابن سنان الخفاجي الحلبي ( ٤٢٢ - ٤٦٦ هـ ) .

### - ٢ -

وجاء بعد ذلك أبو بكر عبيد القاهر الجرجاني شيخ البلاغة العربية والمتوفى عام ٤٧١ هـ . فآلف في البلاغة كتابين جليين هما :

١ - أسرار البلاغة ، وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة ، وفيه شرح للسرقات وبعض ألوان البديع .

٢ - دلائل الإعجاز ، وفيه بحوث كثيرة هي أصول علم المعاني . كما أنه تحدث فيه عن الكناية والتشثيل والمجاز والاستعارة والسرقات . وهذه البحوث كلها هي عنده علم البيان .

ولا يزال هذان الكتابان عمدة الباحثين في البيان العربي حتى الآن ، وهما أهم مصدر للسكاكي المتوفى عام ٦٢٩ هـ في كتابه المفتاح ، وأكثر آراء السكاكي ومذهبه في البيان مستمد منهما . وعلى نهج السكاكي سار الخطيب م ٧٣٩ هـ في الأناذة من عبد القاهر والانتفاع بأرائه في تقويم البيان العربي ورفع صرحه العلمي السامق ، مما ظهر أثره واضحا جليا في كتابه «الإيضاح» . وفي أول عصر النهضة بدأ الاهتمام بكتابي عبد القاهر ينمو ، والاقبال عليهما يزداد ، وذلك بفضل توجيه قائد النهضة الفكرية الحديثة الإمام محمد عبده ، وهو الذي أشرف على نشر الكتابين وقام بمراجعتهما .

### - ٣ -

هذا ويذكر ابن الأثير أن الشعر والخطابة في الأدب العربي لم يتأثرا بثقافة اليونان البيانية ، وينفي أن يكون هو قد تأثر في رسائله وكتابه بما ذكره علماء اليونان في حصر المعاني ، ويقرر أنه أطلع على ما كتبه ابن سينا في الخطابة والشعر فلم يوافق ذوقه ، وأن ما ذكره لغو لا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئا (١) .

---

(١) ٢٠ المثل السائر .

ويرى باحث محدث أنه كان للبلاغة اليونانية أثر في علم البيان العربي (١) ويرى آخر أن أرسطو المعلم الأول للمسلمين في علم البيان (٢) وأن الكتاب والمتكلمين الذين عاشوا في القرن الثاني وأثروا في البيان وتطوره جلهم أمّا (٣) ، وأن متكلمي المعتزلة ينضمّهم في الفلسفة اليونانية من مؤسسي البيان العربي ، وأنه حتى منتصف القرن الثالث لم يوجد إلا بيان عربي واحد كان لا يزال في دور الطفولة وكان خصيصاً جامعاً للروح العربي والفارسي واليوناني ، ثم وجد من ذلك الوقت بيانان : عربي يحت ويوناني يجهر بالأخذ عن أرسطو (٤) ، وحتى العربي البحت تأثر باليونان (٥) .

وترجم كتاب الخطابة لأرسطو في النصف الثاني من القرن الثالث - وجاء قدّامة فاستفاد من كتاب الخطابة وفهم منه كل ما يمكن أن ينتفع به وطبقه على الشعر العربي - وكان يجهل كتاب الشعر (٦) ، وقد درس قدّامة الفلسفة وخاصة المنطق - على أن تشريع الفلسفة للأدب في رأي الدكتور طه حسين يظهر أول مرة في « نقد الشعر » ثم في « نقد النثر » الذي هو مستمد من آراء أرسطو في الجدل والقياس والخطابة ، ثم يظهر عند عبد القاهر واضحاً جلياً .

وتقول : أن المشتغلين بالفلسفة اليونانية قد اشتبكوا مع الجماعات الأخرى في خدمة البيان ، واستعانوا بطرق اليونانيين ومناهجهم في دراسات البلاغة والتأليف فيها ، كما أن للفارس وما ترجم من قواعد بلاغتهم أثراً ما في البلاغة العربية (٧) .

وإذاً ففي البيان العربي عناصر ثلاثة : عنصر عربي ، وعنصر فارسي وعنصر يوناني ، ولا شك أن واضعي البيان قد أفادوا من هذه العناصر الثلاثة إلى حد كبير .

(١) ٢٧٧ ج ١ ضحى الإسلام .

(٢) ٣١ مقدمة نقد النثر .

(٣) ٦ المرجع .

(٤) ٨ مقدمة نقد النثر .

(٥) ص ١١ المرجع .

(٦) ص ٧ المرجع .

(٧) يقول أبو هلال : وكان عبد الحميد الكاتب قد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي الخ .

ويقول باحث محدث : يستطيع الباحث أن يقرر مطمئناً أن نشأة البلاغة كانت عربية ؛ لكنه لا يستطيع أن ينكر أن العنصر الأجنبي قد اتصل بها فأخذ يؤثر في تطورها ويبيدها عن الطريقة الأدبية العربية ويسيطر عليها ؛ حتى إذا اشتد سلطان هذا العنصر صارت فلسفة خالصة على أيدي المسكاكي وأصحابه (١) .

## - ٤ -

ويعد ، فإن العلماء يختلفون في واضح البيان العربي اختلافاً كثيراً : فبعضهم يذهب إلى أن واضعه هو الجاحظ ، الذي كان أول من اهتم به وألف في بحوثه ، وجمع آراء كثيرة فيه في كتابه « البيان والقيمين » وهو الدكتور طه حسين (٢) ومن ذهب مذهبه .

ويرى البعض أن نشأة البلاغة قديمة وأنها سبقت القرآن وتطورت بعده (٣) . ولا شك أن صاحب هذا الرأي لا يفرق بين البلاغة كفن وبينها كعلم ؛ فلا شك أن الأدب وخواصه الفنية موجودان من قديم ، وأما معرفة هذه الخصائص ودراستها على أنها علم وقواعد فلم توجد إلا بعد القرن الثاني ، « فعلم البلاغة إسلامي لا عهد للجاهليين به » (٤) ، « والبلاغة باعتبارها علماً مدروساً ليست من علوم العصر الجاهلي إنما هي دراسة متأخرة في نشأتها » (٥) .

ويذهب باحث محدث إلى أن سيبويه إمام النحو العربي المتوفى عام ١٨٩ هـ هو الذي بدأ بوضع علم البيان والبلاغة (٦) .

- (١) ص ٥٢ البلاغة العربية في دور نشأتها - للدكتور سعيد نوفل ط ١٩٤٨ - مكتبة النهضة .  
 (٢) راجع ٣ و ٣٠ و ٣١ مقدمة نقد النثر للدكتور طه حسين مطبع لجنة التأليف ، و ١٧٠ البلاغة العربية في دور نشأتها .  
 (٣) ١/٤٨ النثر الفني .  
 (٤) ٢٦ تاريخ البلاغة العربية - أحمد شعراوي - مخطوط بمكتبة كلية اللغة .  
 (٥) ٤ و ٥ مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر ١٩٤٥ من مقال « خواطر في الأدب العربي » للأستاذ جب .  
 (٦) محاضرة القاها الأستاذ أحمد مصطفى المراغي عام ١٩٤٢ .

ويذهب كثيرون الى أن واضع البيان العربى هو عيد القاهر الجرجانى المتوفى عام ٤٧١ هـ ، ومن هؤلاء صاحب الطراز : على بن حمزة العلوى ، قال فى مقدمة كتابه ما نصه :

وأول من أسس من هذا الفن قواعده ، وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ورتب أفانيته : الشيخ العالم التحرير ، علم المحققين ، عيد القاهر الجرجانى .

ويذهب آخرون الى أنه السكاكى ، وأنه هو الذى استبد بشرف وضع علم البيان ؛ ويخطئه كثيرون حين ينسبون القول بذلك الى ابن خلدون ، لأن ابن خلدون قال فى مقدمته : « وأطلق على الثلاثة ، عند المحدثين ، اسم البيان وهو اسم للصنف الثانى ، لأن الأقدمين أول من تكلموا فيه ، ثم تلاهت مسائل الفن واحدة بعد أخرى ، وكتب فيها جعفر بن يعقوب والجاحظ وقدامة وأمثالهم املاءات غير وافية ؛ ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً ، الى أن مخض السكاكى زبدته ، وهذب مسائله ، ورتب أبوابه ، على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب ؛ وألف كتابه المفتاح (١) ، فأبى خلدون أنسا معنى أن السكاكى هو الذى هذب مسائل البيان ورتب أبوابه ، مع اعترافه بأن البحث البيانى قديم ، والتأليف فى مسائله سابق على عصر السكاكى بقرون ؛ فهو يعترف للسكاكى بميزة التهذيب والترتيب لمسائل البيان العربى ، ولم يعترف بأنه هو واضع البيان ؛ وفرق كبير بين الرايين عند النظر .

وفى رأينا أن عيد الله بن المعتز الشاعر العبّاسى المشهور المتوفى عام ٢٩٦ هـ هو أول مؤلف فى البيان والبلاغة ، وذلك بتأليفه كتابه « البديع » ، الذى هو أول عرض لموضوعات علمى البيان والبديع ، بنظام سهل جميل مع الشواهد والأمثلة ، أما الجاحظ فلم يكن له هذا الشرف ، لأن البيان والبلاغة عنده أقوال مفارقة ، وكلمات مروية ، وآراء عامة ؛ وأما عيد القاهر فقد أتى بعد كثير من العلماء الذين أفاد منهم ، وقبس من دراستهم ؛ وأما السكاكى فقد نهج نهج عيد القاهر مع شيء من التفلسف وعمق الإفادة من المنطق فى دراسة البيان ، ومع التحديد والتقسيم والتبويب والتمييز بين بحوث البيان والمعانى .

أما أن ابن المعتز أول مؤلف فى علم البديع فيدهى لا يحتاج الى جدل ، وأما أنه أول مؤلف فى علم البيان ، فلأنه بحث التشبيه والاستعارة والكناية فى كتابه ، وإن كان ذلك بوجه أجمالى بسيط ، وأما علم المعانى فليس لابن المعتز ولا لكتابه أثر فيه . . . ونحن كذلك لا نعتقد وضع علم المعانى الى عيد القاهر

لأن دراسته له قد سبقتها دراسات كثيرة من أهمها دراسة : مؤلف نقد النثر ، والأمدى فى الموازنة ، وقدامة فى نقد الشعر ، والباقلانى فى أعجاز القرآن ، وابن سنان فى سر القصيدة ، وابن رشيق فى العمدة ١٠ وإذا كانت مباحث علم المعانى عند هؤلاء غير مميزة ، فنستطيع أن نقول أنها كذلك عند عبدالقاهر ، وإن كان أكثر إحاطة وتفصيلا ونقدا وتحليلا : وهى - ومثلها دراسات اليبسان والبيديع لم ترتب وترضع فى الصيغة الأخيرة لها إلا بجهود السكاكى الذى فهم عيد القاهر فهما بعيدا ، ولقط منه كل شاردة ، وأخذ عنه كل أفكاره ، بل أخذ بعض الآراء التى أبطلها عبد القاهر فجعلها رأيا له ، مع الترتيب والتبويب والتنسيق .

والباحثون يعترفون بأثر ابن المعتز وكتابيه فى دراسات البلاغة والبيان : يقول المستشرق كراتشكوفسكى السذى نشر البيديع لأول مرة فى أوروبا ، فى مقدمته التى كتبها بالانجليزية للكتاب : مصورا أثره فى تاريخ علم البيديع : إن لهذا الكتاب أثرا فعلا فى تطور هذا الفرع من المعرفة الذى ألف فيه ، وقل من الكتب فى موضعه ما يدانيه تأثيرا فى الأجيال التى تلت ، بل تدرك أن يجسد الإنسان فى كتاب مسألة أساسية ليس لها أصل فى كتاب ابن المعتز الذى نهج نهجا جديدا .

ويقول باحث محدث : قد أثر الكتاب فى تاريخ علوم البلاغة كلها فقد كان البيديع لذلك العصر يشمل المعروف من ألوان البلاغة كلها ، وقصد تحدث ابن المعتز فيه عن الاستعارة والتشبيه والكتابة ، ولا نستطيع الحكم على مقدار ابتكاره فى هذه الفنون والمصاحبات . لكن التشبيه والاستعارة والتعريض والكتابة ، قد سبق بها ، والمذهب الكلامى منقول عن الجاحظ ، ومهما يكن من شيء فلو لم يكن له من جهد سوى التنظيم والجمع لكفاء .

وعلى أى حال فذلك لا يقضى من شرف عبد القاهر ومنزله فى البيان العربى : فأننا لا نشك فى أن عبد القاهر أسس مدرسة بيانية ، قوامها الذوق وعمق النقد والفهم والتحليل للأدب ، والموازنة بين شتى حاضراته ، وهو الذى عرض لمسائل البيان بالتفصيل والأطناب والتحليل والتعميل ، وأفاد منه جميع من أتى بعده من رجال البيان والبلاغة .

يقول كاتب (١) : استقر بين العلماء والأدباء ، ليس ابن خلدون ، أن الإمام عبد القاهر الجرجاني هو مؤسس البلاغة العربية ، وأول من أقام

---

(١) هو الأستاذ رياض هلال من كلمة نشرها بمجلة الأزهر .



عندها ، ووضع لها الصوى والاعلام ، وأخذ بضربها ، وأتاف بها على اليفاع  
وسن لها رسوما وقوانين تخرج عليها ، بأسلوب لا يقوم بفصاحته لسان ، قال  
السيد يحيى بن حمزة الحسينى صاحب « الطراز فى علوم حقائق الاعجاز »  
فى فاتحة كتابه هذا ، وهو من هو علما وفضلا : « وأول من أسس من هذا  
الفن قواعده ، وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ورتب آفانيه ، الشيخ العالم  
الضهير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني » . فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد ،  
وهو من صور المشكلات بالتصوير المشيد ، وفتح أزاهره من اكملها ، وفتح  
أزاهره بعد استغلقها واستبهاها ، وله من المصنفات فيه كتابان : أحدهما لقبه  
بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما مع  
شغفى بحبيها ، وشدة إعجابى بهما ، إلا ما نقله العلماء فى تعاليقهم  
منهما « ٠٠ » وغير صاحب الطراز ممن يمتدنون أن عبد القاهر هو مؤسس فن  
البلاغة كثير ، وإن لهم من كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، لدلائل  
دليل ، وحجة ليس بعدها من حجة ، تصحح ما ذهبوا اليه ، وتقتنع كل جاحد  
مباهت ، ولكننا نسائلهم : هل ابتكر عبد القاهر كل هذه المباحث ابتكارا ،  
وارتجلا ارتجالا ، فهو ابن جدتها وأبو عذرها ؟<sup>٩</sup> وأنا لنعفيهم من الاجابة  
فنقول : أن عبد القاهر وجد لمن سبقه من العلماء والأدباء بحوثا وآراء فى  
البيان العربى متفرقات فى أثناء كتب النقد والأدب ، فعمد اليها ولم شملها وجمع  
شئاتها ، وضم الالف الى الياء ، والنسيب الى نسيبه ، فكان له من كل ذلك  
مجموعة ضمناها كتابيه : أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، وهو تارة يقر  
بالفضل لأربابه فيصرح باسمائهم ، وتارة يغلهم ويضرب عنهم صفحا ، فيظن  
بعض الناس أن المبحث من بنات أفكاره وكد ذهنه وعرق جبينه ، ولو علموا  
لرجعوا كل شيء الى أربابه ، وأقروا الأمر فى نصابه « . ولسنا ننكر أن  
عبد القاهر قد ابتكر فى البيان العربى وارتجل فى إبحائه ، كما لا نجد أنه  
فصل بعض ما أجمله العلماء قبله ، وشرح بعض ما قالوه ، ونوع الأمثلة ،  
وأتى بأعداد من الشعر والنثر متوافرة ؛ ولكننا ننكر أن يكون هو مؤسس فن  
البلاغة برغم ما يقوله صاحب الطراز ؛ وعبد القاهر نفسه يقر بأنه أقام ممن  
تقدمه ممن كتبوا فى البلاغة والفصاحة ، وينعى على الناس عدم تدبرهم لكلام  
العلماء وانعامهم النظر فيه ، حتى أدخلوا الضيم على علم الفصاحة والبلاغة  
فيقول فى « دلائل الاعجاز » (١) : اعلم أنك لا ترى فى الدنيا علما قد جرى الأمر  
فيه بديئا وأخيرا على ما جرى عليه فى علم الفصاحة والبلاغة ، أما البدئ فهو  
أنك لا ترى نوعا من أنواع العلوم إلا وإذا تأملت كلام الأولين الذين علموا  
الناس ، وجدت العبارة فيه أكثر من الإشارة والتصريح أغلب من التلويح ،

والأمر في علم الفصاحة بالضد من هذا ، فأنك إذا قرأت ما قاله العلماء فيه وجدت جله أو كله رمزاً ووحياً ، وكناية وتمويهاً ، وإيماء إلى الغرض من وجه لا يقطن له إلا من غفلل الفكر وادق النظر ، ومن يرجع من طبعه إلى المعية يقوى معها على الفاضل ويصل بها إلى الخفى ، حتى كان يسلاً حراماً أن تتجلى معانيهم سافرة الأوجه لا نقاب لها ، وبإدنية الصفحة لا حجاب دونها .<sup>١٠</sup> وأما الأخير فهو أننا لم نر العقلاء قد رضوا من أنفسهم في شيء من العلوم أن يحفظوا كلاماً للوالدين ويتدارسوه ويكلم به بعضهم بعضاً من غير أن يعرفوا له معنى ويقفوا منه على غرض صحيح ، ويكون عندهم أن يسألوا عنه بيان له وتفسير ، إلا علم الفصاحة ، فأنك ترى طبقات من الناس يتداولون فيما بينهم الفاظاً للمقدماء ، وعبارات من غير أن يعرفوا لها معنى أصلاً ، أو يستطعموا أن يسألوا عنها أن يذكرها لها تفسيراً يصح ،<sup>١١</sup> وسنرى أن عبد القاهر قد اسرف في دعواه أن العلماء لم يتجاوزوا التلميح إلى التصريح والاشارة إلى العبارة في مسائل البلاغة والفصاحة ؛ وأنه في كثير من المباحث لم يزد على ما قالوه إلا في الأمثلة والنشاهد .

#### - ٥ -

وقد عرض الأستاذ أحمد المراغى في كتابه « بحوث وآراء في البلاغة » لعبد القاهر : فذكر رأى عبد القاهر في الفصاحة والبلاغة وهل يرجعان إلى اللفظ أو إلى المعنى (١) ، ثم ذكر أثر عبد القاهر في بناء البلاغة العربية وقال : وفى الحق أن كتابيه يعدان أول المؤلفات العلمية في هذه الفنون ، بما اشتملا عليه من التحقيق العلمى للمسائل التى تناولها فى عرض كلامه ، وبما سلك فيهما من نهج أدبى مقرون بتدقيق منطقى بديع : مع بقاء الأسلوب الأدبى ظاهراً لم تشبه هجته ، فلا غرو أن قيل أن أول من وضع هذه الفنون عبد القاهر الجرجاني . كما أن من الحق أن نقول أيضاً : أن عبد القاهر بوضعه هذين الكتابين أوجد علوم البلاغة كاملة فكل من جاء بعده قيس من نور علمه ، وما لم يتعرض له من مسائلها وزانوه فيها بعده ، فهو قشور ، تركها لا يضير الأدب (٢) .

(١) ص ٦٠ - ٢٨ المرجع ط ١٩٤٠ .

(٢) ص ٥٨ المرجع ، ويقول في موضع آخر عن عبد القاهر : « أحيا موات هذا العلم ، وأنشأ فيه نهضة جديدة ، واستعار شيئاً من التحقيق العلمى والبحث الفلسفى لإثبات مسائل هذا العلم ، بأسراف حيناً واقتصاد حيناً آخر ، مع بقاء الصبغة الأدبية سليمة لا يعورها وهن ولا ضعف ( ص ٦٠ المرجع ) .



وقال في موضع آخر : وفي الحق أن هذا البيان كان وليد احتكاك العرب  
والمجم الذين حدقوا لغاتهم واللغة العربية ، ونتاجا لازدواج هاتيك اللغات  
بعضها ببعض . ولم يكن بالعربي البحث الذي انتجته القرائح العربية  
الخالصة ، فتاريخ الأدب حافل بأسماء الأدباء والكتاب من الموالي الذين كان  
يشار إليهم بالبنان في رقي الأدب » (١) .

ويقول عن كتابي عبد القاهر : أسلوبه فيهما يجمع بين الطريقتين : ففيه  
قوة الجدل المنطقي ، وله المعرفة بأصطلح الفلاسفة والمتكلمين ، إلى الروح  
الأدبي والقدرة على النقد وصنعة الكلام ، إلا أن أسلوبه في دلائل الإعجاز  
أميل إلى طريقة المتكلمين ، بينما تراه في « أسرار البلاغة » عربي الأسلوب ،  
وفي تعبيره رونق وطلاوة ، مع سهولة وجزالة ، وعذوبة وسلاسة إلى قوة  
الشكينة في الحجاج ، وتعام الآلة في الجدل ، مع ميل إلى الأسلوب والبسط  
فيما يريد إثباته من القضايا ، وإحالة للمخاطب على الذوق وإدراكه الجمال  
الفني بنفسه ، ويوصل إلى ما قد وصل إلى إدراكه بعد طول البحث  
والاختيار » (٢) .

ويقول الدكتور طه حسين في مقدمة كتاب نقد النثر ما نصه : لم تلق  
« خطابة » ابن سينا ولا « شعره » - وهما شرح وتحليل لفلسفة أرسطو ولأرائه  
في الخطابة والشعر ، وقد جعلها ابن سينا من فنون كتابه « الشفاء » - قبولا  
لدى الفلاسفة الذين جاءوا من بعده » .

على أن مجهود ابن سينا لم يكن ليذهب عبثا ، لقد عرب كتاب « الخطابة »  
- لأرسطو - إذا صح هذا التعبير ، وجعله في متناول الفكر العربي ، وبذلك  
هيا أسباب التوفيق بين البيانيين : العربي ، واليوناني - اللذين عاشا متجاورين  
دون أن يتلاقيا ويتألما .

وقد تحقق هذا التوفيق في القرن الخامس على يد عبد القاهر  
البرجاني (٣) :

صنف عبد القاهر كتابين يعتبران بحق أنفس ما كتب في البيان العربي  
هما : أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز .

(١) ٥٥ المرجع .

(٢) ص ١٢٩ و ١٣٠ المرجع .

(٣) ص ٢٨ مقدمة نقد النثر للدكتور طه حسين طبعة سنة ١٩٢٩  
بالقاهرة .

فعمدماً نقرأ أولهما تكاد تجزم بأن المؤلف قرأ الفصل الذى عقده ابن سينا للعبارة ، وأنه فكر فيه كثيراً ، وحاول أن يدرسه دراسة نقصد وتمحيص ، والواقع أنه درس ، الحقيقة « و » المجاز ، فتبين له أن تصور القدماء للمجاز مضطرب غير مستقيم ، فابتدأ يوضح مبهمه ، ويجلو غامضه ؛ وقسم المجاز الى نوعين : لغوى وعلمى ؛ ثم قسم اللغوى الى قسمين : احدهما يقوم على التشبيه وأما الآخر فعبارة عن كل لفظ استعمل مكان لفظ آخر لصلة بينهما . . . وبعد فنتحن نعرف مجاز أرسطو الذى يجيز اطلاق اسم الجنس على النوع ، واسم النوع على الجنس ، واسم النوع على نوع آخر ؛ فمجاز أرسطو هذا هو ما يسميه عبد القاهر « مجازاً مرسلًا » ، وأما المجاز الذى يقوم على التشبيه الذى يسميه أرسطو « صورة » فيسميه عبد القاهر « استعارة » ، وهو لفظ كان القدماء يطلقونه على المجاز بكافة أنواعه . ولكى يقرر عبد القاهر مذهبه هذا ، فإنه يتعمق فى دراسة المجاز والتشبيه تعمقا لم يسبق اليه ، ولكن من غير أن يخرج بحال من الحدود التى رسمها أرسطو . أما المجاز العلمى فهو من ابتكار عبد القاهر ، ويصح أن نسميه « المجاز الكلامى » ، لأنك اذا قلت مع عبد القاهر « أثبت الربيع البقل » فهذا مجاز ، لأن الربيع لا ينبت البقل ، ولكن الذى ينبت هو الله تعالى . وينفق عبد القاهر جهدا غير قليل فى الدفاع عن مجازة هذا وفى تمييزه عن المجاز المعروف . ولكن لا شك أن الأساس الذى يبنى عليه هذا التمييز محل للتظن (١) .

أما كتاب « دلائل الاعجاز » فيحاول فيه عبسد القاهر أن يثبت اعجاز القرآن ، وهو أمر جعله علماء الكلام الغرض من البيان من عهد بعيد ، ولكى يصل عبد القاهر الى هذه الغاية أيد بحثه بنقض نظريتين قديميتين :

أحدهما : تجعل جمال الكلام فى اللفظ .

والأخرى : تجعله فى المعنى .

ثم ينتهى به البحث الى أن الجمال ليس فى اللفظ ولا فى المعنى ، وإنما هو فى نظم الكلام ، أى فى الأسلوب ، ثم يحاول بعد ذلك أن يبين فيم يكون جمال الأسلوب وروغته ، فيدرس الجملة بالتفصيل : منفردة ومتصلة ؛ ويضطره البحث الى الكلام على أهمية حروف العطف ، وقيمة الايجاز والاطنساب ، وضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وبذلك يضع أساس « علم المعانى » المشهور .

(١) ص ٢٩ المرجع السابق .

ولا يسع من يقرأ « دلائل الإعجاز » إلا أن يعترف بما أنفق عبد القاهر من جهد صادق خصب في التأليف بين قواعد النحر العربي وبين آراء أرسطو العامة في الجملة ، والأسلوب ، والفصول . وقد وفق عبد القاهر فيما حاول توفيقاً يدعو إلى الإعجاب . وإذا كان الجاحظ هو واضع أساس البيان العربي حقاً ، فعميد القاهر هو الذي رفع قواعده وأحكم بناءه (١) .

### البلاغة العربية في العصر الحديث :

تعددت المذاهب الأدبية في العصر الحديث ، وتعددت معها في اندهان المعاصرين المفاهيم اللياقية ، ودعا دعوات كثيرة حول البلاغة ، دعا البعض إلى الاهتمام بالمضمون ، وإلى مذهب الالتزام في الأدب ، ودعا آخرون إلى العناية بالشكل والصورة ، ودعا الزيات إلى التوازن بين هذين العنصرين (٢) ، ودعا سلامة موسى في كتابه « البلاغة المصرية » إلى العامة وإلى تيد البلاغة القديمة التي سماها بلاغة الانفعال والعاطفة ، داعياً إلى ما سماه بلاغة المنطق ، أي أن يكون المنطق لا اللغة أساس البلاغة .

وآلف الزيات كتابه « دفاع عن البلاغة » . رأى فيه أن البلاغة العربية تلاقى ثلاث صعوبات هي : الصحافة ، والسرعة ، والتطفل أي تطفل بعض ذوي الجاه على الأدب ، وحدد البلاغة بأنها ملكة يؤثر بها صاحبها في عقول الناس وقلوبهم من طريق الكتابة أو الكلام ، ورأى أن البلاغة لا تفصل بين العقل ولا بين الفكرة والكلمة ، ولا بين الموضوع والشكل ، ورأى أن الفكرة والصورة والأسلوب كل لا يتجزأ ، وأن الأسلوب مركب من عناصر هي الأفكار والصور والمواظف ثم الألفاظ المركبة والمحسنات المختلفة ، وأشار إلى قضية اللفظ والمعنى ، وذهب مذهب أنصار الصياغة ؛ ورجع صفات الأسلوب إلى ثلاثة : الأصالة ، الوجازة ، التلاؤم أو الموسيقية .

وآلف الأستاذ محمد عرفة كتابه « مشكلة اللغة العربية » ، حيث رأى فيه أن نعمل على أن تكون العربية هي لغة البيت والمدرسة والشارع عن طريق بحث ملكتها في نفس التلاميذ الصغار بالحفظ للنصوص الأدبية المختصرة ، لا بالاعتماد على القواعد الجافة .

وآلف أحمد الشايب كتابه الأسلوب الذي دعا فيه إلى العناية بدراسة الأسلوب وخصائصه ، ودراسات الأسلوب تبدأ بدراسة الكلمة والصورة

(١) ص ٣٠ من المرجع نفسه .

(٢) ٤ : ٤٢ وحى الرسالة .

والجملة والفقرة والمبارة ، وعلم المعانى عنده يدخل فى بحث الجملة ، وعلم البيان وأغلب علم البديع يدخل فى باب الصورة - كما دعا الى دراسة الفنون الادبية من قصة ومقالة ووصف ورسالة ومنظر وتاريخ ، وجعل صفات الأسلوب هى : الوضوح ، والقوة والجمال ، وجاراه قليلا طه حسين وغيره فى كتابهم المدرسى البلاغة الواضحة .

وجاء أمين الخولى فآلف كتابه « فن القول » محاولة منه لمنهج بلاغى جديد ، وفن القول عنده هو البلاغة بلغة العلماء القدامى والمحدثين ، وفى هذا الكتاب يدعو الى دراسة فن القول وعلاقته بعلوم الفلسفة والجمال والنفس ، وتبدأ الدراسة بالكلمة ، ثم الجملة ، ثم الفقرة ، ثم تدرس صور التعبير التى قسمها قسمين :

١ - صور الايضاح المعلن وهى : التشبيه - الاستمارة - المجاز - الكناية - التجريد - القلب - أسلوب الحكيم - المبالغة - تأكيد المدح - التدبيح - التهكم - التجاهل - الفكاهة .

٢ - صور التعبير المظلمة من رمز وإيماء والغماز وتورية واستخدام واتساع .

ثم تدرس البلاغة فى القطعة الأدبية ، ثم البلاغة فى الأساليب الفنية فى الأدب .

وقد سار الأزهر على منهج البلاغة القديمة ، وعلى هذا المنهج ألفت كتب كثيرة فى البلاغة ، منها : البلاغة الواضحة للجارم ، والبلاغة العربية لخفاجى ، والبلاغة لعونى ، والبلاغة للمراعى ، وغيرها .

وقد حاول الامام محمد عبده تجديد دراسات البلاغة من قبل فى الأزهر بتدريسه لكتابى عبد القاهر ( الأسرار ، والدلائل ) .

نحو بلاغة جسيمة :

وحين تقدم هذا الكتاب ، فأننا نريد أن ندرس مواضع الاتصال والانفصال فى البلاغة العربية بين القديم والجديد . ذلك أن البلاغة الجديدة ترتبط بخطى التقدم الانسانى السريعة ، والتحكم فى الطاقات الهائلة . ولذلك فإن هذه البلاغة الجديدة تعبر عن حاجة العصر الى لغة اتصالية جديدة .

وليست البلاغة الجديدة المنشودة منفصلة عن النظريات القديمة ، كما أنها ليست عرضا لتاريخ العلوم التطبيقية على المجال الانساني ، ولكنها استجابة شرعية ، لما افادته اللغة الفنية من طاقات جديدة ، ولعل برنارد شو « وهو قرين ويلز » في ادب الاجيال الماضية ، من الرواد الذين فطنوا ايضا الى وجوب البحث في التراكيب اللغوية ، لكي يساير الهجاء مقتضيات الحياة . ولكن يصور في الوقت نفسه الواقع اللغوي ، الذي لا تحكيه الحروف الهجائية حكاية تامة ، فالاختلاف بين الجماعات والطبقات ، على المخارج والاصوات ، شائع ويدهي ولا بد من الوصول الى رموز ، في حروف الطباعة والآلات الكاتبة ، تصور ذلك الواقع اللغوي ولا بد في الوقت نفسه من الانتكاء على الاختزال ، افادة من الوقت المضائع سدى في الاملاء - والتدوين والطباعة - وقطن شو (١) ايضا الى ان رجال الأعمال مالوا عن الاوامر المدونة الى الاوامر المكبرة صوتيا ، او المسجلة بواقعه الصوتي وكان يمس ما استشعرت الحياة انها في حاجة اليه ، وهو بلاغة جديدة .

وقد اهتم عصرنا أخيرا بهذه البلاغة الجديدة ودراسة اللغة ذاتها وتأثيرها في تنظيم حياتنا اليومية ، بحيث ان الأمر - كما يقول ماكلوهان - ينتهي بالمجتمع الى ان يشبه صورة أو صدى لغويا لقواعد اللغة - ويقول : ان هذه الحقيقة اقلق الحزب الشيوعي الروسي قلقا شديدا - فبالنسبة لجدلية ماركسية مرتبطة بفكرة ان التكنولوجيا الصناعية للقرن التاسع عشر هي أساس زوال الطبقات - لا شيء يبدو أكثر هدفا من الفكرة التي تقول بان الوسائل اللغوية تستطيع تشكيل التطور الاجتماعي ، على الأقل بقدر ما تفعل وسائل الانتاج .

ويذهب الى ان الأشخاص الذين يديرون الوسائل لحساب أصحابها ، لهم ميل غريب للاهتمام ببرنامج أو محتوى الراديو أو الصحف أو الأفلام . أما أصحاب الوسائل فينصب اهتمامهم على الوسائل في ذاتها ، انهم يهتمون على الأخص « برغبات الجمهور » وهي صيغة عامة غامضة للغاية . ان أصحاب الوسائل يدركون الوسائل كقوة ، ويعلمون ان هذه القوة لا تهتم « بالمضمون » او الوسيلة داخل الوسيلة .

وعندما بدأت الصحافة تدق على كل أوتار اهتمام الناس باترايهم بعد ان أدى البرق ( التلغراف ) الى اعادة بنيتها ، قضت الجريدة على المسرح تماما . كما فعل التليفزيون بعد ذلك نفس الشيء مع السينما والنوادي الليلية . وقد

(١) دكتور عبد الحميد يونس : « اللغة الفنية » - عالم الفكر - الكويت .



كان ليرنارد شو من النكاه وقوة التخيل ما مكنته من المقاومة فوضع الصحافة على خشبة المسرح \* واستخدم في المسرح المبادلات العريضة على الصحف وأسلوبها في الاهتمام بكل ما هو انساني ، على نحو ما فعل ديكنز في الرواية . اما السينما فقد حلت محل الرواية والصحافة والمسرح في وقت معا \* ثم جاء التلفزيون وأعاد المسرح الشامل الى الجمهور .

ان الاحساس بالحاجة الى لغة فنية جديدة أو بلاغة جديدة قد اشتد بعد ظهور السينما الصامتة ، إذ كان من المفروض أن يتحول المسعوع الى منظور ، وأن يستغنى المتذوق عن الكلام ، بما يشاهده من الاشارات والحركات من الصور ومن الرموز \* ولقد حاول هذا الفن الصامت أن يوصل البلاغة الجديدة الخاصة به ، فلكل قسمة من القسمات معنى ، ولكل ايماء دلالة ، ومع ذلك فإن سياق الحركات وعدم القدرة على معاودة التأمل في الصورة المتحركة ، قد جعل بلاغة السينما الصامتة قاصرة عن الوفاء بحاجات المشاهد ، الى استخلاص المعاني بتفاصيلها ، والمشاعر بأبعادها ، ومن أجل ذلك اقترن التصوير بالصورة المتحركة \* اقترن بها شرحا وتوضيحا واعلاما \* ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد أحس القوامون على الصورة المتحركة الصامتة ، بأن جماهير المشاهدين لا يقتنعون بالمنظور على هذا النحو ، وكان من الضروري أن تتوصل البلاغة الجديدة المنظورة بالكتابة ، فسجل الحوار لكي يستكمل المتذوق متمته من هذه البلاغة الجديدة (١) .

ذلك أن الاحساس يوطاة الصورة الصامتة واقترائها بالكلام المدون ، قد خف ، عندما تم التزاوج بين الصورة والصوت ، وظهرت السينما الناطقة ، وتحول تسجيل الصورة من الأشكال والرموز والحركات والامارات ، الدالة بذاتها على المشاعر والمواقف ، الى اتجاه شبه واقعي ، لأن الفن الجديد يتوصل بالصوت والصورة معا ، ولم يعد المتذوق في حاجة الى القراءة ببحره ، ولم يعد كذلك مطالبا بينه وبين نفسه بتفسير لتفاصيل الحركة وأصبح مثله مثل المشاهد مسرحية ، بيد أن السينما الناطقة لم تستكمل مقومات بلاغتها الجديدة في المراحل الأولى ، لأنها لم تتخلص تماما من أسلوب الصورة الصامتة ، ولأنها استعمرت بلا روية ، أسلوب التمثيل المسرحي ، في الحركة والحوار ، وفي جمود المنظر وثبات المشهد أمام النظارة ، كما أن المرحلة الأولى من البلاغة السينمائية – إذا صح هذا الوصف – حاولت أن تقترب وسيلة العرض للأغاني وبعض الصور الطبيعية ، فيما يشبه « الألبوم » (٢) ، أي أنها كانت مستقلة أو شبه مستقلة ، واتخذت مكانا من السياق برابطة غير عضوية .

---

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ٥٨ .

ويبدو أن الباحث على اتخاذ هذه الطريقة هو الافادة المزدوجة من العمل الفني ، فهو يوحى بالتكامل في سياق الفيلم ، ويمكن في الوقت نفسه ان ينتزع ، لكي يثوقه جمهور آخر ، لا علاقة له بالقصة السينمائية ، ومن المهم ان يسجل هنا ان البلاغة الجديدة في تلك المرحلة ، لم تكن قد اكتشفت بيد ان العمل السينمائي يمكن ان يصبح فنا مستكملا لمقومات اللغة الفنية ، وان « السيناريو » عبارة عن كائن عضوي حي ، له وحدته ومناهج نموه وله مساره المتكامل ، الذي لا يعرف الاجتزاء .

ويذهب ماكلوهان الى ان الوسائل ، كامتداد لحواسنا ، تقيم علاقات جديدة ليس فقط بين حواسنا ، ولكن فيما بينها هي أيضا ، عندما يؤثر بعضها في بعض . فالجنس الاداعي المسموع غير شكل نشرة الاخبار بنفس الطريقة التي غير بها شكل الصورة في الجنس السينمائي الناطق . كما ان الجنس التلفزيوني أحدث تغييرات جذرية في برامج الجنس الاداعي المسموع ، وفي شكل الرواية التسجيلية أو الوصفية .

والشعراء والرسمون هم الذين يستجيبون استجابة فورية لوسيلة جديدة كالراديو والتلفزيون ، فالراديو والجرامفون والشريط المسجل أعادت لنا صوت الشاعر باعتباره بعدا هاما في التجربة الشعرية . وعادت الكلمات مرة أخرى لكي تصبح نوعا من الرسم بالاشياء . ولكن التلفزيون بما يتطلبه من مشاركة عميقة ، أدى بالشعراء الشباب فجأة الى ان يقدموا اشعارهم في المقاهي والحدائق العامة وفي اى مكان . فظهر التلفزيون جعلهم يحسون فجأة بالرغبة في الاتصال الشخصي بجمهورهم .

ويرى ماكلوهان كذلك ان الفنانين اليوم في مقدورهم تصنيف وجبتهم من الوسائل التي يصنفون بها برنامج مطالعاتهم ، فالشاعر يتيس Yeats استغل الى ابعد حد ثقافة الفلاحين الشفوية في تهيئة مؤثراته الادبية . والاستخدام الذكي لاشكال السينما وموسيقى الجاز ، اتاح لاليوت Eliot في وقت مبكر ، ان يؤثر تأثيرا قويا . فقصيدته « أغنية حب لألفريد بروفر » تعتمد معظم قوتها من داخل شكل السينما ولغة الجاز في بعضها البعض . وقد وصل هذا المزج الى قمة التأثير في قصيدته « الأرض البياض » ولم يقتصر في قصيدة بروفر على استخدام الشكل السينمائي الجراف ، ولكنه استخدم الخط الاساسي لأفلام شارلى شابلن ، على نحو ما فعل جيمس جويس James Joyce في « أوليس » فقصيدته بلوم Bloom نقلها جويس نقلا صريحا من شابلن ( وقد سماه « شورفى شابلن » في قصيدته صحوة الفينيجان ، أو « البقطة القبلية » وشابلن بدوره — مثله مثل شويان الذي وافق البياتو على أسلوب اللياليه — قد اكتشف مزيجا رائعا عن اللياليه والسينما حيث يتناوب خطر البطء والنشوة

البالوفية - نسبة الى راتصة الباليه المشهورة « بالولفا » - فقد وقع لهن خطوات الباليه التقليدية وبين الايام السينمائي حيث تتلاقى في نسب عابدة ، السخرية والفنائية على نحو ما نراه أيضا في « بروفورك » و « أوليس » والفنانين في مختلف المجالات هم دائما أول من يكتشف كي فيمكن لوسيلة ما ان تستخدم أو تطلق طاقة وسيلة أخرى ، وبشكل أبسط هي الطريقة التي استخدمها الممثل الفرنسي شارل بوايه ليعيد مذبحة القرنى الأمريكى .

فالكتاب المطبوع شجع الفنانين على إعادة كل أشكال التعبير ما أمكن الى الحد الوصفى والروائى الأرحد للكلمة المطبوعة . وأن ظهور وسائل الاتصال الكهربائية قد حرر الفن على الفور من هذا القيد خالقا عوالم بول كلوى Klee وبيكاسو ، وبراك Braque ، وايزنشتين Eisenstein ولخوآن ماركس وجيمس جويس .

وعندما طبقت طريقة السيناريو ، أو التقارير المصورة ، على المقال الافتتاحى اكتشفت صحافة المجلات شكلا هجينا أنهى عصر الخبر . . فالتجهين ، أو التقاء وسيلتى اتصال - كما يذهب الى ذلك ماكلوهان - هو لحظة صدق واكتشاف تؤدى الى أشكال جديدة . . ذلك أن التوازن بين وسيلتين يمسكنا عند حدود الأشكال وينتزعنا من التيلد النرجسى . فلحظة تلاقيهما تحررنا وتخلصنا من الحذر والرعدة اللذين تفرضهما هذه الوسائل على حواسنا .

ولقد بالغ البعض فى تأثير الصورة والصوت على الكتابة والطباعة ، وتخيلوا أن عصر التدوين على النهج القديم قد انتهى ، وأن اللغة اللسانية تستعيد مكانتها ، وتعود الى طبيعتها المجهورة ، يكل ما فى الصوت من ثبر وإيقاع ، وأن الصورة تتخذ بدورها مكانها ، الى جانب اللسان . ويذكر بعض الدارسين (١) أن هذه الجارحة كانت أكثر وسائل الاتصال مرونة ، لأنها تستطيع أن تسجل الصور الحسية على اختلافها . أن تحكى أو ترمز أو تشير الى الصورة البصرية والشمية والذوقية ، الى جانب الصور الصوتية بطبيعة الحال .

واستند المبالغون الى اتجاهات ، ظهرت فى واقع الحياة اليومية ، منها أن تسجيل الصوت اخذ يحل على الأيام ، محل الكتابة . وبرزت الأوامر الصوتية والرسائل الصوتية والرموز الصوتية أيضا . وقيل أن هذه التسجيلات الصوتية كانت فى بعض المحاكم الأجنبية ، مستندات لها نفس القيمة التى

---

(١) المرجع السابق ص ٥٩ .



للمستندات الخطية \* وأمان على تقوية هذه البلاغة الجديدة ، حتى في الحياة اليومية التقدم الباهر في أجهزة تسجيل الصوت ، وتطويرها لحاجات الناس ، على اختلاف البيئات والظروف \* وأصبح من المألوف أن يحصل المرء على مختارات من الشعر ، بصوت الشعراء الذين أيدعوها ، تماما كما يحصل على مثل تلك المختبرات مطبوعة في كتاب والمهم في هذه الظاهرة (١) :

أولا : أن الصوت البشري له من التأثير ما ليس للرموز المسجلة له ، أيأ كانت قوة الرمز ، أيأ كانت قدرة القارئ على تمثيل الصوت \*

ثانيا : أن صوت الشاعر نفسه يحكي الخلدات النفسية وظلال المعاني ، التي لا تبديها القراءة ، ومن هنا ظهرت شخصية الشاعر ، ببصماتها الواضحة ، ويتأثيرها المباشر على المتذوقين لشعره \*

واستحدثت الجنس الأداعي المسموع أيضا أثارا حاسمة في عالم الفنون ، وغير من مناهج البلاغة والتقويم ، وأصبحت الإذاعة كالسينما تعتمد على أساليب خاصة في الكتابة إليها ، مع فارق واضح بينها وبين الصورة المتحركة الناطقة ، من ناحية الجماهير التي تفيد من البلاغة الجديدة ، ذلك لأن السينما تشبه المسرح ، من حيث أن الجمهور يحتشد في صعيد واحد لتلقى الفن والتفاعل معه ، أي أن العقلية الجماعية تتغلب إلى حد ما على العقلية الفردية ، ويقتضى ذلك توقيتا محكما للعروض ، كما يقتضى أطارا معينا ومسياقا زعنيا ، لا ينبغي تجاوزه إلا بالحد المعقول \* أما الإذاعة فالمستمعون إليها فرادى ، ولو اجتمعوا ، ففي أماكن اختاروها ولم تفرض عليهم ، ومعنى هذه الحقيقة أن الفرد تغلب على عقلية ، ولا يذوب تماما في العقلية الجماعية لجمهور المشاهدين ، ولذلك يتسم الاعلام الأداعي بأنه موجه إلى أفراد ... أنه يختلف عن الخطبة ، ويختلف عن الحوار في المسرحية أو الفيلم ، مع الاعتراف بمقتضيات التحول من بلاغة لها قواعدها ، إلى أخرى لها شخصيات أخرى ، ففي هذه المراحل نجد أن الإذاعة تنقل مناهج المسرح والسينما في الأحاديث المباشرة والحوار ، ولا تتخلص من منصة الخطيب والمعلم ، بيد أنها تفيد من تجاربها ، مثلها في ذلك مثل أجناس الاعلام الأخرى ، وتتخلص من أسلوب الأجناس التي سبقتها ، ولا تزال تعاصرها ، وتنشئ بلاغة خاصة بها ، تلزم أصولا وقواعد ، المرتبطة طاقة هذا الزمان ، وطبيعة اللغة الاتصالية ، إلى جانب الرموز والمؤثرات والزخارف الصوتية الأخرى \*

---

(١) نفس المرجع ص ٦٦ \*

ولا نستطيع أن نذهب إلى أن « التليفزيون » هو خاتمة المطاف بين هذه الوسائل الاعلامية ، وأنه صاحب الكلمة الحاسمة في البلاغة الجديدة - التي استشعرتها الحياة بفضل التقدم الباهر في الطاقة والحركة ، وإنتاج الوسائل الاعلامية - والتليفزيون يعتمد على ما يسمى بالشاشة الصغيرة ، وهو يجمع المسموع إلى المنظور ، أو يستقل الصوت والصورة ، وأنه يفضل الاذاعة من هذه الناحية ويشبه السينما من ناحية المنهج ، ولكنه يختلف عنها في أن ما يعرض يقدم إلى الناس ، حيث هم ، فينتقل إليهم ، ولا يكلفهم مشقة الانتقال إليه ، وهو يوجه إلى الأفراد في أطرهم الاجتماعي والقومي ، ولكنه ، بحكم ارتكازه على المنظور في المقام الأول ، يقتضى من المتلقين له موقفا سلبييا ، فهو ليس كالراديو ينقل الثقافة والاعلام حتى للعاملين في المصانع والمزارع والديكاكين . . . انه يتطلب استغراقا كاملا أو شبه كامل ، لتتم الافادة من عروضه . والتليفزيون ، على خطره ومكانته ، قد حول الناس من الحركة إلى السكون ، وإن غشيان المسرح أو السينما إنما يكون في وقت محدد ، وعادة الذهاب إلى دور التمثيل أو العروض السينمائية وغيرها لا تتحقق الا في مواقيت الراحة ، وليست في كل يوم ، ومع ذلك فهذا الجنس الاعلامي من أقوى الأجناس الاعلامية ، لأنه ينتزع الصورة والصوت ، ويوزعها على الناس في بيئة متسعة ، ولاتزال هناك خطوات فسيحة يخطوها التليفزيون ، حتى يقترب من طاقة الراديو على طي المكان ، وخاصة بعد استخدام أقمار الاتصالات . ومن مآثر هذا الجنس الاعلامي أنه بحث أشكالا فنية وأدبية ، كان مقدرا لها أن تضمحل وتذوى ، وعلى رأس هذه الفنون الرقص التعبيري ، كما أنه أتاح للتمثيليات المسرحية والسينمائية جمهورا أوسع ، إلى جانب التمثيليات الخاصة به . بحيث يمكن أن يقال أن هذا الجنس الاعلامي قد استحدث بدوره بلاغة جديدة ، وهي وأن اقتريت من البلاغة السينمائية الا أنها تستهدف العقلية الفردية ، أكثر من استهدافها للعقلية الجماعية (١) .

ويذهب جان بول سارتر (٢) إلى أننا « نتصل بالإنسان حتى دون أن نريد هذا الاتصال - بوسائل جديدة ، ومن زوايا انعكاس جديدة - . نعم يظل الكتاب بمثابة فرقة المشاء الثقيلة التي تنظف البقعة وتحتلها ، ولكن لدى الأدب قذائف موجهة تذهب بعيدا وتلقى وتزعج دون أن تكون هي الفاصلة في الأمر . وأولها الصحيفة . والمؤلف الذي كان يكتب لعشرة آلاف قارئ - إذا أعطى صحيفة النقد في مجلة أسبوعية - أصبح له ثلاثمائة ألف قارئ ، حتى لو كانت مقالاته لا تساوي شيئا . ثم يأتي بعد ذلك المذيع فقد منعت رقابة المسرح في

(١) نفس المرجع ص ٦٢ .

(٢) الأدب (ترجمة الدكتور محمد غنيمي هلال) ص ٧٤ .

انجلترا تمثيل مسرحية من مسرحيات سارتر : « جلسة سرية » ولكنها انبعت أربع مراه من دار هيئة الاذاعة البريطانية . وعلى المسرح اللندنى لم تكن لتعجز - حتى في حال افتراض نجاح غير محتمل - اكثس من عشرين الى ثلاثين ألف متفرج . فزودته الاذاعة المسرحية لهيئة الاذاعة البريطانية - عن طريق التى - بنصف مليون مستمع ، واخيرا دار الخيالة ( السينما ) ان يتردد عليها في الدور للفرنسية أربعة مليون شخص . واذا تذكرنا ان « بول سوداي » الناقد الدائم لجريدة الطامب Temps من سنة ١٩١٢ - ١٩٢٩ كان يلوم اندريه جيد في مطلع القرن الحالي على نشره كتيبه في طبعات محدودة فان نجاح قصته « السيمفونية الريفية » في دار الخيالة ، يبرر لنا ان نقيس الطريق الذي سادت فيه .

ويذهب سارتر (١) كذلك الى ضرورة لجوء الكتاب والادباء الى وسائل جديدة الى جانب الكتاب ، وهي موجودة سلفا ، وهي التي وسعها الأمريكيون باسم الوسائل الجماهيرية . . . وهي السبل الحقيقية لتحصيل على الجمهور الامكانى : الصحيفة والمذيع ، ودار الخيالة . طبعا علينا ان نكبت وصاومنا : فمن المؤكد ان الكتاب اتبل اشكال الادب واقدما ، ومن المؤكد ان علينا دائما ان نرجع اليه . ولكن يوجد فن ادبى للمذيع ولشريط الخيالة وللمقالات الرئيسية والاستطلاع الصحفى ولسنا في حاجة مطلقا ، الى المهبوط بمستوى الادب في سبيل شعبيته ، فدار الخيالة تتحدث اصلا الى الجماهير ، وتحديثهم عن الجماهير ومصيرها ، والمذيع يفاجيء الناس على المائدة وفي أسرهم ، في اللحظة التي هم فيها اضعف مقاومة ، وفي حال الاستسلام للخلوة استسلاما يكاد يكون عضويا ، والمذيع اليوم يستفيد من ذلك في خداعهم ، ولكن هذه هي اللحظات التي تمكن فيها الاهابة بحسن نيتهم ، فيما اذا كانوا لا يقومون - بعد - بدورهم ، كما تفرضه عليهم شخصيتهم ، او قد كفوا عن القيام به . ولنا في هذا الميدان قدم ، فعلينا ان نتعلم كيف نتحدث في صور ، وكيف ننقل الافكار من كتبنا الى هذه اللهجات الجديدة .

ولا يقصد سارتر ان يدع المبدعون كتيبهم ليحورها غيرهم ، ويعرضها على لوحة المعرض في دار الخيالة او في اذاعات الراديو ، بل يجب ان يكتب هؤلاء مباشرة للخيالة ولوجاهات الاذاعة . وفي ذلك ما يتيح لهم الايحاء للجمهور بمطالبه الخاصة ، والارتفاع به قليلا قليلا ، حتى تتكون لديه حاجة الى القراءة .

(١) نفس المرجع ص ٢٩٩ .

وقيل أن نتخلص من هذا العرض لما بين « الأجناس الاعلامية » والبلاغة الجديدة من وحدة نرى لزاما علينا أن نطرح سؤالاً امام الدارسين والنقاد ، وهذا السؤال هو : اذا كانت الأجناس الاعلامية تصدر عن لغة واحدة أو أصل لغوي واحد تنطلقه الحواس الانسانية ، فهل من الممكن الآن ترجمة اثر اعلامي يصطنع وسيلة خاصة به الى اثر فني آخر - ويوضح اكثر نتساءل : هل من الممكن أن نترجم تحقيقاً صحفياً يتوصل بالوسيلة الصحفية الى الجماهير ، الى برنامج اذاعي صيغ من طبيعة الوسيلة الاتذعية ؟

### البلاغة هي الوسيلة :

وما نريد أن ندخل في الاختلافات الكثيرة التي ظهرت في المدارس الفنية المختلفة بل يكفي أن نؤكد على ملاحظة واحدة تستحق الاهتمام ، وهي تنبع من وحدة الأجناس - الاعلامية ، ذلك أن وسائل الاعلام الجديدة قد بعثت مرة أخرى الفلمسفة البلاغية القديمة وبخاصة أن الاعلام إنما يستهدف المخاطبين أو المتلقين بالدرجة الاولى ، أي أن الاثر الاعلامي يقوم على مقومات الصناعة ، وهي تصميم العمل طبقاً لنمات سابق ، وثانياً تنفيذ هذا العمل ، على أساس من قواعد محكمة ، تعنى أولاً ، وأخيراً بعلاقة الجزء بالجزء ، - وعلاقة الجزء بالكل ، وثالثاً افتقار هذا العمل الى آلات واجهزة لا يمكن أن يتحقق بدونها .

أن هناك جيلاً جديداً يبرز ، يجمع تجارب الكتاب والجرافقون والسينما والراديو والتلفزيون في صعيد واحد ، هذا الجيل يدرك أن - الكتابة ليست الا وسيلة لتحويل المسروع الى مرئي ، ثم اعادته بالاصطلاح أو الرمز الى مرئي مرة أخرى ، وأن القلم والقرطاس ليسا وسيلة ابداع ولكنهما التين لجرد التدوين والابداع ، يتم بهما ويدونهما على السواء ، وكذلك بقية اجهزة التسجيل وادواته (١) - فطناً هؤلاء الطامحون الى تحقيق البلاغة الجديدة بأسلوب مغاير لاساليب الذين سبقوهم فهم يدركون أن الاثر الفني كثيراً ما يتكامل في النفس ، قبل المشروع في ابرازه كلمة منطوقة ، أو حركة موقعة ، أو مادة مشكلة - وعلى الرغم من ذلك فإن الابداع يتم أيضاً في لحظات ابرازه الى العالم الخارجي ، أي أن الرسامين والمثاليين والادباء من يفكرنا بأنامله أو فرشاته أو قلمه - وما أكثر الادباء الذين تنتشر افكارهم ومشاعرهم على

---

(١) دكتور عبد الحميد يونس : المرجع السابق ص ٦٢ ، ٦٣ .

أطراف أعلامهم والذين ينشئون الصور القلمية والقصص ، وهم يدقون بأصابعهم على الآلة الكاتبة ، وكذلك يصنع الكثيرون من الرسامين والمثاليين والموسيقين • وهذه الحقيقة هي التي دفعت المفتشين عن البلاغة الجديدة ، المكافئة لعصر العلم والتكنولوجيا إلى محاولة جريئة هي أن يتوحد التأليف والإخراج والإداء •• وإذا تعذر توحيد هذه المراحل في شخص واحد ، فمن اليسير توحيدها في إطار زمني مكاني واحد (١) •

وقد أطلق ماكلوهان عبارة « المعرفة التطبيقية » على الثورة الطويلة التي حاول بها الإنسان أن يترجم الطبيعة إلى فن • و « تطبيقي » بمعنى أنه مترجم أو منقول من نوع الشكل المادي إلى نوع آخر ، ويذهب إلى أن « مضمون » وسائل الاعلام لا يمكن النظر إليه مستقلا عن تكنولوجيا الوسائل الاعلامية نفسها •• فالكيفية التي تعرض بها المؤسسات الاعلامية الموضوعات والجمهور الذي توجه له كلامها يؤثر على ما تقوله تلك الوسائل • ولكن طبيعة وسائل الاعلام التي يتصل بها الإنسان تشكل المجتمعات أكثر مما يشكلها مضمون الاتصال • ويعرض ماكلوهان أربع مراحل تمكس في تصوره التطور الانساني وهي : المرحلة الشفوية ، ما قبل القلم ، أي المرحلة القبلية ، ثم مرحلة الكتابة الخطية ، ثم عصر الطباعة ، فعصر وسائل الاعلام الالكترونية • وطبيعة وسائل الاعلام المستخدمة في كل مرحلة تساعد على تشكيل المجتمع أكثر مما يساعد مضمون تلك الوسائل على هذا التشكيل • وهذا الاسلوب في دراسة التطور الانساني ، ليس اسلوبا مبتكرا ، فقد رأينا تقسيم ويلز وتصوره لمعامل التطور • على أن ماكلوهان يذهب إلى أن التغيير الاساسي في التطور الحضاري منذ تعلم الإنسان كيف يتصل ، كان من المرحلة الشفوية إلى السطرية ثم إلى الشفوية مرة أخرى •

ويرفض ماكلوهان رأي نقاد الاعلام الذين يدعون أن الوسائل الجديدة ليست في حد ذاتها شرا أو خيرا ، ولكن الطريقة التي تستخدم بها هذه الوسائل هي التي تحدد ذلك • ويقترح كبديل أن نفكر في طبيعة وشكل الوسائل الاعلامية الجديدة ، فمضمون التلفزيون الضعيف ليس له علاقة بالتغييرات الحقيقية التي يسببها التلفزيون • كما أن الكتاب قد يتضمن مادة تافهة ، ولكن ذلك ليس له دخل في عملية القراءة • فالرسالة الاساسية في التلفزيون هي التلفزيون نفسه • العملية نفسها ، كما أن الرسالة الاساسية في الكتاب هي المطبوع • فالرأي الذي يقول أن وسائل الاعلام أدوات تستخدم في الخير

---

(١) نفس المرجع ص ٦٢ •



والشر ، لا يتفق معه ماككلوهان • فلايهم في تصويره ما اذا عرض التلفزيون عشرين ساعة يوميا افلامها لرعاة البقر ، او برامج ثقافية راقية ، فالمخمنون ليس مهما لديه ، ولكن التأثير العميق - للتلفزيون هو الطريقة التي يعمل بمقتضاها الناس الاساليب التي يستخدمون بها حواسهم ويميز عن ذلك بقوله المشهور ، الوسيلة هي الرسالة The Medium is the Message ويريد بالاضافة الى ما تقدم من تعبيره ان يؤكد على ان لكل وسيلة جمهورا من الناس يفوق حيزهم لهذه الوسيلة اهتمامهم بمضمونها • فالتلفزيون • كوسيلة • يمثل محور اهتمام كبير ، كما ان بعض الناس يفضلون القراءة من اجل الاستمتاع بممارسة تجربة المطبوع ، كذلك يفضل البعض التلفزيون بسبب الشاشة التي تتحرك عليها الصور والصوت •

كما ان • البلاغة • في • الوسيلة • تمثل تأثير الاشكال التي تظهر بها في المجتمع فوجدنا مفكرا كبيرا مثل جورج دوهاميل (١) بعد اختراع الراديو والسينما ، يناقش مشكلة الثقافة ، ويؤكد ان النظام الثقافي يقوم على الطباعة منذ خمسة قرون • فالكتاب لديه احد محركات الفردية الخالقة Individualisme • تلك الفردية التي لاتزال حتى في عصر الاضطراب الذي نعيش فيه - روح الخير القوام على جماعاتنا البشرية • • ويمترف يانه في الامكان ان تعود الى الكتاب بعد سماع الراديو او بعد مشاهدة الفيلم ولكنه في الحقيقة ضعيف الامل في هذا الاحتمال ، اذ ان في طبيعة الراديو الجارفة - التي تشبه تدفق النهر - ما لا يساعد على التفكير ، اى على الثقافة الحقيقية ، فهو والسينما يقدمان اشياء مسرفة الكثرة لا تشعر معها برغبة في ان نحقق او نختبر او نكمل ، بل ولا في ان نفهم ، وانما نأخذ منهما ما نأخذ خطأ وكيفما اتفق • واما ما يغوتنا فليفت وليس هذا منهج الثقافة •

ويذهب ماككلوهان الى ان بناء • الوسيلة • ذاتها مسئول عن نواحي القصور فيها وعن مقدرتها في توصيل المضمون • فهناك وسيلة افضل من وسيلة اخرى في اثاره تجربة معينة كما تجد بالنسبة لكرة القدم في التلفزيون مثلا لانها افضل من تقديمها عن طريق الراديو او على اعمدة الجريدة • وعلى النقيض من ذلك ، تجد ان اغلب الماجريات البرلمانية اقل سامة او اثاره للملل في الجريدة عنها في التلفزيون ، ويبدو ان لكل وسيلة طبيعتها الخاصة التي تجعل تقديم بعض الموضوعات افضل من البعض الآخر •

---

(١) دفاع عن الادب - ترجمة الدكتور محمد مندور ص ٤٦ •

ويؤكد ماكلوهان فكرة أن « الوسيلة هي الرسالة » ترجع إلى أن الوسيلة هي التي تشكل وتتحكم في مقياس نشاط الناس وعلاقاتهم ، ويذهب إلى أن من مميزات الوسائل أن مضمونها يخفى طبيعتها ، ولذلك لا ينظر فقط في دراساته إلى « المضمون » بل إلى الوسيلة ذاتها « - وإلى القالب الثقافي الذي تعمل بداخله » - أن معظم الآراء التقليدية تبين إلى أي حد كنتا لا نرى في الماضي الآثار الاجتماعية والنفسية للوسائل « -

وتأسيسا على هذا الفهم ، فأننا نطرح في الصفحات التالية مجرد اختبارات بهدف دراسة هذه البلاغة الجديدة ؛ ونأمل أن يكون لهذه الاختبارات أثرها في دفع الدراسات البلاغية إلى أمام في أطار من الأصالة والمعاصرة « - ونأمل أن نكون قد وفقنا إلى ذلك « - فجل من لا يخطيء تحيزا أو قصورا في عالم البشر .

المؤلفان

**الباب الأول**  
**علوم البلاغة العربية :**  
**لماذا وضعت ؟**





## تاريخ الفكر البياني :

كانت العرب أمة مشهورة بالبيان والبلاغة وفصاحة القول ، وكانت صناعتها خطبة تحيرها ، أو قصيدة تجودها ، أو مقالة تنمقها ، وكذلك كان شأنهم منذ العصر الجاهلي ، يرفعون مكانة الشاعر والخطيب ، وكان لكل قبيلة شاعر وخطيب ، أو شعراء وخطباء ، يذودون عن أحساب القبيلة وأعراضها ، وينطقون بمآثرها ومفاخرها ومكارمها ، وأخبار أيامها ، وسؤدد تاريخها ، وشرف أرومتها ، وكريم عزتها \* وظلوا كذلك إلى أن جاء الإسلام ، ونزل القرآن كتاباً سماوياً منيراً ، يعمز الخلق ببلاغته ، ويدل بأسلوبه على منزلته في الفصاحة ومكانته ، ويهدي الناس إلى أرفع درجات السلوك وأكرم آداب المثل العليا ، ويحضهم على الإيمان بالله وتوحيده ، ويدعوهم إلى أصول الفضائل والآداب والأخلاق \*

ولما كان القرآن معجزاً في فصاحته وأسلوبه وبلاغته ، فقد بهر الأدباء ، وأخرس الفصحاء ، وأسكت البلغاء ، وحاول العرب أن يأتوا بمثله فعمزوا ثم جهدوا أن يأتوا بعشر سور مثل سورة ففشلوا ففسألوا ناثي بسور ثلاث أو بسورتين أو بسورة في مثل بيانه ، فأبوا بالعجز والهزيمة والاختفاق \*

وقد كان القرآن الكريم نموذجاً أدبياً عالياً ، اقتدى به العرب في بلاغته ويعثمهم على تهذيب الأسلوب ، وتجويد الأداء ، وجعلهم يظنون محيين للأدب ، مستهامين بالفصاحة ، مأخوذين ببلاغة القول ، وفصاحة الأداء ، ومن ثم فقد بقي العرب بعد الإسلام على حالهم الذين كانوا عليه من حبههم للأدب ، وتذوقهم لأسرار البيان ، واهتزازهم لجيد الكلام ، وأخذت منزلة الخطيب في عصر صدر الإسلام تقوى ، واحتلت الخطابة المكان الذي كان يحتله الشعر في العصر الجاهلي \*

## \*\*\*

وكان العرب يقطرتهم وأذواقهم المرهفة ، منذ العصر الجاهلي يسمعون الشعر والأوان الأدب المختلفة ، ويميزون بين أسلوب وأسلوب ، وعجالة وعجالة ، ولغظة ولغظة ، وكان النابغة في العصر الجاهلي حكم الشعراء ، وكانت تضرب

له في سوق حكاية حمراء ، ويجتمع عليه الشعراء فينشرونه ويتحاشون  
اليه

اتاء الأعشى يوما فأنشده من شعره ، ثم اتاه حسان فأنشده ، فقال  
لحسان : لو لا أن أبا بصير الأعشى أنشدني أنفا لقلت أنك أشعر الجن والانس ،  
فقال حسان :

— والله لأنا أشعر منك ومن أبيك وجسدك — فقبض النابغة على يده ،  
وقال :

— يا ابن أخي أنت لا تحسن أن تقول :

فأنت كالليل الذي هو مدركي  
وإن خلت أن المنتهى منك واسع

ويروي أنه سمع من حسان :

لنا الجففات العر يلعمن بالضمي  
وأسيافنا يقطرون من نجدة دما  
ولدتا بنى العنقاء وابنى معرق  
فاكرم بنا خلا ، واكرم بنا ابنما

فقال النابغة له : قلت جنائك ولو قلت الجفان لكأنت أكثر ، وفخرت بمن  
لذت ولم تفخر بمن ولدك ، وقلت يلعمن في الضمي ولو قلت يبرقن في الدجى  
لكأن البلق لأن الضيف بالليل أكثر طروقا .

وهذه الأخبار الأدبية على الرغم مما يذهب اليه البعض من أنها مختلفة ،  
تشير الى ذوق العرب المزهف ، واحساسهم الدقيق بالادب وبلاغته .

وقد ظلوا كذلك بعد الاسلام ، يسمعون الكلام ويميزون بين جيدة وروية  
وينقدون الشعراء والخطباء ، ويعكمون على الشعر احكاما أدبية دقيقة ،  
فقالوا مثلاً عن جرير : انه يفرف من بحر ، وعن الفرزدق انه ينحت من صخر ،  
وعن الاخطل انه أشعرهم في وصف الخمر ، ومدح الملوك ، وعن ابن أبي ربيعة  
أن لشعره موقعا من القلب وعلوقا بالنفس .

وانضمت ليلي الاخينية يوما الحجاج :

اذ ورد الحجاج ارضا مريضة  
تتبع أقصى دائها فشفاها  
شفاها من الداء العضال الذي بها  
غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لها : لا تقولي غلام ، ولكن قولي ( همام ) •• وانشد عبد الملك ابن  
مروان قتل نصيب :

اهيم بدعو ما حييت فان أمت  
فواحننا من ذا يهيم بها بعدى ؟

فقال بعض اللبلاء : أساء القول ، أيحزن لمن يهيم بها بعده ؟ قال  
عبد الملك : لو كنت قائلا فماذا تقول ؟ قال :

اهيم بدعد ما حييت فان أمت  
أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

فقال عبد الملك : أنت أسوأ قولا •• ثم قال : الوجه أن يقال :

اهيم بدعد ما حييت فان أمت  
فلا صلحت دعد لذي خلة (١) بعدى

وكان كثير يعيب عمر بن أبي ربيعة في قوله :

قالت لثرب لهسسأ تحدثها  
لثففسدن الطواف في عفسفسر

قومي تصبدي له ليصبنا  
ثم اغمزيه يا أخت في خفسر

قالت لها : غمزته فأبى  
ثم أسبطرت تشبدي في اثري

ويقول : أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك ، والله لو وصفت بهذا هرة  
منزلك كنت قد أسأت صفتها ، وهكذا يقال للمرأة ؟ إنما توصف المرأة بالخفسر

---

(١) الخلة : الصداقة •

وانها مطلوبة ممنعة ، كما قال الاحوص :

لقد منعت معروفها أم جعفر  
وانى الى معروفها لفقير  
وقد انكروا عند اعتراف زيارتى  
وقد وغرت فيها على صددور  
ادور ولولا ان ارى أم جعفر  
بابيساتكم ما نرت حيث ادور

★ ★ ★

ومن ذلك كله نقول : ان العوامل الاولى فى نشأة البلاغة العربية هي :

- ١ - ان العرب أمة مقطورة على البلاغة ، وقد رفع القرآن الكريم منزلة البلاغة فوق منزلتها ، ومن ثم كان العرب فى بحثهم عن خصائص البلاغة العربية يبحثون عن أعز شيء لديهم ، وأظهر أمر لهم فيه الغلبة والتفوق .
- ٢ - ان العرب نشأوا كذلك على تذوق الأسلوب ونقده ، والفطنة يجيده ورديته فملكة النقد عندهم موفورة ، وقد نشأ عن ذلك ظهور آراء نقدية كانت هى الأساس الأول للنقد الأدبى عنى العرب ، وكان هذا النقد هو أساس علم البلاغة العربية .
- ٣ - وليس من شك فى أن فساد الأنواق ، وانحراف الملكات ، وتضاؤل الطبع فى نفوس العرب ، بعد اتساع الفتوح الاسلامية ، وامتزاج لعرب بالشعوب المغلوبة ، وظهور أثر هذا الامتزاج فى الألسنة والطباع .  
ليس من شك فى أن ذلك كان من البواعث على تدوين أصول البلاغة العربية لتكون ميزانا سليما تؤرن به بلاغة الكلام ، ولتعصم هذه الأصول الأدباء والمثقفين من الخطأ فى الأسلوب والبيان .
- ٤ - ويضاف الى ذلك عامل آخر يعيد الأثر فى تدوين البلاغة هو الرغبة فى فهم أسرار اعجاز القرآن الكريم ، وإقامة الأدلة العلمية على هذا الإعجاز .

## اهمية دراسة البلاغة -

البلاغة هي أن يجعل الأديب لكل مقام مقالا ، ولكل حال مقتضاها ، فيوجز حيث يحسن الإيجاز ، ويطنب حيث يجعل الأطناب ، ويؤكد في موضع التوكيد ، ويقدم أو يؤخر إذا استدعى ذلك المقام ، وطلبه الحال ، ورأى ذلك أنسب لقوله ، وأوفى بفرضه ويخاطب الذكي بغير ما يخاطب به الغبي ، ويجعل لكل اعتبار ما يناسبه من القول ، في عبارة فصيحة ، ومعنى مختار .

ولدراسة علوم البلاغة أهمية كبيرة :

١ - فهي تقوم الملكات ، وترشد الذوق ، وتهدئ الموهبة الأدبية في نفس الأديب الى الكمال .

٢ - وهي تعلل ما نشعر به من أريحية وهزة واعجاب ، عندما نقرأ أسلوبا بليفا ، أو كلاما فصيحاً .

٣ - وهي تبين لنا سر اعجاز القرآن الكريم من الفصاحة والبلاغة .

٤ - وكذلك هي تساعد الأديب أو رجل الاعلام على أن ينتج أدبا رائعا : من شعر بليغ ، أو رسائل جميلة ، أو قصص أنيقة ، أو مقالات خصبة ، الى غير ذلك من شتى ألوان الأدب وفنونه .

٥ - وهي كذلك تحول بين الانسان وبين الخطأ في الأسلوب أو الخيال أو المعنى أو الفرض ، أو الفكرة .

٦ - ودراسة علوم البلاغة يستطيع الأديب أن يكون ناقدا متذوقا ، وكاتبا موهوبا . الى ما سوى ذلك من المزايا التي تنشأ عن دراسة علوم البلاغة .

### المقالي في البلاغة :

لم يؤلف العرب في البلاغة في العصر الاسلامي ، ولا في اوائل عصر بني العباس ، وانما بدأوا يؤلفون في البلاغة في اواخر القرن الرابع الهجري واولائل القرن الخامس الهجري ، وليس معنى ذلك انهم بدأوا في هذا التاريخ ولأول مرة يؤلفون في البلاغة ، كلا ، فقد أخذوا منذ عهد الدولة العباسية يخطون خطوة بخطوة في سبيل ابتكار بحوث البلاغة والمقالي فيها .

وقد أخذ النقاد والأدباء والكتاب يحاولون فهم اسرار بلاغة الكلام ، ووضع اصول موجزة تحدد آراءهم في جمال الأسلوب ، واشترك في النهوض بهذا العبد منذ أول العصر العباسي كثيرون ، وفي مقدمتهم أئمة الشعر والخطابة وفحول الكتاب ، والرواة ، وعلماء الأدب من بصريين وكوفييين ، ورجال النقد .

### \*\*\*

### أوائل العلماء الذين ألفوا في البلاغة :

ومن أوائل العلماء الذين بحثوا وكتبوا أشياء تتعلق بالبلاغة العربية :

١ - الامام أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري ( ١١٢ - ٢٠٦ هـ ) وكان من أئمة الأدباء والنقاد ، وكتابه « مجاز القرآن » مشهور ، وقد ذكر فيه الكثير من آيات القرآن الكريم ، وحلل بلاغتها ، ودافع عنها دفاع العالم الحجة المجدد .

٢ - أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ ( ١٦٠ - ٢٥٦ هـ ) ، وهو شيخ الأدب والعربية والنقد في عصره ، وقد ألف كتابا مشهورا سماه « البيان والتبيين » ، وجمع فيه الكثير من : بلاغات العرب ، وآرائهم في النظم والشعر ، وتحذيدهم لمعنى البلاغة والفصاحة ، وفيه صحيفة بشر بن المعتز ، وهي أول صحيفة في البلاغة وعناصرها . وكذلك ألف الجاحظ كتابا في اعجاز القرآن الكريم ، وألف كثيرون غيره في الاعجاز .

٢ - أبو العباس عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي الأديب الشاعر المشهور ( ٢٤٧ - ٢٩٦ هـ ) -

وقد ألف عام ٢٧٤ هـ كتابا سماه البديع ، وذكر فيه ثمانية عشر لونا من ألوان البديع ، منها الاستعارة والكناية والتشبيه ، ويقول ابن المعتز في صدر كتابه : « وما جمع قبلى فنون البديع أحد » .

### جهود النقاد في وضع علوم البلاغة :

وقد نشأ منذ القرن الثالث طائفة كبيرة من النقاد ، منهم ابن سلام الجعفي المتوفى عام ٢٢١ هـ صاحب كتاب « طبقات الشعراء » وقدامة بن جعفر المتوفى عام ٢٢٧ هـ صاحب كتاب نقد النثر ، وكتاب نقد الشعر ، ثم أبو هلال العسكري المتوفى عام ٣٩٥ هـ صاحب كتاب الصناعتين ، وأبو بكر الباقلائي المتوفى سنة ٤٠٢ هـ صاحب كتاب « أعجاز القرآن » وابن سنان المتوفى عام ٤٦٦ هـ صاحب كتاب « سر الفصاحة » وابن رشيق المتوفى عام ٤٦٠ هـ صاحب كتاب العمدة ، وسواهم .

وهؤلاء النقاد أثاروا في محاضراتهم وبحوثهم وكتبهم كثيرا من بحوث البلاغة بل أن كتاب الصناعتين وكتاب سر الفصاحة وكتاب العمدة أقرب ما يكون إلى كتب البلاغة منها إلى كتب النقد .

وفي القرن الرابع اتجه علماء الأدب في أوله إلى الكتابة في الأدب والنقد ، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب بالبيان ، ثم أفادوا من دراسات النقد فائدة جلى انتقلت بهم للبحث في مظاهر البيان ومشكلات البلاغة فاتجه تالفهم في آخر هذا القرن إلى بحوث البلاغة نفسها .

\*\*\*

### أول مؤلف في البلاغة :

وأول مؤلف في البلاغة في رأى العديدين هو الامام عبد القاهر الجرجاني المتوفى عام ٤٧١ هـ ، وصاحب كتاب : « أسرار البلاغة » ، وكتاب « دلائل الإعجاز » .

أما كتاب أسرار البلاغة ففيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه ومجاز واستعارة وفيه شرح للمصطلحات وبعض ألوان البديع .



وأما كتاب دلائل الإعجاز ففيه بحوث كثيرة هي أصول علم المعاني . كما أنه تحدث فيه عن الكناية وعن التمثيل والمجاز والاستعارة والمصرقات وهذه البحوث كلها هي عنده علم البيان . لا فرق عنده بين ما هو راجع إلى الكلام من حيث مطابقتها لقتضى الحال ، وبين ما يرجع إليه من حيث إبراز المعنى المراد بطريق مختلفة في وضوح الدلالة عليه . كما أن عبد القاهر لم يكن يعرف هذا الاصطلاح « علم المعاني » ولم يشر إليه من قريب .

### السكاكي وكتابه المفتاح :

وبعد عصر عبد القاهر بكثير ظهر الامام أبو يعقوب السكاكي المتوفى عام ٦٢٦ هـ الذي ألف كتابه المفتاح وجعله أقساماً ، وخص البلاغة بالقسم الثالث منه . وقسمها إلى ثلاثة أقسام : المعاني – البيان – السديع . وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل .

والفلسفة والمنطق تغلب على السكاكي إلى حد كبير ، من حيث كان يغلب الذوق والطبع على عبد القاهر .

### القزويني ومدرسته في البلاغة :

وجاء الخطيب القزويني المتوفى عام ٧٣٩ هـ فآلف في البلاغة كتابيه : تلخيص المفتاح ، والايضاح . وقد ألف الايضاح ليكون كالشرح لتلخيص المفتاح ، وجمع فيه كثيراً من البحوث البلاغية العميقة المفيدة .

وقد طارت شهرة هذين الكتابين ، وكثرت عليهما الشروح كثرة عجيبة .

### السعد والسيد :

وبعد السكاكي والقزويني ظهر شيخا البلاغة : السعد (٧١٢ – ٧٩١ هـ) - والسيد المتوفى عام ٨١٦ هـ ، فكانا أظهرا شراح السكاكي والخطيب القزويني ، وللسعد كتابان على متن التلخيص الذي ألفه الخطيب : فالكتاب الأول هو الطول ، والكتاب الثاني هو مختصر المعاني وهو كالمختصر للطول ، أما السيد فله حاشية على الفتاح للسكاكي وحاشية على الطول كذلك .

وبعد السعد والسيد توقف الابتكار في مسائل البلاغة ، وظهرت تأليف عديدة ليس فيها جديد ، وأغلبها شروح وحواش على متن التلخيص .

## واضع علوم البلاغة :

فمن الواضع لعلوم البلاغة ، ومؤسس علم البيان حقا ؟

أهو الجاحظ الذى هو أول من اهتم بالبلاغة وأول مؤسس للبيان العربى حقا ، كما يقول الدكتور طه حسين (١) ؟

أم أن الواضع لها عبد القاهر كما يذهب اليه جمهور العلماء ، ومنهم صاحب الطراز ؟

أم أن الواضع لها السكاكي كما يذهب اليه ابن خلدون وبعض العلماء ؟

اختلفت الآراء فى ذلك ، ولا ضير من هذا الاختلاف فى شيء ، وهناك من يرى أن ابن المعز يجب أن يعد أول مؤلف فى البلاغة بتأليفه كتابه البديع الذى هو أول عرض لموضوعات البلاغة أو لعلم البيان والبديع خاصة ، بشكل سهل جميل مع الشواهد والأمثلة -

---

(١) مقدمة نقد الفننر -

## تراجـم لشيـوخ البلاغة

عبد القاهر الجرجاني :

المتوفى عام ٤٧١ هـ

هو شيخ البلاغة العربية وامامها ، الشيخ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، صاحب « أسرار البلاغة » ، و « دلائل الإعجاز » .

والشيخ عبد القاهر أديب متذوق ، وناقد فحل ، يتعمق في فهم النصوص ويجيد تحليلها ودراستها والموازنة بينها وبين ما يشبهها من الآثار الأدبية ، وقد تكلم في كتابيه عن كثير من مسائل البلاغة ، وعن كثيرا بالتشبيه والاستعارة والمجاز والذكر والحذف ، ويكثر من يحوث البلاغة .

ويغلب على كتابته في البلاغة والنقد الروح الأدبي الموهوب العميق ، الناقد إلى الأسرار والخصائص والأسباب .

وهو يهذين الكتابين أول واضح لعلم البلاغة العربية ، وشارح لمسائلها ، ومبتكر لمسائلها ، وعن ثم فهو جدير منا بكل تقدير واجلال .

ويكثر في الكتابين من عرض الشواهد والأمثلة وتحليلها والموازنة بينها ، وبين ما يشبهها ، في دقة وذوق وقطنة بأسرار البيان .

السكاكي :

المتوفى عام ٦٢٦ هـ

هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي المتوفى عام ٦٢٦ هـ ، وقد درس المنطق والفلسفة واللغة دراسة واسعة واسعة ، وألف كتابه المفتاح في شتى علوم العربية ، وخص البلاغة بالقسم الثالث منه ، وتحدث في الكتاب - مفتاح العلوم - عن خلاصات لعلوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق والعروض والقافية .

والسكاكى أول من قسم علم البلاغة الى ثلاثة علوم : علم المعانى - علم البيان - علم البديع :

وهو أكثر ميلاً الى المنطق ، وأظهر بعداً عن ميدان الأدب والتقد ، وقد استفاد من مجهود عبد القاهر وسواء من علماء البلاغة السابقين قائدة جلى .

وقد كثرت بعدد السكاكى المناقشات اللفظية والبحوث المنطقية فى البلاغة ، ولا تزال موجودة حتى اليوم .

وعلى مفتاح العلوم شروح وحواش ليس لها نظير على أى كتاب آخر .

### الخطيب القزوينى :

٦٦٦ - ٧٢٩ هـ

هو قاضى القضاء الشيخ جلال الدين محمد بن عمر القزوينى الشافعى .

نشأ من أسرة علمية ودينية كبيرة ، كان ولا شك لها اثرها فى حياته وتفكيره وروحه .

ولد عام ٦٦٦ هـ ، وتعلم الفقه ، وتولى القضاء ، وانتقل الى دمشق ، وتولى الخطابة فى مسجدتها ، ثم تولى القضاء بمصر ، وتمكن نفوذه فيها أيام الملك الناصر ، واكتسب مالا طائلاً ، ثم جاء الى دمشق وتوفى فيها . وأشهر مؤلفاته تلخيص المفتاح ، والإيضاح فى المعانى والبيان (١) وكانت وفاته عام ٧٢٩ هـ .

وتدل مؤلفات الخطيب فى البلاغة على ثقافة بلاغية وأدبية واسعة وقراءة مستفيضة لأهم المؤلفات فى البلاغة وفى مقدمتها : « أسرار البلاغة » و « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر ، والمفتاح للسكاكى .

ألف الخطيب مختصراً صغيراً للمفتاح فى البلاغة أو للقسم الثالث بعبارة أوضح وسماه « تلخيص المفتاح » . لخص فيه ذلك السفر العظيم ، وقدم فيه وآخر ، وحذف ، واختصر ، وفيه بعض آراء له لم يرتضها جهابذة هذه الفنون .

(١) ٤٤ ج ٢ تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان ، شذرات الذهب ، الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة .

على أن متن التلخيص ليس تلخيصا للأسرار أو الدلائل أو سر القصاحة وحدها ، إنما هو تلخيص للقسم الثالث من الفتاح أولا ، وقيل كل شيء ... وما فيه من روح التأثير بعبد القاهر فمرجهه إلى المفتاح نفسه الذى اعتمد فيه السكاكى على عبد القاهر إلى حد بعيد .

ثم ألف الخطيب كتابه الايضاح فى البلاغة على ترتيب التلخيص ، وبسط القول فيه ، ليكون كالشرح له ، فأوضح مواضعه المشككة ، وفصل معانيه المجملة ، واعتمد على المفتاح والأسرار والدلائل وغير هذه المؤلفات فى بحوثه ودراساته فيه ، كما يشير إليه الخطيب نفسه فى مقدمة الايضاح .

وكتاب الايضاح فيه أمهات مسائل هذه الفنون بعبارة واضحة فيها روح من أسلوب عبد القاهر الجامع بين التحقيق العلمى والرصانة الأدبية .

وعلى « تلخيص المفتاح للخطيب » كثير من الشروح والحواشى والتقارير، التى تروعه كثرتها ، مما يدل على مدى شهرة الكتاب العلمية عند الباحثين . ولا يزال منهج الخطيب فى البلاغة وفى متن التلخيص بالذات هو المنهج العلمى والدراسى فى علوم البلاغة الى عصرنا الراهن .

وكتاب الايضاح عمل جليل فى البلاغة ، سواء فى ترتيبه وتقسيمه وتنظيم بحوثه ، أم فى استيعابه واستقصائه وتحليله ، أم فى جمعه واستمداده من شتى المصادر والمراجع ، أم فى أسلوبه الأدبى وروحه العلمية وكثرة تبويباته الأدبية .

وهو أهم كتاب دراسى فى البلاغة فى العصر الحاضر . ويمتاز الايضاح للخطيب القزوينى بعدة ميزات ظاهرة :

- (أ) فهو أوفى كتاب فى بحوث البلاغة .
- (ب) وهو أوضح الكتب المؤلفة فى البلاغة نظاما وأسلوبا .
- (ج) وهو كثير البحث والتعمق والاستنباط لأسرار البلاغة العربية .
- (د) وهو كتاب تطبيقى جميل فى البلاغة .
- (هـ) وينقد القزوينى فيه كثيرا من آراء السكاكى .
- (و) ويعتمد الخطيب فيه على عبد القاهر والسكاكى كثيرا .
- (ز) والخطيب يجمع فى كتابه خلاصات لبحوث علماء البلاغة فى شتى العصور حتى عصره .

(ح) والكتاب بعد ذلك غزير المادة كبير الفائدة فى الأدب والنقد والبلاغة والبيان .

#### سعد الدين التفتازانى

٧١٢ - ٧٩١ هـ

هو العلامة مسعود بن عمر ، ولد واخذ العلم عن اكابر العلماء فى عصره وتقل بين البلاد ، ومن البلاد التى رحل اليها هراء ، وقد ألف فيها كتابه الطول سنة ٧٤٨ ، ثم ألف المختصر سنة ٧٥٦ هـ .

وعنى السعد بأراء عبد القاهر والسكاكى والخطيب عناية فائقة ، ويغلب على كتابته فى البلاغة صيغة المنطق والتقسيمات العقلية الجافة ، وله حاشية على المفتاح ومؤلفات أخرى تشهد له بالفضل والتفوق .

#### السيد الجرجانى

٧٤٠ - ٨١٦ هـ

ولد فى قرية « سراياذ » بين همدان وبغداد ، وتثقف على السعد ، وقدم القاهرة ودرس بها ، ثم خرج الى بلاد الروم ، ثم عين أستاذا فى شيراز .

والف فى البلاغة .

١ - شرحا على المفتاح .

٢ - شرحا آخر على القسم الثالث من المفتاح .

٣ - حاشية على الطول للسعد . . . وقد ناظر أستاذه السعد مناظرة مشهورة ، وكان موضوعها « اجتماع الاستعارة التبعية والتعملية فى كلام صاحب الكشف ، فى قوله تعالى « أولئك على هدى من ربهم » .

#### العضد

٧٠١ - ٧٥٦ هـ

ولد عضد الدين الايجى فى قرية ايج من نواحى شيراز ، واخذ عن

مشايخ عصره ، واخذ عنه السعد وسواه ، وعين مدرسا في شيراز \* ثم حبسه  
حاكم كرمان ومات في حبسه \*

ومن اهم مؤلفاته في البلاغة الفوائد الغيائية ، وهو تلخيص للقسم  
الثالث من المفتاح ، وهو اقصر من تلخيص المفتاح للخطيب القزويني \* وله  
كتب اخرى مخطوطة \*

#### اهم كتب البلاغة في مختلف العصور

مجاز القرآن لابي عبيدة م ٢٠٨ هـ

المديح لابن المعتزم م ٢٩٦ هـ

الصناعتين لابي هلال العسكري م ٣٩٥ هـ

اسرار البلاغة ودلائل الاعجاز لعبد القاهر م ٤٧١ هـ

سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي م ٤٦٦ هـ

العمدة لابن رشيق م ٤٦٠ هـ

نهاية الايجاز للرازي م ٦٠٦ هـ

المفتاح للسكاكي م ٦٢٦ هـ (١)

قوانين البلاغة لعبد اللطيف البيضاوي م ٦٢٩ هـ

المثل الصائر لابن لاثير م ٦٣٧ هـ

التبيان لابن الزمלקاني م ٦٥١ هـ

المعيار للزنجاني م ٦٥٤ هـ

---

(١) شرحه : الشيرازي م ٧١٠ هـ ، والخلخالي م ٧٤٥ هـ ، والسعد  
م ٧٩٢ هـ والسيد م ٨١٦ هـ ، وابن كمال باشا م ٩٤٠ هـ \*

ولابن يعقوب م ١١٠٨ هـ ، وللدسوقي م ١٢٣٠ هـ شروح عليه \*

ولزكريا الانصاري م ٩٢٦ هـ مختصر تلخيص المفتاح ، وللمباني م ٩٦٣  
شرح لشواهد التلخيص اسمه معاهد التنصيص \*

- المصباح لبدر الدين ابن ابن مالك م ٦٨٦ هـ  
 الاقصى القريب للتوخى م ٦٩٨ هـ  
 بديع القرآن لابن ابي الاصبع م ٦٥٤ هـ  
 الايضاح للخطيب القزوينى م ٧٢٩ هـ  
 تلخيص المفتاح له ايضا  
 الفوائد الفياثية للعضد م ٧٥٦ هـ ، وشرحها الكرماني م ٧٨٦ هـ  
 التبيان لشرف الدين الطيبي م ٧٤٣ هـ  
 الطراز ليحيى بن حمزة العلوى م ٧٤٩ هـ وقد طبع فى ثلاثة اجزاء  
 عروس الافراح للسبكى م ٧٧٣ هـ  
 المطول للسعد م ٧٩١ هـ  
 السمرقندية للسمرقندى وهى رسالة فى الاستعارات ، وتوفى السمرقندى  
 عام ٨٨٠ هـ  
 عقود النجمان للسيوطى م ٩١١ هـ  
 الجواهر المكنون للاخضرى م ٩٠٥ هـ ، وشرحه الشيخ الدمشورى  
 ١١٩٢ هـ  
 تحفة الاخوان فى علم البيان للدريدر م ١٢٠١ هـ  
 الرسالة البيانية للصبان م ١٢٠٦ هـ  
 التجريد للبنانى م ١٢١١ هـ  
 حسن الصنيع للشيخ البسيونى م ١٢١٢ هـ  
 زهر الربيع للحملوى م ١٢٥٢ هـ  
 البلاغة الواضحة للجارم م ١٩٤٩ هـ

#### كتب اخرى تدور حول البلاغة

- من اهم هذه الكتب :  
 نقد الشعر ، لقدامة م ٣٣٧ هـ



- سر الفصاحة لأبن سنان ٤٦٦ هـ  
 الوساطة للجرجاني ٢٩٢ هـ  
 الوساطة للجرجاني ٢٩٢ هـ  
 الموازنة للأعدي م ٢٧٦ هـ  
 المعمد لأبن رشيق م ٤٦٠ هـ  
 تفسير الكشف للزمخشري ، وله كتاب اساس البلاغة •  
 المجازات النبوية ، ومجاز القرآن - للشريف الرضي المتوفى ٤٠٦ هـ

## الباب الثانى

الفصاحة – البلاغة

نحو بلاغة جديدة



## الفصاحة :

الفصاحة في اللغة تبيء عن الظهور والإبانة ، يقال : فصيح الاعجمي في كلامه وافصح : اذا انطلق لسانه ، وخلصت لفته من اللكنة ، وجادت ملكته قلم يلحن \* .

وهي عند البلاغيين يوصف بها اللفظ المفرد ، والكلام ، والمتكلم ، فالفصاحة عندهم هي كون اللفظ جاريا على القوانين المستنبطة من استقراء كلام العرب ، كثير الاستعمال على السنة العرب الموثوق بعربيتههم \* .

## ١ - فصاحة المفرد

هي خلوصه من :

١ - تنافر الحروف \*

٢ - الغرابة \*

٣ - مخالفة القياس \*

## التنافر

هو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وعسر النطق بها \*

## والتنافر قسمان :

(١) فمنه ما تكون الكلمة بسببه مقناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها كما روى ان اعرابيا سئل عن ناقته فقال : تركتها ترعى الهمض وهو اسم شجر من شجر الصحراء \*

(ب) ومنه ما هو دون ذلك ، كلفظ مستثزِر في بيت امرئ القيس :

غداثره مستثزرات الى العسلا

تضل العقاص في مثني ومرسل (١)

والحكم في ذلك هو الذوق .

### القراءة

وهي ان تكون الكلمة وحشية (٢) لا يظهر معناها ، فيحتاج في معرفته :

(١) الى ان يفتش عنها في كتب اللغة المبسطة ، كما روى عن عيسى

ابن عمر النحوي انه سقط عن حمارة ، فاجتمع عليه الناس ، فقال :

« مالكم تكاكنتم على تكاكنكم على ذي جنة ؟ افرنقوا عني » اي

مالكم اجتمعتم تنحوا .

(ب) او الى ان يخرج لها وجه بعيد ، كما في قول العجاج :

ومقلة وحاجيا مزججا

وفاحما ومرسسنا مسرجا (٣)

---

(١) الغداثر : الذواثب جمع غديرة ، والضمير فيها عائد الى الفرع في

البيت قبله . مستثزرات اي مرتفعات ان كان بكسر الزاي على لفظ اسم

الفاعل ، او مرفوعات ان كان بالفتح على لفظ اسم المفعول ، استثزره اي

رفعه متعديا ، واستثزِر اي ارتفع لازما . تضل : تغيب وتختفي . العقاص :

جمع عقيصه وهي الخصلة المبيوعة من الشعر . المثني المفتول . المرسل :

خلاف المثني .

والمعنى : ان ذواثبه مشدودة على الراس وان شعره مقسم الى عقاص

ومثني ومرسل ، والاول يغيب في الاخيرين ، والمراد وصف الشعر بالكثافة

والكثرة والطول .

والشاهد هنا قوله مستثزرات فهو لفظ متناثر ثقيل على اللسان ، ولكنه

اقل ثقلا من « الهمضع » .

(٢) اي ليست مائتسة الاستعمال عند العرب الخالص ، من سكان

البادية .

(٣) المقلة : العين . مزججا : مدققا مطولا . فاحما : اي شعرا أسود

كالبحم المرسن : الاتف .

والشاهد في البيت في قوله مسرجا فانه غير ظاهر المعنى ، لان العلماء

قد اختلفوا في معناه . وليس هذا اللفظ مما يسهل البحث عن معناه في المعاجم

اللغوية .

فانه لم يعرف ما أراد بقوله « ممرجا » حتى اختلف في تخريجه : فقيل هو من قولهم للسيوف : سريجية ، أى منسوبة الى صانع يقال له « سريج يريد انه في الاستواء والدقة كالسيف السرجي ، وقيل : من السراج ، يريد انه في البريق كالسراج . وهذا قريب من قولهم : سرج وجهه أى حسن ، وسرج الله وجهه وحسنه .

#### مخالفة القياس :

هى ان تكون الكلمة على خلاف مفردات الالفاظ الموضوعة أى على خلاف ما ثبت عن الواضع ، اما الموافقة للقياس فهى ان تكون الكلمة على وفق ما ثبت عن الواضع سواء وافقت القانون التصريفى أم خالفته ولكن ثبتت عن الواضع كذلك ، والمخالفة ان تكون الكلمة على خلاف ما ثبت عن الواضع سواء خالفت القانون الصرفى أيضا أم لا ، فنحو آل وعاء وأبى يابى وعور يعور قصيح . لانه ثبت عن الواضع كذلك وان خالف قواعد الصرف .

ومثال مخالفة القياس قول الشاعر :

الحمد لله العلى الاجل

انت ملك الناس ربا فاقبل

فان القياس الاجل بالادغام ، ومثله قول الشاعر :

مهلا أعانل قد جربت من خلقى

انى أجود لأقوام وان ضننوا

#### علامة فصاحة الكلمة :

هذا وفصاحة الكلمة علامتها أحد أمرين :

١ - ان تكون هذه الكلمة كثيرة الاستعمال عند العرب الموثوق بعربيتهن اذا لم يكن لها مرادف .

٢ - وان تكون هذه الكلمة أكثر استعمالا عندهم من الكلمات الأخرى الواردة لها المشتركة معها فى المعنى اذا كان للكلمة مرادف .

فعلامة فصاحة الكلمة التي ليس لها مرادف كثرة استعمالها ، والتي لها مرادف أن تكون أكثر استعمالا من مرادفها .

## ٢ - فصاحة الكلام

فصاحة الكلام : هي خلوصه من : ضعف التاليف ، وتناثر الكلمات ، والتعقيد . مع فصاحة كل كلمة منه .

### ضعف التاليف :

هو أن يكون تاليف الكلام على خلاف القانون النحوي المشهور بين الجمهور : كالأضمار قبل الذكر لفظا ومعنى وحكما . مثل زار صديقه محمدا .

فإن رجوع الضمير إلى المفعول المتأخر لفظا معقن عند الجمهور ، لئلا يلزم رجوعه إلى ما هو متأخر لفظا ورتبة ، فلو تقدم المرجع لفظا أو معنى أو حكما جاز ، وصح الأسلوب ، ولم يكن هناك ضعف تاليف ، فتقدم المرجع لفظا . مثل أكرم محمد صديقه .

وتقدمه في المعنى مثل : توارت بالحجاب ، أي الشمس .

وتقدمه في الحكم مثل : هو الله أحد ، ربه رجلا .

ومن شواهد ضعف التاليف قول الشاعر :

فلو أن مجدا خلد الدهر واحدا

من الناس أبقي مجده الدهر مطعما

### تناثر الكلمات :

هو أن تكون الكلمات ثقيلة على اللسان ، وإن كان كل منها فصيحة وهو قسمان :

(١) فتمت ما تكون الكلمات بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسر النطق بها متتابعة ، كما في البيت الذي أنشده الجاحظ :

وقيسر حرب يمكان قفســــر

وليس قرب قبر حرب قيســــر



(ب) ومنه ما هو دون ذلك كما في قول أبي تمام :

كريم متى أمدحه أمدحه والوري معي  
وإذا ما ألتقه ألتقه وحدي

فإن في تكرار قوله « أمدحه أمدحه » ثقلاً لما بين الصاء والهاء من  
التقافؤ .

### التعقيد :

أن لا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المراد به ، وله سببان :

أحدهما : ما يرجع إلى اللفظ وهو أن يختل نظم الكلام ، ولا يدري  
السامع كيف يتوصل منه إلى معناه ، ويسمى تعقيداً لفظياً ، وذلك كقول  
الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا  
أبو أمه حتى أبوه يقساريه

كان حقه أن يقول : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه ،  
فإنه مدح إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك ،  
فقال : وما مثله - يعني إبراهيم المدوح - في الناس حتى يقاربه ، أي أحصد  
يشبهه في الفضائل ، إلا مملكا ، يعني هشاماً ، أبو أم هشام أبو المدوح ،  
فالضمير في أمه للملك ، وفي أبوه للمدوح ، ففصل بين أبو أمه وهو مبتدأ وهو  
جده بـ حتى ، وهو أجنبي ، وكذلك فصل بين حتى ويقاربه ، وهو نعت حتى بأبوه ،  
وهو أجنبي ، وقدم المستثنى على المستثنى منه ، فهو كمسا تراه في غاية  
التعقيد ، فالكلام الخالي من التعقيد اللفظي ما سلم نظمه من الخلل ، فلم يكن  
فيه ما يخالف الأصل من تقديم أو تأخير أو إضمار أو حذف أو غير ذلك إلا وقد  
قامت عليه قرينة ظاهرة ، لفظية أو معنوية .

والثاني : ما يرجع إلى المعنى ، وهو أن لا يكون انتقال الذهن من المعنى  
الأول إلى المعنى الثاني الذي هو لازمه ، والمراد به ظاهراً ، كقول العباس  
ابن الأحنف :

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا  
وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

كنى بسكب الدموع عما يوجبه الفراق من الحزن ، واصحاب ، لأن من شأن البكاء أن يكون كناية منه ، كقولهم : أبكاني وأضحكني ، أي ساءني وسرني ، وكما قال الحماسي :

أبكاني الدهر ويا ربما  
أضحكني الدهر بما يرضي

ثم طرد ذلك في تقيضه ، فأراد أن يكتب عما يوجبه دوام التلاقي من السرور بالجمود ، لظنه أن الجمود خلو العين من البكاء مطلقا من غير اعتبار شيء آخر .

وأخطأ لأن الجمود خلو العين من البكاء في حال أراد البكاء منها ، فلا يكون كناية عن المسرة ، وإنما يكون كناية عن البخل كما قال الشاعر :

ألا أن عينا لم تجد يوم ( واسط )  
عليك بجاري دمعها لجمود

لو كان الجمود يصلح أن يراد به عدم البكاء في حال المسرة لجاز أن يدعى به للرجل ، فيقال لازالت عينك جامدة ، كما يقال لا أبكي الله عينك . وذلك مما لا شك في بطلانه .

فالكلام الخالي عن التعميد المعنوي ما كان الانتقال من معناه الأول إلى معناه الثاني - الذي هو المراد به - ظاهرا ، حتى يخيّل إلى السامع أنه فهمه من سياق اللفظ .

### ٣ - فصاحة المتكلم

هي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح .

#### معنى البلاغة

إذا عرض لك موضوع فعرفت ما يقتضيه المقام من المقال ، وقلت فيه من الكلام ما يحسن أن يقال في مثله ، وأخترت للمعاني من الألفاظ والجمل والأساليب ما يتناسب وعقول القارئ والسامعين وشعورهم وذوقهم ، فتلك هي البلاغة .

فالبلاغة هي أن تجعل لكل مقام مقال ، فتوجز حيث يحسن الإيجاز ، وتطنب حيث يجعل الاطناب ، وتؤكد في موضع التوكيد ، وتقدم أو تؤخر اذا رأيت ذلك أنسب لقولك ، وأوفى بقرضك ، وتخطب الذكي بغير ما تخطب به الغبي ، وتجعل لكل حال ما يناسبها من القول ، في عبارة فصيحة ومعنى محتار .

### - ٣ -

ويجب مراعاة ثلاث مطابقات حتى يكون الأسلوب تاماً وافياً بالغرض

١ - مطابقة الأسلوب للموضوع الذي يتكلم فيه ، فالموضوعات تختلف ضعة ورقياً ، والأفكار تختلف سذاجة وتعقيداً ، وسهولة ، وصعوبة ، فيجب أن يكون الأسلوب مسائراً لهذه الموضوعات والمعاني ، فيكون سهلاً في الموضوعات والمعاني السهلة ، جزلاً فيما يناسب الجزالة من الموضوعات والمعاني ، كما أن بعض الموضوعات يناسب الاطناب ، وبعضها يناسب الإيجاز ، وبعضها يحتاج الى أسلوب خطابي ، وبعضها الى أسلوب منطقي ، وهكذا .

والوسيلة الى ذلك تربية الذوق الأدبي عند الكاتب ، حتى يدرك أوفق الأساليب للموضوع الذي يتكلم فيه . وهذا الذوق جزء منه غريزي لا يدخل للانسان فيه ، وجزء مكتسب يكتسبه الكاتب بمخالطته للادباء المجيدين ، وبالمطالعة في الكتب الأدبية الراقية ، وبالمران على الكتابة الجيدة . فهو بهذا كله يستطيع أن يدرك الألفاظ والأساليب التي تناسب الموضوعات ، ويعلم أيها يحتاج الى قوة ، وأيها لا يحتاج ، وأي الكلام يناسب المقام وأي لا يناسب . وهذا الذوق الراقى هو غاية ما يصبو اليه الأديب .

يرى أنه لما فرغ الخليفة المعتصم من بناء قصره ، جلس فيه وجمع الناس من أهله وأصحابه ، وجلس على سريره الموضع بالجواهر ، وكلما دخل رجل اجلس في المكان اللائق به ، فما رأى الناس أحسن من هذا اليوم ، ثم أذن للشعراء أن يقولوا ، فقال اسحاق بن ابراهيم ، فكان أول بيت في قصيدته تشبيهاً بالديار القديمة ، والآثار الدارسة ، على عادة شعراء العرب في الجاهلية فقال :

يا دار غيرك المبلى فمحاك

يا ليت شعري ما الذي إليك

فتطير الخليفة وتطير الناس من قوله ، وانقبضت صدورهم ، وعصم  
الاسف . وسبب هذا كله قلة ذوق الشاعر ، وعدم التوفيق في الكلام والاسلوب  
الذي يناسب الموضوع .

٢ - مطابقة الاسلوب لعقلية القارئ والسماعين ، فيجب الا يكون  
الاسلوب عاليا جدا يصعب فهمه ، بل يجب ان يكون في متناول عقولهم ،  
يستطيعون ان يدركوه في سهولة ويسر .

وخير وسيلة لرعاة هذه المطابقة ان يكون الخطيب أو الكاتب على علم  
تام بعقلية الناس وطباعهم . والكتاب أو الرواية الجيدة التي تصادف نجاحا  
ويستحسنها الجمهور ، ليست هي الجيدة في افكارها وموضوعها ولغتها  
فحسب ، بل هي التي درس كاتبها - فوق ذلك - عقلية القارئ ، وكتب كتابه  
أو روايته على النمط الذي يفهمه ، وشعر بالصعوبات التي قد يجدها القارئ  
فذلها .

قال قائل لابي تمام ، وكان شعره غامضا ، وخياله بعيد المنال : « لم لا  
تقول ما يفهم ؟ » فقال ابو تمام : « لم لا تفهم ما يقال ؟ » ، والحق مع القائل  
لا مع ابي تمام ، فعلى الشاعر أولا ان يراعى عقلية جمهور السامعين  
لا الخاصة وحدهم .

٣ - مطابقة الاسلوب لنفس المتكلم أو الكاتب ، فكثيرا ما يتكلف في  
كتابه ، ويقلد غير شخصيته فيعرج كلامه سمجا ثقيلا الظل ، فترى بعض الناس  
يتحدث فيحسن حديثه ، فإذا كتب سمحت كتابته ، لأنه في الأولى مطابق  
نفسه ، وفي الثانية تابع غيره ، فخرج الكلام ، من روح غير روحه فسمج .

فتهذيب الذوق الأدبي حتى يعرف به ما يناسب الموضوع وما لا يناسب  
ومعرفة طبائع الناس وعقلياتهم ، وقسرة الكاتب على تصوير مشاعره  
واستمداده كلامه من روحه الى كل ما يلزم الأديب ليكون اسلوبه بليغا .

وننتقل من ذلك الاجمال الى التفصيل ، فنقول :

البلاغة بوصف بها الكلام والمتكلم ، ولا يوصف بها المفرد ، فنقول :

كلام بليغ ، ومتكلم بليغ ، ولا نقول : لفظ بليغ .

وكلمة اتصال Communication تمتاز بالتعبير عن الغرضية والتفاعل  
معاً ، بمعنى إنها تنطوي على معنى القصد أو التدبير ، وكذلك تعني التفاعل

**أو المشاركة** - واللفظ الاوربي مشتق من الأصل اللاتيني للفعل Communicare بمعنى : **يُذيع أو يشيع** وهذا هو **الاتصال الشخصي** ، أو بين شخص وعدة اشخاص ، أو جماعة ، وهو **الاتصال الجمعي المباشر** ، وقد يجرى بين شخص أو مؤسسة وعدة جماعات متفرقة لا تتصل ببعضها البعض ولا ترى مصدر الاتصال وجها لوجه ، وهذا هو **الاتصال الجماهيري (١)** ، الذي يعتبر **التحرير الاعلامي** صلبه ومطلقه ، اذ يتوسل هذا النوع بوسائل جماهيرية هي وسائل الاعلام .

وتشير دائرة المعارف البريطانية (٢) الى معنى الاشاعة ، أو مشاركة شيء ما بين شخصين أو عدة اشخاص أو عدة جماعات من الناس (٣) . ويؤكد خاصية التفاعل التي تميز **التحرير الاعلامي** من انواع التحرير الأخرى . كما يؤكد على نتائج تلك الاتصالات أو آثارها ، اذ لا يمكن تمييز الرسالة الاعلامية عن رسالة أخرى - مفهومة ومفوضة - الا عن طريق هذه النتائج أو ردود الاتصالات التي يمكن تقديرها . وهناك الكثير من تعريفات الاتصال ، منها التعريف الذي قدمه ليلاند براون Leland Brown وهو « ان الاتصال عبارة عن عملية نقل وتلقي الحقائق والآراء والمشعور والاتجاهات والاحساس وطرق الاداء والتفكير بواسطة رموز من شخص الى آخر » .

ونلاحظ تقاربا شديدا الصلة بين هذا التعريف للاتصال ، وغيره ، وبين المفهوم العربي للبلاغة التي تنبئ لغة عن « الوصول والانتهاء » (٤) . يقال : **بلغ فلان مراده اذا وصل اليه** ، وبلغ الركب المدينة اذا انتهى اليها ، وبلغه هو ابلاغاً ، وبلغه تبليفاً ، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت السلمي :

قالت ولم تصد لقل الخنى مهلا فقد أبلغت اسماعى

أي تد انتهيت فيه وانعمت ، وتبلغ بالشيء . وصل الى مراده . وبلغ مبلغ فلان ومبلغته . وفي حديث الاستسقاء : « واجعل ما انزلت لنا قوة **ويلغها** الى حين » . **والبلاغ** ما يتبلغ به ويتوصل به الى الشيء المطلوب . **والبلاغ** ما بلغك ، **والبلاغ** : الكتابة .

(١) دكتور ابراهيم امام الاعلام والاتصال بالجماهير ص ٢٤ .

(٢) طبعة ١٩٦٥ .

(٣) مجلة الفن الاداعي ٤٦٤ م ١٣ يناير ١٩٦٩ .

(٤) شروح التلخيص ج ١ ص ٧٣ .

وتقول له : في هذا بلاغ وبلاغة وتبلغ . أي كتابة ، وبلغت الرسالة ، والبلاغ الإيلاج وفي التنزيل « **الايلاها من الله ورسالاته** » أي لا أجد منجى إلا أن أبلغ عن الله ما أرسلت به ، **والإيلاج** : الإيصال ، وكذلك التبليغ ، والاسم منه البلاغ . . . وفي الحديث « **كل رافعة رفعت عنا من البلاغ فليبلغ عسا** » يروى بفتح الباء وكسرها ، وقيل من أراد من البليغين . . . وبلغت المكان بلاغا . وصلت إليه ، وكذلك إذا شارفت عليه ، ومنه قوله تعالى : « **فإذا بلغن أجلهن** » أي قاريهن ، وبلغت التخلّة وغيرها من الشجر : حان إدراك ثمرها ، وشيء بالغ أي جيد ، وقد بلغ في الجودة مبلغا . ويقال : أمر الله **بلغ بالفتح** أي بالغ من قوله تعالى : « **أن الله بالغ أمره** » وأمر بالغ وبلغ : ناقض يبلغ أين أريد به ، والبلاغة ، الفصاحة ، والبليغ : البليغ من الرجال ، ورجل بليغ ، وبلغ من الكلام فصيحته يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، والجمع بلفاء وقد بلغ بضم اللام بلاغة أي صار بليغا ، وقول بليغ : بالغ ، والبليغ ، التمام والبليغ ، الذي يبلغ للناس بعضهم حديث بعض (١) .

**والرأي عندنا أن الدلالة اللغوية العربية للبلاغة هي المقابل الصحيح لما** نسميه اليوم **يعلم الاتصال** Communication ، فإن فن البيان ، أو فن النقد ، أو فن البلاغة مما تشأ في العصر العباسي الثاني ، ومعنى ذلك أن العرب كانوا إذا أطلقوا لفظ البيان ، أو البلاغة ، لم تنصرف إلى علم خاص ، أو اصطلاح محدد ، وإنما كانت تنصرف إلى معانيها اللغوية (٢) ، ونعني بتأكيد أن الدلالة اللغوية للبلاغة أقرب لظاهرة الاتصال ، لأن الباحثين عن حياة البلاغة لا يلبثون أن يتعجلوا ظهور أقسام البلاغة الثلاثة ، من المعاني ، والبيان ، والبديع ، على ما استقر عليه الأمر في ذلك أخيرا (٣) . . . والنظر فيما عداه من أوليات الفنون الثلاثة يكشف بجلالة أنها ليست كذلك . فما كتبه الجاحظ ، ومعاصروه في القرن الثالث ليست إلا نظرات عامة ، مرسلة ، لا تلتحق بفن من الفنون الثلاثة ، بل تصبح نشرات من كل واحد منها ، وشذرات ، متفرقة ، ساذجة ، فليست من علم المعاني بممنهائه الأخير ، ولا تمسد أولية له . وليس في ذلك التأكيد أي غرض من قيمة البلاغة العربية ، وإنما على التقيض لأن دلائلها اللغوية أعمق بكثير حين تقابل المقصود من علم الاتصال وهو علم أشمل من دراسة الجزئيات البيانية أو البديعية ، هو علم أقرب حقيقة إلى ما يسميه الأستاذ أمين الخولي رحمه الله بفن « القول » كيف ويم يكون ، ولو أن في ذلك تحديدا لجانب من جوانب الاتصال أو البلاغة العربية ، ونعني به « **التصيير الاتصالي** » . ولذلك لم يهتموا بالتفريق بين البلاغة والفصاحة أولا ، كما يظهر

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة بلغ .

(٢،٣) أمين الخولي : مناهج تجديد ص ١٠٩ ، ١٢٢ .



من استعمال الجاحظ في البيان والتبيين ، وكما يقول أبو هلال العسكري - الصناعتين : ص ٧ ط الأستانة سنة ١٢٢٠ هـ - : « وإذا كان الأمر على هذا فالفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد ، وإن اختلف أصلاهما ، فإن كل واحد منهما إنما هو الإبانة عن المعنى والأظهار له » .

ولقد كان اختلاف في الأصل اللغوي سبب تفريق بينهما ، على حد تعبير الشيخ أمين الخولي ، ظل ينمو مع الزمن حتى استقر الاصطلاح التعليمي الغالب ، على أن الفصاحة توصف بها الكلمة والكلام والمتكلم ، وأنها تكون بدون البلاغة ، وأن البلاغة يوصف بها الكلام والمتكلم دون الكلمة المفردة ، ولا تكون بدون فصاحة ؛ وظلت الكتب المتأخرة تشير إلى إمكان التسوية بين الكلمتين ، وإن كنا نذهب إلى أن هذه التسوية إنما تندرج تحت إطار الظاهرة العامة التي يقابل فيها المسندول اللغوي العربي لكلمة « البسلاغة » مفهوم « الاتصال » بمعناه المتعارف عليه .

وعلى ذلك فإن الارتباط الوثيق بين اللغة والاتصال ، واعتبار اللغة أهم وسيلة في عملية التحرير ، لا يعني أن « اللغة والاتصال مترادفان » ، ذلك أننا إذا استمعنا إلى حوار أو مناقشة قصيرة بين اثنين أو أكثر ، فإننا سنستمع إلى عبارات متباعدة مثل : « الآن ، ماذا تحاول أن تقول كذا » ، و « ذلك ليس قصدي » ، و « في الواقع » ، يعني ، أريد أن أقول ... الخ ، الأمر الذي يبين لنا كيف أن قدرة البشر على استعمال اللغة - اللسانية - للتعبير عن ذواتهم ، لا يعني بالضرورة القدرة على تمكنهم من الاتصال بالآخرين ، وتحقيق أهداف هذا الاتصال . فاللغة اللسانية ليست في كل الأحوال مرادفة للاتصال ، لأن هناك الاشارات والعلامات وغيرها مما يقوم بوظيفة اللغة اللسانية (١) .

## نحو بلاغة جديدة

إن موضوع العلاقة بين البلاغة والأجناس الإعلامية يتطلب نوعا من الاتفاق حول المصطلحات الأساسية ، وربما يمكن لنا أن نصطنع هنا المنهج الذي يصطنعه علماء اللغة اللسانية عندما يفترضون وجود أصول مشتركة لجميع أو معظم اللغات اللسانية التي يتوصل بها الناس في الإبانة عن انفسهم والاتصال بغيرهم وهم يتصورون أن هناك سلالات لغوية وأن كل سلالة إنما انحدرت عن أصل أطلقوا عليه مصطلح اللغة الأم . وعلى هذا المنهج يستطيع الدارس لعلاقة

اللغة بهذه الأجناس الاعلامية ، أن يفترض أيضا وجود لغة يمكن أن تعد بمثابة الأم لجميع الفنون التي استوعبتها حضارة الانسان .

وإذا كنا قد ذهبنا الى أن الوظائف الاعلامية هي التي خلقت الوسائل أو الأجناس الاعلامية ، فإننا نستطيع أن نطرح هنا قانونا اعلاميا ، يذهب الى أن **البلاغة الجديدة ترتبط بكل جنس اعلامي** ، ذلك أن كل جنس أو وسيلة من وسائل الاعلام آثار كل منها أملا وأثار سخطا ، وأصمى كل منها وسيلة للتأثير ذات قوة وسيطرة على عقول الناس . ولكن هذه القوة وأحدة بينها جميعا ؛ ذلك أنها ليست كأخنة في الوسيلة ذاتها وإنما في النزعات المعمورة في أعماق الناس ، والتي يعبر عنها باللغة الانسانية ، جاءت وسائل الاعلام فظهرت تلك النزعات لكنها لم تخلقها كما أن مصدر هذه القوة نفسه متاح لهذه الوسائل جميعا . وإذا كان المصدر واحدا فإن الأساليب مختلفة ، لأن لكل جنس اعلامي أسلوبه وخصائصه الأمر الذي يجعل «الرسالة» الاعلامية ليست مضمونا فحسب وإنما .. « فن تطبيق الكلام المناسب للموضوع وللحالة وللوسيلة الاعلامية على حالة المستقبل » .. فاللغة في كل وسيلة من وسائل الاعلام تتميز بطبيعة جنسها الاعلامي الذي ينحدر نحو اختيار اللغة والأسلوب والبلاغة ، ولذلك فإن لغة الجنس الصحفي لها خصائص تتميز بها عن لغة الجنس الاداعي المسموع مثلا ، وليس ثمة تعارض بين الأجناس الاعلامية ، فالجنس الاداعي المسموع لم يقضى على الجنس الصحفي المقروء ، وقد أثبتت دراسات عديدة أن الاستمتاع الى الراديو لا يقتضي بالضرورة مع قراءة المادة المطبوعة ، وأن كان يتكامل معها ؛ فاللغة في كل وسيلة أو جنس اعلامي تختلف باختلاف القدرة الاتقاعية لهذه الوسيلة أو ذاك الجنس الذي له امكانيات وخصائص ومميزات ..

ولقد تنبه علماء البلاغة العربية الى ما نذهب اليه من أن اللغة هي الجنس الاعلامي ، تذكر من ذلك ما كتبه « أبو الحسين الكاتب » في كتاب « البرهان في وجوه البيان » ، والذي نسب خطأ لقدامة بن جعفر بعنوان « نقد النثر » يقول أن « البيان على أربعة أوجه فعنه بيان الاشياء بذواتها » وأن لم تبين بلغاتها ومعناه البيان الذي يحصل في القلب عند اعمال الفكر واللب ومعناه البيان باللسان ومعناه البيان بالكتاب وهو الذي يبلغ من بعد وغاب (١) .

---

(١) أبو الحسين الكاتب : ( تحقيق د . أحمد مطلوب و د . خديجة الحديني ) البرهان في وجوه البيان - بغداد ص ٦٠ وما بعدها .

وفي تقديرنا ان هذا العالم العربي الذي ألف كتابه بعد عام ٢٢٦ هـ .  
قد وضع لعلماء الاتصال تصنيفا علميا قبل أن يضع رويش Ruesch ويتسون  
Bateson تصنيفهما الرباعي للاتصال (١) والذي يتفق الى حد كبير مع  
تصنيف صاحب « البرهان » . وحيث يذهبان الى تقسيم الاتصال الى أربعة  
اقسام :

**الأول :** وهو الاتصال الذاتي Intrapersonal أي الاتصال بين الفرد  
وذااته . وهو يتمثل في الشعور والوعي والفكر والوجدان والعمليات النفسية  
الداخلية . وفي هذا الاتصال الذاتي يقع الوجهان الأولان عند صاحب  
« البرهان » يقول :

والأشياء تبين للذاطر المتوسم والمعاقل المثبين بذواتها ويعجيب تركيب الله  
فيها ، وإثار صنعته في ظاهرها كما قال تعالى : « ان في ذلك لآيات للمتوسمين »  
( سورة الحجر / ٧٥ ) وقال : « ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون »  
( سورة العنكبوت / ٢٥ ) .

« ولذلك قال بعضهم : قل للأرض : من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى  
ثمارك ؟ فان أجابتك حوارا والا أجابتك اعتبارا » فهي وان كانت صامتة في  
أنفسها فهي ناطقة بظواهر أحوالها . وعلى هذا النحو استنطقت العرب الربيع  
وخاطبت الطلل ونطقت عنه بالجواب على سبيل الاستعارة في الخطاب . وقد  
قال الله عز وجل في هذا المعنى : « أو لم يسيروا في الأرض فينتظروا كيف كان  
عاقبة الذين كانوا من قبلهم » ( سورة الروم / ٩ ) وقال الشاعر ( من  
الكامل ) :

يا ربيع عبلة بالجناب تكلم  
وابن لنا خيرا ولا تستعجم  
مالي رأيتك بعد اهلك موحشا  
خلقا كحوض الباقر المتشم

فاستنطق ما لا ينطق بلسانه ، لأن أحواله مظهره لبيانه ، وقال آخر  
فاجاب عن صامت غير مجيب ، لما ظهر من حاله للقلوب ( من الطويل ) :

---

Ruesch J. and Bateson G. Communication (N.V.) (١)

تأجبهت للقبول حين رأيته  
وكبر للرحمن حين رأيته

فقلت له : أين الذين عهدتهم  
حواليك في عيش وخير زمان

فقال : مضوا واستودعوني ديارهم  
ومن ذا الذي يبقى على الصدثان ؟

« وإنما تعبر هذه الأشياء لمن اعتبر بها ، وتبين لمن طلب البيان منها .  
وذلك جعل الله من أجل الآية فيها لمن توسم وتفكر وعقل وتذكر ، فقال : « أن في  
ذلك آيات للمتوسمين » و « أن في ذلك آيات لقوم يتفكرون » (سورة الرعد ٣)  
و « أن في ذلك آيات لقوم يعقلون » (الرعد / ٤) و « أن في ذلك آية لقوم  
يذكرون » (التحل : ١٢) ، فهذا وجه بيان الأشياء بذواتها لمن اعتبر بها ،  
وطلب البيان منها ، فإذا حصل هذا البيان المتفكر صار عالما بمعاني الأشياء  
وكان ما يعتقد من ذلك بيانا ثانيا غير ذلك البيان وخص باسم الاعتقاد » .

ومن ذلك يبين أن البلاغ العربي يقسم الاتصال الذاتي إلى قسمين ،  
يحدثان داخل الفرد ، وفي هذه الحالة فإن المرسل والمستقبل شخص واحد ،  
وهو - من هنا - يتفق مع النظرة الحديثة (١) التي تذهب إلى أن الاتصال  
الذاتي يتضمن الأنماط التي يطورها الفرد في عملية الإدراك ، أي الأسلوب  
الذي ييسر له الملاحظة والتقويم وإضفاء معنى على الأفكار والأشياء المحيطة  
به .

فال اتصال الذاتي إذن يضم وجهين من وجوه البيان عند البلاغ العربي  
هما : الاعتبار والاعتقاد ، وهو يشرح الوجه الأول فيقول (٢) :

« أن الظاهر من ذلك ما أدرك بالحمى كتيبنا حرارة النار وبرودة الثلج  
على اللقاة لهما ، أو ما أدرك بنظرة العقل التي تتساوى العقل فيهما مثل  
تيبنا أن الزوج خلاف الفرد ، وأن الكل أكثر من الجزء » ، والباطن ما غاب

1) Ronald L. Applbaum, et al, Fundamental Concepts in Human communication C.N.Y. : Harper and Row 1973). pp. 12-13.

و د- جيهان رشتي الأسس العلمية لنظريات الاعلام ص ٨٢ .

(٢) البرهان في وجوه البيان ص ٧٢ .

عن المحسى ، واختلفت العقول فى إثباته ، فالظاهر مستغن بظهوره عن الاستدلال عليه والاحتجاج له ، لأنه لا خلاف فيه . والباطن هو المحتاج الى أن يستدل عليه بضروب الاستدلال ، ويعتبر بوجوده المقاييس والأشكال ، والطريق الى علم باطن الأشياء فى ذواتها والوقوف على أحكامها ومعانيها من جهتين ، وهما : القياس والخير . -

والبلاغى العربى يذهب الى ما ذهب اليه العلماء المحدثون من أمثال برىكو ويزمان (١) من أن الكائن الحى يتأثر بمنبهات داخلية سيكولوجية وفسيولوجية ومنبهات خارجية موجودة فى محيطه يلقاها الفرد فى شكل نبضات عصبية تنتقل الى العقل الذى ينقل منها ويفكر فيها ، ويتخذ قراره وفقا لعملية تمييز ، تليها عملية اعادة تجميع للمنبهات التى تم اختيارها فى مرحلة التمييز ، ثم يتم ترتيب تلك المنبهات فى شكل خاص له معنى عند الفرد القائم بالاتصال الذى يحولها الى رموز فكرية ، قبل أن يبحث بها فى رموز مادية ملموسة يلقاها مستقبل آخر ، أى قبل أن يتحول الاتصال الذاتى الى نمط آخر من انماط الاتصال . -

ويذهب البلاغى العربى الى أن هذه العملية التى تحدث عنها « برىكو ويزمان » من بعد ، تتم عن طريقين هما : القياس والخير ، وحجته فى القياس « أن الله - عز وجل قال : « فاعقبوا يا أولى الألبصار » ( الحشر : ٢ ) وكذلك الأمثال التى جاءت فى كتابه ( « مثل كذا وكذا » فى مواضع كثيرة ، وذلك كله تشبيه وقياس ، وأيضا فقد قاس فى كتابه ، فقال لمن جرم وحل وهو جاحد للرسل الذين يأتون بالتحليل والتحريم : « أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا » ( الانعام / ١٤٤ ) وقال : « قل الله اذن لكم ، أم على الله تقرون » ( يونس / ٥٩ ) فلما لم يمكنهم أن دعوا أن الله سبحانه شافعهم بذلك ، وكان من قولهم واعتقادهم ابطال الرسل الذين يؤدون عن الله - عز وجل أمره ، تبين لهم أن الذى شرعوه لأنفسهم ضلال وبهتان من غير حجة ولا سلطان ، فقال لهم بعد أن تبين ذلك منهم : « فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضلل الناس بغير علم أن الله لا يهدى القوم الظالمين » - ( الانعام / ١٤٤ ) -

« ومن الحديث ما حدث به زبيد الايامى برفعه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « كل قوم على زينة من أمرهم ، ومقلعة عند

1) G. Wiseman and L. Barker, Speech-International Comm.

انفسهم يردون على من سواهم ، - والحق في ذلك يعرف بالمقايضة عند ذوى  
الالباب (١) ، +

وإذا كانت أوجه النشاط في الاتصال الذاتى تتفاعل وتتأثر بنظرة القائم  
بالاتصال في الحياة ، وبكل الاعتبارات الشخصية والورثة والثقافية  
والاجتماعية ، كما تتأثر بتجاربه (٢) فإنها تتوسل بالخبر كما تتوسل بالقياس  
وحجة ابن وهب (٣) في ذلك قول الله عز وجل : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم  
لا تعلمون » ( الأنبياء / ٧ ) . فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك «  
( يونس / ٩٤ ) . ولم يكن ليأمر بمصالتهم إذا لم نعلم إلا وأخبارهم تفسدنا  
علما ، وتزيل عنا شكا . ومن الأثر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
« نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها وأداها » وقوله : « ليلغ الشاهد منكم  
الغائب » ولم يأمر بذلك إلا وإبلاغ الشاهد الغائب يوجب الحجة ، واستماع  
الغائب من الشاهد يكسب علما وفائدة » (٤) .

وعلى ذلك يمكننا أن نقول أن نموذج البلاغ العربى في الاتصال  
يختلف عن كثير من النماذج التى وصفت عملية الاتصال ، وكأنها تسير فى  
اتجاه واحد ، وهو اقرب الى نموذج « بارنلند » (٥) من حيث أن الاتصال عنده  
ذو طبيعة دائرية أى تسير فى اتجاهين من المرسل الى المستقبل ، ومن المستقبل  
الى المرسل ، ولم يقتصر هذا النموذج على الخصائص البنائية للاتصال ،  
أى على المكونات مثل المصدر والرسالة والوسيلة والمستقبل ، بل يهتم أيضا  
بالملاقة الوظيفية التى تحكم الجوانب التكوينية وهو يؤكد أن الاتصال  
عملية ، كما يركز على العلاقات الفعلية التى تدخل فى ظاهرة الاتصال . وقد  
أكد « بارنلند » فى النموذج الذى قieme عن الاتصال أهمية الدلالات المتنوعة التى  
تصنع التأثيرات الداخلية والخارجية (٥) . أو « الاعتقاد » و « الاعتبار » ،  
كما يذهب الى ذلك « ابن وهب » . وقد رأينا أنه يذهب الى أن الاعتبار يتوسل  
بالقياس والخبر . والخبر منه يقين ومنه تصديق ، فاليقين ينقسم ثلاثة

(١) البرهان فى وجوه البيان نفس المرجع ص ٧٤ وما بعدها .

(٢) د . جيهان رشتى نفس المرجع ص ٩ .

(٣) البرهان فى وجوه البيان نفس المرجع ص ٧٥ .

(٤) البرهان فى وجوه البيان : نفس المرجع ص ٧٥ .

(٥) د . جيهان رشتى نفس المرجع ص ٩٨ .

3) Dean Barnlund, Interpersonal Comm : Survey and Studies  
(Baston : Houghton Mifflin (1968) pp. 26—27.



أقسام (١) . أحدهما : خبر الاستفاضة والتواتر الذي يأتي على السن الجماعة المتباينة منهم وارايتهم وبلدانهم ، ولا يجوز أن يلاقوا فيه ويتوا طاروا عليه ، ذلك يقين يلزم العقل الاقرار بصحته . وبهذا النوع من الأخبار الزمنا الله - عز وجل حجج الأنبياء عليهم السلام ونحن لم نشاهدهم ولم نراياتهم . والثاني : خبر الرسل عليهم السلام - ومن جرى مجراهم من الأئمة الذين قد قامت البراهين والحجج من العقل عند ذوى العقول على صدقهم وعصمتهم ، وظهور المعجزات التي لا يجوز أن تكون نوع من الحيل . والثالث : ما تواترت أخبار الخاصة مما لم تشهده العامة فإن تواترهم في ذلك نظير تواتر العامة (٢) .

وأما خبر التصديق فهو الذي يأتي به الرجل والرجلان والأكثر فيما لا يوصل الى معرفته من القياس والتواتر ، ولا أخبار المعصومين ولا يعلم الا من جهة الأحاد ، وذلك مثل الفتيا في حوادث الدين التي اهتلى بها قوم دون آخرين . وقد يستنبط علم باطن الأشياء بوجه ثالث وهو **الظن والتخمين** وذلك فيما لا يوصل اليه مقياس ولا يأتي فيه خبر . وفي الظن حق وباطل (٣) .

وهكذا يذهب ابن وهب الى أن ما تبين عنه الأشياء بذواتها في الاتصال الذاتي يقوم على « **اليقين** » ، وهو ما تعترف العقول بصحته ويلزمها الاقرار به . و « **تصديق** » وهو تقنع النفوس به ، وإن كان في الممكن أن يقع أو غيره أوكد من موقعه . و « **ظن** » قد احتيط فيه حتى وقع موقع اليقين عند مستعملة (٤) .

أما بيان « **الاعتقاد** » فإنه يشكل مع بيان « **الاعتبار** » ما يحدث في عقل المرسل والمستقبل ، الأمر الذي يوضح أهمية الإطار الذي يحدث فيه الاتصال ، والقالب الاجتماعي الذي يحدث فيه التفاعل ، ذلك أن الأشياء اذا بينت بذواتها للعقول وترجمت عن معانيها وبواطنها للقلوب ، صار ما ينكشف للعتبين من حقيقتها معرفة وعلماً مركزين في نفسه . وهذا البيان على ثلاثة أضرب فمنه : حق لا شبهه فيه ، ومنه علم مشتبّه يحتاج الى تقويته بالاحتجاج فيه ، ومنه باطل لا شك فيه (٥) .

ويذهب . . « **بارنلند** » الى أن نقل المعنى في الاتصال الشخصي أمر شديد التعقيد ، ديانمي ومستمر ودائري لا يتكرر ولا يرتد . وإن المعنى « **يخالقه** » أو

(١) البرهان - نفس المرجع ص ٩٠ .

(٢ ، ٣ ، ٤) البرهان - المرجع ص ص ٩٠ - ١٠١ .

« يصنعه » القائلون بالاتصال حينما يستجيبون للدلالات المادية والسيكولوجية عند القائمين الآخرين بالاتصال ، وذلك مع دلالات أخرى موجودة في الظروف المحيطة . ولعلنا نستطيع الاستفادة من نموذج « بارتلند » في فهم الاتصال الذاتي عند البلاغى العربى .

في هذا الشكل يتضح أن الفرد نظام اتصالى يكف الرمز ويعطى لرموز عديدة متوافرة في مجال ادراكه عن طريق تمثيل الأشياء التي يميزها حسيا الى دلالات او رموز لغوية تظهر للآخرين . وهناك على الأقل ثلاثة أنواع من العلاقات أو الدلالات الادراكية التي يعطيها الفرد معنى في هذا الطرف هي (١) :

ما يسميه ابن وهب (٢) : « الحق الذي لا شبهة فيه أو « علم اليقين » . واليقين ما ظهر من مقدمات قطعية لظهور الحرارة للمتطلب عند توقد اللون وسرعة النضج واحمرار البول ، أو عن مقدمات ظاهرة في العقل كظهور تساوى الأشياء إذا كانت مساوية لشيء واحد ، وكظهور زيادة الكل على الجزء . . . أو عن مقدمات خلقية مسلمة بين جميع الناس كظهور قبح الظلم ، وكل خبر أتى على التواتر من العامة أو التواتر من الخاصة أو سمع من الأنبياء وكل هذا يوجب العلم . وعن شك في شيء منه كان اثما ، ولذلك صار من شك في اليارى - عز وجل كافرا ، لأن نتيجة المعرفة به عن مقدمات ظاهرة للعقل . وكذلك من شك فيما تواترت به الرواية أو تضمنه الكتاب الذي نقله من تجب بنقله الحجة » (٣) .

وهذه الدلالات قد تتكون من المشتبه الذي يحتاج الى التثبت فيه ، وإقامة الحجة على صحته ، فكل نتيجة ظهرت عن مقدمات غير قطعية ، ولا ظاهرة للعقل بأنفسها ولا مسلمة عند جميع الناس ، بل قد تكون مسلمة عند أكثرهم . أو يظهر للعقل تغيرها ، وتغير الفحص عنها ، والاستدلال عليها ، وذلك كراى كل قوم في مذاهبهم ، وما يحتجون به لتصحيح اعتقاداتهم ، ونحلهم . وكل خبر أتى به الآحاد والجماعات التي لا يبلغ خبرهم أن يكون متواترا بل يجوز على مثلهم في العادة الاجتماع على الكذب والاتفاق عليه إذا كانوا عدولا ولم يخالف قولهم ما جرى به العرف والعادة ، وذلك مثل روايات كل قوم فيما اعتقدوه واخبارهم عن أهل العدالة عندهم فيما اجتلبوه ، وكل من قويته شواهد وكان الاحتياط في الراى والدين تغليبه ، وكل هذه الأمور التي

(١) د جيهان رشتى : نفس المرجع ص ١٠١ .

(٢) البرهان ص ١٠١ .

عديناها فانما يأتي العلم بها على التصديق لا على اليقين ، والحجة على معنى الافتناع لا البرهان ، وهي توجب العمل ولا توجب العلم » (١) .

ومن ذلك يتضح ان الدلالات قد تكون عامة ، وقد تكون خاصة ، قد تكون لفظية وقد تكون غير لفظية في شكلها ، وأن وجهي البيان اللذين ذكرهما ابن وهب : **الاعتبار والاعتقاد** ، انما هما وجهان للاتصال الذاتي ، بالمصطلح الحديث . والاعتبار والاعتقاد كما تحدث عنهما البلاغى العربى يكشفان لنا عن الطريقة التى يتصل بها الانسان مع نفسه و « يتفرد بها وحده » على حدة تعبير ابن وهب (٢) .

**والنوع الثانى من الاتصال في تقسيم « رويس » و « بيتسون » هو الاتصال الشخصى ، أى بين فرد وفرد آخر ، وهنا يعانى الاتصال من فقد بعض المعلومات .** ويقابل هذا الاتصال الشخصى ، في تصنيف ابن وهب (٣) : **البيان باللسان** ، ذلك أن ما يعتقده الانسان من بيان الاعتقاد ويحصل منه غير متعدد الى غيره قد أراد الله عز وجل أن يتم منه فضيلة الانسان ولذلك خلق له اللسان وانطقه بالبيان ، فخبّر به عما في نفسه من الحكمة التى آفادها ، والمعرفة التى اكتسبها ، فصار ذلك بيانا ثالثا ، أوضح مما تقدمه ، وأعم نفعا . لأن الانسان يشترك فيه مع غيره ، والذي قبله انما يتفرد به وحده الا أن البيانيين الأوليين بالطبع ، فهما لا يتغيران . وهنا البيان ، والبيان الآتى بعده بالوضع فهما يتغيران بتغير اللغات ، ويتباينان تباین الاصطلاحات . لا ترى أن الشمس واحدة في ذاتها ، وكذلك هي في اعتقاد العربى والعجمى ، فاذا صرت الى اسمها وجدته في كل لسان من الالمن بخلاف ما هو في غيره . وكذلك الكتاب فان الصور والحروف تتغير فيه بتغير لغات اصحابه وأن كانت الأشياء غير متغيرة بتغير الالسن المترجمة عنها . ولشرف البيان وفضيلة اللسان قال امير المؤمنين عليه السلام : « المرء مخبوء تحت لسانه فاذا تكلم ظهر » . وهذا من اشرف الكلام وأحسنه وأكثره معنى وأخصره ، لأنك لا تعرف الرجل حق معرفته ، الا اذا خاطبته وسمعت منطقته ، ولذلك قال بعضهم وقد سئل : في كم تعرف الرجل ؟

قال : « ان سكت في يوم ، وأن تطلق في ساعة ، وقال بعض الحكماء : « ان الله - سبحانه - اعلى درجة اللسان على سائر الجوارح فانطقه بتوحيده » .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٢ .

(٢،٣) البرهان ص ٦٠ .

وإذا كان الاتصال الذاتي يحدث داخل الفرد ، فإن الاتصال الشخصي يحدث بين فردين ، بحيث نجد نفس عناصر الاتصال الذاتي في عملية الاتصال الشخصي . ومن النماذج اللفظية المصورة الأولى النموذج الذي قدمه « كلود شانون » سنة ١٩٤٨ ، على أساس من المفاهيم الرياضية بحيث يشمل مصدرا يختار رسالة يتم وضعها في رموز بواسطة جهاز إرسال يحول الرسالة إلى اشارات ، ثم يقوم جهاز الاستقبال بفك الرموز ، ويحولها إلى رسالة يستطيع الهدف استقبالها . والتغيرات التي تطرأ على الرسالة في جهاز الإرسال وجهاز الاستقبال ترجع إلى حدوث التشويش . وقد قال « شانون » أن الاتصال يمكن دراسته من الناحية الفنية « بتأكيد المشاكل الفنية في إرسال الإشارة » أو من الناحية الدلالية ( بتأكيد مشاكل المعنى ) أو من ناحية التأثير بتأكيد الفئات السلوكية ( ١ ) .

وقال الشاعر العربي ملخصا هذا النموذج :

وهذا اللسان يريد الفؤاد  
د . يدل الرجال على عقله

وقال آخر :

وكأن ترى من صامت لك معجب  
زيادته أو نقصه في التسكلم

فاللسان ترجمان اللب ويريد القلب ، والمبين عن الاعتقاد بالصحة والفساد ، كما قال الشاعر ( من الكامل ) ( ٢ ) :

إن الكلام لفي الفؤاد وانما  
جمل اللسان على الفؤاد دليلا

وفيه الجمال كما قال الله عز وجل - « ولتعرفنهم في لحن القول » ( محمد ٣٠ ) وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سألته العباس فقال : فيم الجمال يا رسول الله ؟ فقال : في اللسان . لأنه لا كان المنقص للناس شاعلا والجهل في أكثرهم فاشيا وكان كثير منهم .

أما الرابع فهو الاتصال الثقافي Cultural حيث تتفاعل البيئة الثقافية في شكل عمليات اجتماعية ، تتنوع فيها المعلومات والمؤثرات والمنظمات ،

(١) د . جيهان رشقي ، نفس المرجع ص ١١١ .

Claude Shannon and Warren Weaver, The Mathematical Theory of Comm. (Urbans, 1969).

(٢) البرهان في وجوه البيان ص ٦٢ .

وتلعب الجماعات الموجهية والكلمات والأساطير ووسائل الاعلام أدوارها المعقدة للغاية . وقد ذهب « رويش وبيتسون » الى أن الاتصال الانساني نوع من الاتصال الالكتروني ، غير أن البحوث التي أتت فيما بعد أخذت توحي أن التعرض للمعلومات ليس تعرضا سلبيا ، لأن الجمهور المستقبل يلعب دورا ايجابيا في استقبال الرسالة ، ولا تقوم الرسالة في واقع الأمر الا بإعادة تنظيم العناصر النفسية عن طريقة الرمز أو الإشارة أو الموضوع ، وكثيرا ما يرفض المستقبل الرسالة ولا تؤثر فيه إذا كان ذلك يتمارض مع قيمه ومبادئه والكاره (١) .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فإن البلاغى العربى حين يتحدث عن البيان بالكتاب ، إنما يتحدث عن نوع من الاتصال مختلف عن الاتصال الذاتى ، والاتصال الشخصى ، ذلك أن البيان بالكتاب كما يقول « ابن وهب » (٢) : « الذى يبلغ من عهد وغاب » . ذلك أن الله عز وجل أراد أن يعم بالنفع فى البيان جميع اصناف العباد وسائر آفاق البلاد ، وأن يساوى فيه بين الماضين من خلقه والآتين ، والأولين والآخرين ، ألهم عباده تصوير كلامهم بحروف اصطالحوا عليها ، فخلدوا بذلك علومهم لمن بعدهم وعبروا به عن الفاظهم ، وثألوا به ما بعد عنهم ، وكملت بذلك نعمة الله عليهم ، وبلغوا به الغاية التى قصدوا عز وجل فى أفهامهم وإيجاب الحجة عليهم ، ولولا الكتاب الذى قيد على الناس أخبار الماضين لم تجب حجة الأنبياء على من أتى بعدهم ، ولا كان النقل يصح عنهم ، ولذلك صارت الأمم التى ليس لها كتاب قليلة العلوم والآداب ، وقد امتدح الله عز وجل تعليم الكتاب فى كتابه ، وبين احتجاجة على الناس به فقال : « اقرأ وريك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » ( العلق ٢ ، ٤ ، ٥ ) وقال عز وجل : « أو لم تأتهم بيئنة ما فى الصحف الأولى » ( طه ١٢٣ ) وقال : « أثبتونى بكتاب من قبل هذا أو إثارة من علم أن كنتم صادقين » ( الأحقاف ٤ ) .

فالاتصال بالجماهير إذن يتم من جانب واحد لكى يبلغ من « عهد وغاب » على حد تعبير البلاغى العربى ، فلا تتاح للقارئ أو المستمع أو المشاهد طريقة سهلة لكى يوجه الأسئلة ، أو يعقب أو يستوضح ما عرض عليه ، وإذا كان الاتصال الشخصى يمتاز بتعديل الرسائل المتبادلة على ضوء رجع الصدى Feedback من المستقبل الى المرسل ، فإن وسائل الاعلام تفقد هذه الميزة

(١) د . إبراهيم أمام : الاعلام والاتصال بالجماهير ، مرجع سابق

ص ٦٤ .

(٢) البرهان فى وجوه البيان : نفس المرجع ص ٦٦ وما بعدها .



الكبيرة ، ولكنها تحاول التمييز عنها بدراسات تجريبيها على الجماهير وميولها واتجاهاتها (١) .

فيختلف الاتصال بالجماهير عن الاتصال الشخصي ، من حيث انعدام الطابع المواجهي ، وفقدان صفة التخاطب مع فرد بعينه ، ولذلك قيل : « الكتاب أحد اللسانين » ، باعتبار الكتاب وسيلة من وسائل الاتصال بالجماهير ، وقيل : « القلم ابقى اثره واللسان اكثر هذرا » وقالوا : « اللسان مقصور على الشاهد » ( اى الاتصال الشخصي ) والقلم ( الاتصال الجماهيرى ) ينطق فى الشاهد والقاسم \* وقال بعضهم : « استعمال القلم أجسدر أن يحضر الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام » (٢) ذلك أن المرسل فى الاتصال الجماهيرى يختار الفئة التى يوجه اليها رسالته .

وقد أصبح الاتصال بالجماهير بعد التقدم التكنولوجى فى المجتمع ، قادرا على الوصول الى عدد ضخم من الناس ، ولهذا السبب لا يتطلب الأمر وجود عدد كبير من وسائل الاتصال كما كان فى الماضى . فالرسالة فى الاتصال الجماهيرى « تقرا بكل مكان وقدرى فى كل زمان » و « اللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوز الى من بعده » (٣) . وهذا يشبه تماما ما يحدث فى أنظمة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية حيث يؤدي الانتاج الضخم للسلع بقليل من المصانع الى انتاج كميات هائلة من سلعة معينة (٤) .

ولقد تبين مما سبق عناية نموذج الاتصال بالمرسل والرسالة ، وسنحاول هنا أن نتناول عنصرى المستقبل والوسيلة ، فوفقا لنموذج « ويلبور شرام » تتكون عملية الاتصال الجماهيرى من فكرة او باعث Ide or impulse فى عقل المرسل ، وقد تكون الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون كذلك . والعنصر الثانى هو التعبير الشكلى او تحرير الرسالة Formal Expression ، وقد عنيت البلاغة العربية بهذين العنصرين عناية كبيرة ، واقدم الآثار التى عرفها تاريخ البلاغة هو تلك الصحيفة التى كتبها « بشر بن المعتز » ( ت ٢١٠ هـ ) . ولكن البلاغة العربية عنيت كذلك بالعنصر الثالث فى عملية الاتصال الجماهيرى ونعنى تفسير المستقبل للرسالة Receiver Interpretation ، وهو ما عبّر عنه بمطابقة الكلام لملقضى الحال . ويقول بشر بن المعتز فى ذلك أن مدار

(١) د . ابراهيم امام : نفس المرجع ص ٣٨ .

(٢) البرهان فى وجوه البيان ، نفس المرجع ص ٢١٤ .

(٣) د . ابراهيم امام : نفس المرجع ص ٢٩ .

الشرف على الصواب واحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام  
من المقال (١) .

وينبغي للمتكلم ( المرسل ) أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين  
أقدار المستمعين ( المستقبل ) وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك  
كلاما . . ولكل حال من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ،  
ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك  
الحالات (٢) . ومعلوم أن هذه المطابقة ترتبط بالعنصر الرابع في عملية الاتصال  
الجماهيري وهو : استجابة المستقبل Receiver Response للرسالة ، وردود  
الأفعال التي قد تحصل أو لا تصل إلى انتباه المرسل للرسالة الأصلية ، ولمسه  
من أجل ذلك انتهى البلاغيون في حد البلاغة إلى تلك الكلمة الموجزة « مطابقة  
الكلام للمقتضى الحال » .

فإذا وصلت ردود الأفعال هذه فانها تكون عنصرا خامسا ، وهو رجع  
الصدى وتفسير المستقبل للرسالة ، أو عملية فك رموز رد الفعل بالنسبة  
للرسالة ، وفي « الأغاني » أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش فعسا  
قبولها منها كان مقبولا وما ردودها كان مردودا ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة  
التميمي فأنشدتهم قصيدته : ( هل ما علمت وما استودعت مكتوم ) .  
فقالوا : هذا سمط الدهر ، ثم عاد إليهم العام القابل ، فأنشدتهم قصيدته :  
( طحاك قلب في الحسان طرب ) . فقالوا : هاتان سمطا الدهر (٣) .

ويبدو أن من الشعراء النسابيين من كان يقوم في سوق عكاظ مقام  
( المستقبل ) في عملية الاتصال الذي يفك الرموز ويفسر معناها ، ثم يستجيب  
لها معبرا عن رده أو انطباعه برسالة جديدة يصوغها في رموز ويبعث بها إلى  
المرسل الأول الذي يستقبلها ويحل رموزها ويستجيب لها ، ويدرك رسالته  
التالية على أساسها . ففي أخبار النابغة الذبياني أن الشعراء الناشئين كانوا  
يحتكمون فيها إليه وكان في أثناء ذلك يبدى بعض الملاحظات على معاني  
الشعراء وأساليبهم ، ويقال أنه فضل الأعشى على حسان بن ثابت وفضل  
الخنساء على بنات جنسها ، وثار حسان عليه وقال له : أنا والله أشعر منك  
ومنها ، فقال له النابغة حيث تقول ماذا ؟ قال حيث أقول :

---

(٢٠١) البيان والتبيين للجاحظ ١/١٣٦ ، ١/١٣٩ - د . خفاجي :  
الإيضاح في البلاغة ص ٧٩ .  
(٢) الأغاني ط سلمي ١١٢/٢١ .



لنا الجففات الغر يلعبن بالضحي  
 وأسيفنا يقطرن من نجدة دعا  
 ولدنا بنى العنقاء وابنى مصرق  
 فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما (١)

فقال له النابغة : « انك لشاعر لولا انك قلت عدد جفانك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك » . وفي رواية أخرى : « فقال له : انك قلت الجففات فقلت العدد ولو قلت الجفان لكان أكثر » . وقلت : يلعبن في الضحي ، ولو قلت يبرقن بالدجي لكان أبلغ في المديح ، لأن السيف بالليل أكثر طروفاً . وقلت يقطرن من نجدة دعا فدلت على قلة القتل ، ولو قلت : يجرين لكان أكثر لانصباب الدم ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك فقام حسان منكرا منقطعا » (٢) .

ويقول الجاحظ عن النبي عليه الصلاة والسلام « انه لم ينطق الا عن ميراث حكمة ولم يتكلم الا بكلام قد حف بالمعصية » وهو الكلام الذي القى الله عليه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الاقحام ، وقلة عدد الكلام مع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معادوته ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط اعم نفعا ولا اقصد لفظا ولا اعدل وزنا ولا اجميل مذهبا ولا اكرم حظيا ولا احسن موقعا ولا اسهل مخرجا ولا اقصح معنى ولا ابين في فحوى من كلامه صلى الله عليه وسلم » (٣) .

وتأسيسا على هذا الفهم يذهب الجاحظ الى انه « ان كان الخطيب متكلماً تجنب الفاظ المتكلمين ، كما انه ان عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا او محبياً او سائلاً كان أولى الالفاظ : الفاظ المتكلمين ، اذ كانوا لتلك العبارات افهم والى تلك الالفاظ أميل ، واليها أحسن ، وبها أشغف ولأن كسار المتكلمين ورؤساء النظارين كانوا فوق أكثر الخطباء ، وأبلغ من كثير من البلغاء وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعاني ، وهم استقروا لها من كلام العرب تلك

---

(٢،١) العنقاء : ثعلبة بن عمرو ومزيقياء أحد الأجداد الأزد القدماء في اليمن ، ومعروف أن الخزرج قبيلة حسان ازدية - ويريد بالمحرق جبلة بن الحارث أمير الغساسنة في الشام لأوائل القرن السادس وهم أيضاً من الأزد ( الأغاني ط دار الكتب ٢٤٠/٩ - شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ص ١١ ) .

(٢) البيان والتبيين ١٧/١ .

الأسماء ، وهم اصطلاحوا على تسمية ما لم يكن له فى لفظة العرب اسم ، فصاروا فى ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا : العرض والجوهر وايمس وليس ، وفرقوا بين البطلان والثلاثى وذكروا الهزيمة والهوية والماهية وأشياء ذلك .. وانما طارت هذه الألفاظ فى صناعة الكلام حين عجزت الأسماء عن اتساع المعانى .

ولعل دراسة صاحب البرهان : كانت أول دراسة علمية للاتصال واللوانه وفنون تحريره ففيه دراسة للمنظوم والمختور والخطابة والترسل وأدب الجدل وأدب الحديث ، وفيه دراسة لخصائص الرسالة الاتصالية ، كالتشبيه ، واللحن ، والرموز ، والوحى ، والاستعارة ، والتقديم ، والتأخير ، وقلة التكلف ، والمشكلة فى المطابقة . ولقد تميز البرهان بدراسة الوسيلة ، أو « قناة الاتصال » من حيث ارتباطها بالرسالة حين تحدث عن « البيان باللسان » و « البيان بالكتاب » ، وبذلك يكون قد أجمل الحديث عن الاتصال الذى لخصه « لازويل » فى قوله الماثور : من - قال - ماذا - فى أية قناة - لمن - ما كانت النتيجة والأثر ؟ ذلك أن الاتصال كما يقول « شرام » - يحاول إقامة مشاركة مع المستقبل ، فالمرسل يحاول توصيل معلوماته أو مشاعره التى يحولها الى كلمات مسموعة : ( البيان باللسان ) أو مكتوبة ( البيان بالكتاب ) على حسب تعبير ابن وهب . فالوسيلة هى المنهج الذى تنتقل به الرسالة من المرسل الى المستقبل ، فكما يتطلب انتقال الصوت من مصدره الى أذن المستمع وسيطا تنتقل فيه الموجات الصوتية ، كذلك يتطلب انتقال الرسالة من المرسل الى المستقبل أو بالعكس ، وسيلة ما تسمى أحيانا قناة . ومن هذه الوسائل أو القنوات اللغة اللسانية والاشارات والرسم والتشثيل ... إلخ . وتستخدم الاختراعات الحديثة مثل السينما والراديو والتليفزيون فى توصيل الرسالة الى عدد كبير من الناس .

فالفظة وهى الرموز اللغوية المسموعة ( البيان باللسان ) والمكتوبة ( البيان بالكتاب ) من أهم وسائل الاتصال استخداما وأكثرها شيوعا . ولذلك ذهبنا الى أن البلاغة هى الوسيلة أو الجس الجس الاعلاى . ذلك اننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نفصل بين اللغة والرعاء الذى يحملها الى المستقبل . وقد تعرفنا على الارتباط الوثيق بين الرسالة والجمهور ، وضرورة التناغم والمشاركة بينهما ، وهذا الجمهور هو الذى يستقبل الرموز البلاغية ويعمل على ترجمتها الى آراء وأفكار .

ونستعير هنا تعبير « الأجناس الاعلامية » من دراسات الأدب وبحوث « فالأجناس الأدبية » بالفرنسية Genres Littéraires وبالإلمانية Gattungsliteratur وبالاسبانية Literarischen gattungen أما في الإنجليزية فلم يستقر التعبير Literary genres إلا أخيراً في أوائل القرن العشرين ، وكان النقاد الإنجليز يستخدمون أحيانا كلمة Species kinds أى أنواع أو أصناف ، وكذلك الحال في بحوث النقاد في أمريكا ولا يزال بعضهم يستخدم مع الكلمة المستعارة من الفرنسية الكلمات الأخرى السابقة (١) .

وهذا التعبير في تصورنا من أكثر التعبيرات تصويراً للبلاغة الجديدة التي ترتبط بالوسائل الاعلامية المختلفة ارتباطاً لا انفصام له بحيث تغدو « البلاغة هي الوسيلة » .

وإذا كان هذا التعبير يصدق على الأدب فهو يصدق على الاعلام بالدرجة الأولى ولقد كان نقاد الأدب اليوناني ، وعلى رأسهم أفلاطون وأرسطو ، ولا يزال النقاد ، في الآداب المختلفة ينظرون إلى الأدب بوصفه أجناساً أدبية ، ونحن هنا ننظر لفنون الاعلام ، على أنها أجناس اعلامية ، أى قوالب عامة فنية تختلف فيما بينها - لا على حسب محرريها أو مصوريها ، أو مكانها أو لغاتها فحسب - ولكن كذلك على حسب بيئتها الفنية وما تستلزمه من طابع صلب يشتق أساساً من طابع الوسيلة الاعلامية ، ومقوماتها المميزة لها عن غيرها من الوسائل - وهو الطابع الذي يفرض نمطاً من التعبير مميزاً من حيث الصياغة التعبيرية الجزئية - والتحرير الاعلامي العام الذي ينبغي الا يقوم الا في ظل الوحدة الفنية للجنس الاعلامي ، وهذا واضح كل الوضوح في الفن الاداعي والفن الصحفي والفن المرئي في التلفزيون والسينما ، بوصفها أجناس اعلامية يتوحد كل جنس منها على حسب خصائصه مهما اختلفت اللغات والأشكال التي ينتمي اليها .

فالبلاغة الجديدة إذن صيغ أو قوالب فنية عامة ترتبط بوسائل الاعلام ، وتقوم على أساس من هذا الارتباط مميزاتها وقوانينها الخاصة . وهي تحتوي على قصول أو مجموعات ينتظم خلالها الانتاج الفني الاعلامي ، على ما فيها من اختلاف وتعقيد - فالفن الصحفي يحتوي على فصول من التحرير مثل : فن الخبر الصحفي وفن الحديث الصحفي وفن المقال وفن التحقيق الخ من فنون التحرير وقوالبه في الصحافة - كما نجد أن الفن

(١) د . غنيمي هلال : الأدب المقارن ص ١٢٩ .

الاذاعي يحتوي على مجموعات أخرى مثل : فن الخبر الإذاعي - الحديث الإذاعي - التعليق - التثيلية الإذاعية - البرامج الخاصة الثقافية ٠٠٠ الخ . من الفنون التي تمثل في مجموعها جوهر « الجنس الإذاعي » في اجتناس الاعلام ، وهي الفنون التي ينطبق عليها بوصفها « وسائل » قانون « البلاغة هي الرسالة » وفي الأدب يحدث نفس الشيء تقريبا حيث يختلف مستوى التعبير اللغوي بين الاجتناس الأدبية على نحو ما نجد في الشعر من : ملحمة ومأساة وشعر تعليمي (١) .

وتأسيسا على هذا الفهم ، فعلينا أن نميز في قانون « البلاغة هي الوسيلة » بين الجنس الصحفي ، والجنس الإذاعي ، والجنس المرئي في الاجتناس الاعلامية على وجه الاجمال . وسنجد أن الجنس الإذاعي المسموع يمثل فيه الصوت مكان الرمز المدون في الجنس الصحفي ، ويفتقد العنصر المرئي في الجنس التلفزيوني أو السينمائي ولكننا في البلاغة الجديدة نجد « مجمعا » للفنون أن صبح هذا التعبير ، فهي تضم في أعطافها حضارة بأسرها بما في ذلك العادات والتقاليد ، ومقومات الكيان الاجتماعي العام . ولكل جنس اعلامي مقوماته الخاصة وقوانينه واستعدادات يتطلبها وفقا لطبيعة وسيلة الاعلام التي ينسب اليها ، وطبيعة الفن الذي يتوكل به ، وعلى هذا تشبه الاجتناس الاعلامية الى حد ما الكائنات والاجتناس ، والأسر ٠٠٠ الخ . على نحو ما هو معروف في التاريخ الطبيعي بانها مجموعة من الأفراد تتفق في الصفات ، بحيث يمكن وضع كل مجموعة تحت اسم خاص ، وفي نفس الوقت تنفصل عن المجموعات الأخرى لما لها من صفات لا تتفق مع صفاتها الخاصة . وهكذا نجد أن الجنس الإذاعي مثلا يتميز بمجموعة من الفنون الخيالية والواقعية الاعلامية والتعبيرية التي تتفق في الصفات العامة رغم ما بينها من فوارق لا تؤثر على طبيعتها العامة .

وإذا كان بوالو Boileau وغيره من النقاد في القرنين السابع والثامن عشر قد ذهبوا الى اعتبار الاجتناس الأدبية قوالب جامدة وصورا ثابتة غير متحركة ، تتكون في زمن ما من أجزاء متعددة ، ولا تخضع في المستقبل لأي تغيير . فان ثورة الاعلام والدراسات المرتبطة بوسائله وفنونه وتأثيره دحضت هذا الاتجاه ، ذلك أن الاجتناس الاعلامية توحى دائما بقبولها للتطور والرقى شأنها شأن الاجتناس الحيوية ، أو بعبارة أخرى فان اللغة في كل جنس اعلامي تتميز بخصائص كل وسيلة ، فاللغة في مستواها الصحفي مثلا تسمح

M.L. AGBE CI-VINCENT

(١) نظرية الأنواع الأدبية لمؤلفه

ترجمة : د . حسن عون ص ٢٧ .

للقارئ، بالسيطرة على ظروف التعرض الاعلامي ، وقراءة الرسالة أكثر من مرة ، فضلا عن أن لديه فرصة تطوير الموضوع في مساحة أكبر ، وفقا لأهميته ، وتشير التجارب الى أن المواد المعقدة من الأفضل تقديمها مطبوعة عن تقديمها شفويا ، ولو أن نفس الميزة لا تسري على المواد البسيطة السهلة ، وعن الأفضل استخدام التحرير الصحفي في مخاطبة الجماهير المتخصصة ، والجماهير صغيرة الحجم ، لأنه يقتضى من القارئ جهدا أكبر من ذلك الذى يقتضيه التحرير في الأجناس الاعلامية الأخرى .

فالقارئ لا يحس بأنه شخصا جزء من عملية التحرير الاعلامي ، كما يشعر مستمع الراديو أو المشاهد للسينما ، لأنه لا يشعر بأن الحديث موجه اليه شخصيا ، ولكنه في نفس الوقت جزء من العملية أو مشترك فيها أكثر لأنه مضطر الى المساهمة الخلاقة في نوع من أنواع الاتصال غير الشخصى ، ويفترض بعض الباحثين أن مثل هذه المساهمة الخلاقة لها مزايا اقناعية (١) .

وتأسيسا على هذا الفهم يمكن القول أن البلاغة الجديدة عن طريق الوسيلة تعنى أن المستوى اللغوي لا يستقل عن تكنولوجيا وسائل الاعلام ذاتها ، فالكيفية التى يتم بها التحرير اللغوي في كل جنس على حدة تؤثر وتتأثر بضموم تلك الوسائل وهذه الوسائل التى هي امتداد لحواسنا - كما يقول ماكلوهان ، هي أجناس اعلامية لكل جنس منها مستواه اللغوي في التحرير ، ويقتضينا ذلك أن نعرف طبيعة كل جنس حتى نتمكن من السيطرة عليه واستخدامه الاستخدام الأمثل في تطبيقات البلاغة الجديدة .

لقد ظل الاعلام طوال تاريخه كله فعلا في محاربة التمييز ، على حصد تعبير « شرام » ، الذى يقول أن دلالة تنمية الطباعة في القرن الخامس عشر ليست في أنها حولت الثقل الذى ظل قرونا طويلة على الاتصال المنطوق المباشر، حولته الى الاتصال البصري المنسوخ على نطاق واسع ، لم تفعل ذلك فحسب ، بل مدت ، وهو الأهم نطاق المعرفة ، فلم تعد مقصورة على حفنة من المحظوظين ، وأصبحت أداة الطباعة ما بين يوم وليلة أداة للتعبير السياسى والاجتماعى . الثورات التى اندلعت في أوروبا وشمال أمريكا ، لولا الطباعة ، لربما ظلت في طي العدم . والمدارس العامة كان من غير المحتمل ، أن لم يكن مستحيلا أن تقوم لها قائمة لولا الطباعة . وظهرت في القرن التاسع عشر تطورات جديدة في الاتصال الجماهيري ، لتقدم الاعلام والمعرفة لجماهير الناس فوق رموس المحظوظين والخاصة من المتعلمين ، الديمقراطية السياسية والفرص

---

(١) د . جيهان رشتي : نفس المرجع ص ٢٤٢ .



الاقتصادية والتعليم العام المجاني والثورة الصناعية ، والاتصال الجماهيري تشابكت جميعها في تسيج واحد لتحدث تغييرا عظيما في حياة البشر ومجتمعاتهم في قارات عدة . والآن يتحول الثقل مرة أخرى بفعل المستحدثات الالكترونية في الاتصال نحو الاتصال الذي يستطيع المرء ان يرى فيه ويسمع الموصل .

ولأن لوسائل الاتصال هذه القدرة الفائقة على التبليغ والاعلام - فاننا نستطيع ان نقول عن يقين ان في تصورها ان تؤدي خدمات جوهرية للغة التي تعكس بطبيعة الحال حضارة الانسان . قالحضارة كما يقول الدكتور أحمد أبو زيد ، لا تنعكس في شيء مثلما تنعكس في الكلام ، واللغة بحيث يذهب بعض الكتاب الى القول بان كل ما يظهر في لغة مجتمع من المجتمعات ، من نقص او قصور هو دليل قاطع على مدى تخلف ذلك المجتمع في ركب الحضارة ، فالخبرة الانسانية المتراكمة على مدى الزمن تنعكس في اللغة وتجد تعبيراً لها فيها ، سواء اتخذ ذلك التعبير شكل الكلام العادي او الكفارة المعروفة او الرسوم والفقرى التصويرية التي تركها الانسان المبكر على جدران الكهوف . او حتى في الانجسازات الفنية المختلفة من معمارية او موسيقية او حركية كالرقص والتعميل الصامت ، مادامت كلها مترجمة في آخر الامر الى الفاظ وتصورات ومفاهيم ، ومادامت تعبر عن مشاعرنا وافكارنا ، وتنقلها الى الآخرين فاللغة حتى في معناها الضيق الرقيق الذي يقتصر على الكلام . والكتابة عنصر اساسي في حياة البشر ، اذ بدونها يصعب قيام الحياة الاجتماعية المتماسكة المتكاملة . وبالتالي يستحيل قيام الحضارة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من نظم اجتماعية وانماط ثقافية وقيم اخلاقية ومبادئ ومثل ، بل وحياة مادية ومخترعات ، لانها هي أداة التفاهم والاعلام ، الذي هو أساس التعاون بين افراد الجماعة (١) ، فكثيرون ممن يعيشون في مجتمع تقليدي يرون حسرة سحرية في وسائل الاعلام الحديثة عند لقائهم بها لأول مرة ، وهم على حق فهي سحر كما قال الهروفي حكيم ، لولبور شرام . لانها تستطيع ان تأخذ الانسان الى تل أعلى مما يمكن ان نرى على الأفق ثم تجعله ينظر فيما وراءه ، وهذا يعني لغراض وجود علاقة قوية بين الاعلام واللغة والحضارة . ولقد درج الكتاب على الكلام عن لغة الحضارة وكيف أن حضارة معينة بالذات تجد لها تعبيراً ولغزماً ، وصادقا في الفاظ ومصطلحات اللغة السائدة في المجتمع الذي توجد فيه . فمفردات اللغة والأساليب والتصورات وبناء الجملة ، والتراكيب اللغوية، والتشبيهات والاستعارات ، وما الى ذلك في المجتمع الصناعي الحديث الذي

(١) د . أحمد أبو زيد ، حضارة اللغة في عالم الفكر ، الكويت - أبريل

يتميز بتعدد نظمها الاجتماعية والاقتصادية ، وبشعور أعضائه بفرديتهم الذاتية تختلف اختلافا جذريا من مفردات اللغة وبنائها وأساليبها في المجتمع البدوي القبلي ، الذي يعيش على الرعي والترحال والذي يرتبط الفرد ارتباطا وثيقا بالجماعة القبلية التي ينتمي اليها بحيث تكاد شخصيته تفتى وتذوب تماما في تلك الجماعة . ويذهب الدكتور أبو زيد (١) الى دراسة فكرة تتصل بموضوعنا من قريب وهي فكرة حضارة اللغة التي يشير اليها أنها مستعارة من عبارة عارضة ، وردت في محاضرة للفيلسوف الرياضي الشهير الفرد نورث وايتهيد ونشرها في كتاب بعنوان انماط الفكر (٢) ويذهب الدكتور أبو زيد الى أن ثمة حضارة معينة هي حضارتنا الانسانية يرتبط وجودها ارتباطا قويا باللغة بحيث يمكن القول أنه لولا وجود هذه اللغة لما قامت هذه الحضارة أو ظهرت حضارة أخرى من نوع مختلف عن حضارتنا المعروفة ، فالجنس البشرى يمتاز على بقية الكائنات العضوية الحية ، بما فيها القردة العليا التي تعتبر أقرب هذه الكائنات العضوية اليها بالفكر واللغة ، وعلى الرغم من أن القردة العليا بالذات تعيش في تجمعات يتميز بعضها بكبر الحجم ، وعلى الرغم من قدرتها على تعلم بعض الحركات ومحاكاة بعضها ، فإنها تفتقر الى اللغة والى الحضارة بالمعنى الذي نفهمه من هاتين الكلمتين .

وتأسيسا على هذا الفهم فإن دراسة البلاغة الجديدة تنظر الى اللغة أساسا على أنها عامل من عوامل هذه الحضارة ، بل ان هذه الحضارة ، كما يذهب الى ذلك الدكتور أبو زيد ، لم تكن لتقوم أصلا لولا وجود اللغة التي تعتبر أيضا من أهم خصائص الانسان بل وعاملا فاصلا في التمييز بينه وبين غيره من الكائنات ، فاللغة أداة هامة من أدوات الحضارة وعامل أساسي في نشأتها واستمرارها وتطورها .

وإذا كان الاكتفاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافي لا يعني شيئا أكثر من أن اللغة لها أساس ثقافي أو حضاري ، كما يفعل علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع ، فإن هناك الآن بعض العلماء يحاولون اثبات أن الشعوب التي تتكلم لغات مختلفة تعيش في « عالم من الواقع » مختلفة ، وأن اللغات التي يتكلمونها تؤثر بدرجة كبيرة في مدركاتهم الحسية وفي انماط تقليدهم ، وأنها بذلك ، وحسب تعبير « سابير » تكون هي العامل الأساسي في توجيه الحقيقة الاجتماعية أو الواقع الاجتماعي Social Reality الذي يعيش فيه الناس الذين يتكلمون تلك اللغات ، فالتناس لا يعيشون في المسام

(١) نفس المرجع .

(٢) د . أحمد أبو زيد : نفس المرجع .



الموضوعى الخارجى وحده ، كما انهم لا يعيشون فى عالم النشاط الاجتماعى فقط كما يظن الكثيرون من العلماء ، وانما هم خاضعون لرحمة اللغة التى يتخذونها أداة واسطة للتعبير ، فعالم الواقع أو الحقيقة يرتكز الى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا توجد لغتان متشابهتان تشابهها كاملا بحيث تعتبران ممثلتين لنفس الحقيقة ، أو الواقع الاجتماعى ، فالعالم الذى تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم متمايزة اذن وليست عالما واحدا الصقت عليه أسماء وعناوين مختلفة (١) .

وعلى ذلك فى البلدان التى تعم فيها وسائل الاتصال لدى المرشح السياسى فرصة كبيرة ، ما لم يعرفه الناس عن طريق هذه الوسائل ، ومن دراسة عمليات السياسة دراسة دقيقة ، انتهى الرأى الى أن وسائل الاتصال لا تعبر تعبيرا مباشرا فى قرار نسبة كبيرة من الناخبين عن تمنحه صوته ، ولكنها ذات تأثير كبير فيما يتحدث عنه الناس فى أثناء الحملة من شتى الوسائل فهى بتركيزها الانتباه على مسائل معينة دون غيرها تستطيع أن تجعل لهذه المسائل دورا اكبر تؤديه فى الحملات الاعلانية كذلك يهدف الكثير منها الى تركيز الانتباه على صنف معين أو سلعة ما ، يصدق هذا بنوع خاص فى الحالات التى لا يوجد فارق كبير فيها بين السلع المتنافسة اللهم الا فى الاسم ، فى مثل هذه الحالات اثبت الاعلان قدرة الوسائل الاعلامية على تركيز انتباه الجميع على اسم معين دون أسماء اخرى .

وهنا يتفق الاتجاهان : الاعلامى واللغوى الحديث ، بحيث يمكن أن يوضح اتجاه « بنيامين فورف » (١) ما يعنيه الاتجاه الاعلامى القائل بأن وسائل الاتصال الجماهيرية هى التى تحدد صورة البيئات فى اذهاننا ، وانها لذلك تستطيع أن تركز الانتباه ، وهنا يقول « فورف » اننا نقوم بتقسيم الطبيعة حسب خطوط معينة رسمتها لنا لغانا ، وهذه الفئات والأنماط التى تفصلها من عالم الظواهر لا يتم العثور عليها ، لأنها تواجهنا ، أو لأنها أمور واضحة أمام أعيننا ، وانما الأمر على العكس من ذلك تماما ، بمعنى أن العالم الخارجى أو الواقعى هو مزيج من العناصر والعلاقات والظواهر المختلفة المتباينة الى أبعد حدود التباين ، وان العقول الانسانية هى التى تتدخل لتكشف عما فيه من تنظيم ، ووسيلتنا الى ذلك هى الأنساق اللغوية التى توجد فى تلك العقول الانسانية ذاتها ، فنحن الذين نقوم بتقسيم الطبيعة وتجزئتها وتنظيمها فى شكل مفهومات

1) Sapir, E.; Language, Harcourt Brace, N.Y. 1921, pp. 21—3.

(٢) د . احمد أبو زيد ، المرجع السابق ذكره ص ٢٦ .

(١) د . أبو زيد : مرجع سبق ذكره ص ٢٦ وما بعده .

وتصورات ، ونعطيها بذلك أو أثناء ذلك معاني محددة تحديدا دقيقا ويعطينا ، غورف ، أمثلة عديدة تبين لنا بدقة كيف أن اللغة تتدخل لتقسيم الواقع الاجتماعي بعدة طرق وأساليب مختلفة ، ويظهر ذلك على وجه الخصوص حين نقارن نسقا معينا بالذات من الأساق الاجتماعية لتري الدور الذي تقوم به اللغة في تقسيم الطبيعة ، وكيف تنظر الجماعات التي تتكلم لغات مختلفة الى الشيء الواحد نظرات مختلفة وتتصوره أيضا بطرق وأساليب مختلفة (١) .

وقد ذهبت البحوث الحديثة الى أن لكل وسيلة من وسائل الاعلام خصائصها ومزاياها الفريدة ويقوم بعض هذه الخصائص على مجرد التامل النظري ، بينما يقوم البعض الآخر على أساس تجريبي ومن ذلك (٢) :

١ - أن الوسائل المطبوعة تسمح بأن يتحكم القارئ في وقت قراءتها ، وفي فرض هذه القراءة . كما تمكنه من إعادة الاطلاع على مضمونها وتسمح بالتاني في هذا الاطلاع الى حد كبير .

٢ - يصل الراديو الى الجمهور بطريقة مختلفة - غالبا - عن الطرق التي تصله بها الوسائل الأخرى ، وهو وسيلة تتميز بغير في الثقافة إذا ما قورنت بالوسائل الأخرى . ويقدم الراديو للمستمع درجة ما من المشاركة في الأحداث الفعلية المذاعة ، وذلك بحكم كونه أكثر اقترابا من الاتصال الشخصي أو اتصال الوجه للوجه ، ويتميز الراديو بقدرات عالية في الانعاز والتأثير لأنه عادة ما يكون الوسيلة الأولى في تقديم المواد للجمهور إلا أنه ليس هناك من البحوث ما يدعم هذا الحديث عن الراديو أو يرفضه .

٣ - من المعتقد أن الشاشة تتمتع باقناع فريد ومميزات شعبية حيث انها تقسم المادة مرئية وبطريقة ملموسة غير مجردة . ومن المعتقد أن هذه الأوضاع الملموسة بالإضافة الى عوامل أخرى تجعل الفيلم قادرا على السيطرة الوجدانية ، وبخاصة على الأطفال ، كما ذهب الى ذلك بعض الباحثين - بينما ظهر من البحوث أن الأطفال يقبلون المواد المقدمة في الفيلم دون مناقشة ، تجد أن آثار السينما على الجماهير العادية مازالت بحاجة الى دراسة ومازال هناك تساؤل أيضا - حول الفعالية المتباينة لوسائل الاتصال الأخرى بالنسبة لهكذا الجمهور .

(١) د . أحمد أبو زيد ص ٢٦ .

Whorf, B.L. : «Science and Linguistics», The Technology Review, Vol. 42, 1940, p. 231.

(٢) د - محمود عودة : أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي ص ٨٧ .

٤ - ينظر الى الاتصال الشخصي أو اتصال الوجه للوجه - عموما - بوصفه أكثر الاموات فعالية بالنسبة للناس ، وفيما يتعلق بعملية الاتصال أو التأثير لما يتميز به من قدرات ومرونة وعرض أثنى للجزاء والعقاب ، بالإضافة الى الخصائص الأخرى النابعة من العلاقة الشخصية المتضمنة في عملية الاتصال الشخصي .

٥ - أن استخدام وسيلة من وسائل الاتصال الجمعي مدعمة ومعضدة بالاتصال الشخصي يحقق نجاحا باهرا ، وهو من أهم مميزات الحملات الناجحة وخصائصها ويعتقد بعض الباحثين أن هذه الطريقة تعتبر تدبيرا اتصاليا متفوقا من حيث التأثير والاقناع .

على أن هناك وجهة نظر اعلامية متممة يحددها شرام في قوله أن الصورة التي لدينا عن البيئات البعيدة في المجتمع العصري تجبثا في معظمها عن طريق وسائل الاتصال بالجمهير ، ونتيجة ذلك أن حصة كبيرة من الآراء فيما يتعلق بالأشخاص وذوى الأهمية أو ذوى الخطورة ، وكذلك بالأشياء المهم منها وغير المهم تجيء بالضرورة عن طريق وسائل الاتصال .

فالمصحفة والراديو والمجلة ، هي كما يقول شرام : : تقوم بدور « المهيمن على القتل » وتبين عليها أن تقرر ما تبلغ عنه عملية الاختيار هذه ؛ أي اختيار من تكتب عنه أو من تسلط عليه الكاميرا أو من تقتطف من اقواله أو من تسجل لهم من حوادث ، هذه العملية تتحكم بدرجة كبيرة في وسائل الاعلام . ويقول الدكتور أبو زيد : أن طرائق وأساليب التفكير في المجتمعات المختلفة تختلف من حيث أنواع الرموز التي يستخدمها الناس في هذه المجتمعات ، وأنواع الأشياء التي يعتقدون بأهميتها ، بالنسبة لهم ، وكذلك في الطرق التي يمثلون بها لأنفسهم العالم الفيزيقي والاجتماعي والأخلاقي الذي يعيشون فيه من البديهيات الايستولوجية كما يقول « جون بيتي John Beattie » أن الناس يرون ما يتوقعون رؤيته ، وأن أنواع مدركاتهم تتحدد بدرجة كبيرة ان لم يكن كلية - بالنسبة الى الأرضاع الاجتماعية والثقافية التي يعيشون فيها . على أن ذلك يؤكد أن اللغة لا تعرف التحجر ، وهي قادرة على العمل من خلال قدرة كامنة ، وهي لا تفنأ بتغيير شكلا ومعنى . تتغير حروفها وأصواتها أو صيغها وبنائها . أو من ناحية معناها . فقد تنتقل الكلمة من معنى الى آخر وتضيف الى معناها معنى آخر جديدا دون أن تترك الأول .

---

(١) مرجع سبق ذكره .

وأن تطور لغة ما مرتبط بتطور الأقوام التي تنطق بها ، واللغة والتطور عنصران متلازمان وهما سمة المجتمعات منذ أقدم العصور ولا سبيل لتفصيل لغة على أخرى ، وإنما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات وإثراء تراثها التعبيري .

فالأمة البدائية حتما لغتها بدائية وغير مصقولة ، ومفتقرة إلى عديد من العبارات والألفاظ التي تؤدي المعاني الحسية والمجردة ، فهي لذلك تقتصر على التعبير عن تفكير هذه الأمة ووسائلها الثقافية المحدودة ، وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافته نموا تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير ، وأعطاه كل سمة لفظا مناسباً (١) .

إن اللغة تمنح الإنسان بالاضافة إلى وراثته ، البيولوجية ، خطا آخر للاستمرار يجعل الثقافة وتراكم المعرفة أمرا ممكنا .

وقد أتاح العلم الحديث للغة إمكانات ووسائل متعددة للتعبير عن دقائق الأحكام العقلية ، في صورها النظرية والتطبيقية ، كما أتاح للألفاظ المعنوية انطلاقات جديدة حالت بها نحو وضوح أكثر وتخصيص أدق ، وأصبحت الكلمات بفضل تقدم الآداب وفنون الإعلام والاتصال بالجمهور غنية بالمدلولات التي تعمقت أغوار النفس البشرية وحاجات الإنسان ، حتى صار عدد من الألفاظ اللغة عالما من الإشارات والرموز المعبرة عن أدق المعاني المجردة وأعقبا (٢) .

وكان من الطبيعي أن يشهد الإحساس بالحاجة إلى لغة اعلامية ذات بلاغة جديدة لتقوم بحاجات الوسائل الجماهيرية في الاتصال بأعداد الناس الغفيرة ولتناسب التنوع في هذه الوسائل إلى وسائل مكانية ووسائل زمانية وأخرى مكانية زمانية .

وكنتيجة للسباق العلمي الرائع الذي يتجاوز الممكن إلى المستحيل يقهر العقوق الطبيعية في عالمنا ، بحيث أصبح في الإمكان إرسال التقارير الاعلامية ويثأ عبر الفضاء واستقبالها بواسطة أجهزة الاذاعة المرئية والمسموعة ، كما أصبح في مقدور الآتار الصناعية أن تستخدم في إرسال البرامج التليفزيونية وغيرها .

---

(١) مجلة اللسان العربي : العدد السادس ص ١٩ - المغرب ١٣٨٨ هـ .

(٢) مجلة اللسان العربي : العدد الأول ص ٢٨ - ١٣٨١ هـ .

وترتبط هذه اللغة في بلاغتها الجديدة ارتباطا مباشرا بمفهوم الوسائل الجماهيرية مقروعة ومسموعة ومرئية ووظائف هذه الوسائل من اتصال وتنشيط وإقناع وترويض ومشاركة ذهنية وقلبية ، كما ترتبط بنظرية التصدير الجماهيري حيث أصبح من المتعذر نقل المعلومات عن طريق الاتصال الشخصي المباشر كما كانت الحال في عهود سابقة من تاريخ الانسانية ، وأصبح الاتصال الجماهري أمرا حكميا لتدقق المعلومات الى جماهير الناس الفقيرة .

ومن الطبيعي أن تختلف اللغة في سياقها الجماهيري الجديد عن لغة الاتصال المباشر ، اختلاف البلاغة الجديدة عن البلاغة القديمة التي تتطلب بنية وخصائص تختلف عن ذي قبل . فالخطيب الذي كان في مقدوره تلقي ردود أفعال جمهوره المحدود ، ومواجهة هذه الأراجاع بمنهج بلاغي مقنع ، لم يعد في إمكانه . في الوسائل الجماهيرية أن يتعرف مباشرة على جمهوره ، الأمر الذي يجتم على لفته أن تبني صلة جديدة افتقدت بينه وبين جمهوره ، بمحاولة التعرف على مستويات جمهور المستقلين ، ومواجهة هذه المستويات المختلفة بلغة مفهومة مقنعة يتوفر فيها عنصر المشاركة والتشابه في الخبرات بينه كمرسل وبين جمهوره كمستقبل .

وتتطلب هذه البلاغة الجديدة من خلال الاتصال الجماهيري بذل جهود تهدف الى تحقيق أمرين :

أولا : معرفة الهدف من الاتصال .

ثانيا : كيفية استعمال اللغة في بناء الرسالة لتحقيق المشاركة والفهم .

وتأسيسا على هذا الفهم فإن اللغة في نظرية الاتصال ليست عنصرا منفصلا أو منعزلا عن بقية العناصر الأخرى ، فهي ترتبط بالضمون ارتباطا وثيقا ، لأن رسالة بلا مضمون . هي رسالة عاجزة عن الوصول الى الناس .

كما أن التعرف على جميع الاحتمالات الذهنية والظروف الطبيعية لكل مستقبل على حدة ، رغم صعوبة أمر أساسي يقتضي محاولة الوصول الى الكمال في تطوير الأسس الفنية لاستخدامات اللغة ، حتى يتسنى للرسالة الاعلامية تحقيق التأثير المنشود .

ويرتكز هذا التطوير على دراسة علم الاتصال الجماهيري وخصائص



ومسائله جميعا (١) انطلاقا من الاسس التقليدية لفنون التحرير الصحفي والكتابة للأجهزة الجديدة كالإذاعة والتلفزيون والسينما .

وعلى ذلك فإن بناء الرسالة الاعلامية لغويا ينبغي أن ينشأ عن مقتضيات الاسلوبية والبلاغية لكل وسيلة من وسائل الاعلام والاتصال بالجمهور ، ووفق الخبرات والمفاهيم المشتركة بين المرسل والمستقبل والتغلب على الحواجز والقيود والمعوقات التي تحول دون ذلك .

ولقد أدرك « جون ديوى » أهمية الوسيلة فى الإبداع الفنى والاحساس الجمالى ، فاللوحات مثلا - حينما ينظر إليها على أنها مجرد وسائل توضيحية لبعض المشاهد التاريخية ، أو لأى إنتاج أدبى أو لبعض المناظر المألوفة فإنها عندئذ لا تدرك بالاستناد الى وسائلها الخاصة وحينما ينظر إليها بالاقترار على الرجوع الى الصنعة أو التكنيك المستخدم فى صناعتها أو تكوينها ، فإنها عندئذ لا تدرك ادراكا جماليا ، وذلك لأن الوسائل أيضا انما هى منفصلة عن الغايات ، وبالتالي فإن تحليل الوسائل قد حل محل الاستمتاع بالغايات (٢) . والوسيلة فى صميمها « وسيط » فهو تتوسط بين المرسل والمستقبل ( المتدقق أو المدرك ) .

فحينما يأخذ الفنان المرسل على عاتقه عملية الخلق لا يكون العمل من خليط من المناظر والأصوات مأخوذا اعتباطا بل أن أحجار بناء العمل تكون قد نظمت بالفعل فى نمط ثابت هو الوسيط الفنى (٣) أو وسيلة الاعلام .

وعلى ذلك فإن « الرسالة » الاعلامية تتألف من العناصر الحسية التى قد تكون بصرية أو سمعية والتى اختيرت من « الوسيلة » ويتميز « المرسل » بحساسيته لموسيط معين (٤) فلهذه وهى زائد بطيئ الأصوات أو الألوان أو الألفاظ . ونظرا الى أن المادة الاعلامية ليست جامدة بل هى نابضة حية وظيفية . فإنها تعمل على توجيه مجرى النشاط الاعلامى . أنك لا تستطيع أن

---

(١) أنظر الدكتور إبراهيم امام : العلاقات العامة والمجتمع ص ٩٩ وما بعدها فى دراسته القيمة لخصائص الوسائل المكانية والزمانية والمكانية الزمانية وسميزات كل منها .

(٢) جون ديوى : ( ترجمة د . زكريا إبراهيم ) الفن خبرة ص ٣٣٦ .

(٣) جيروم سولنتينز : ( ترجمة د . فؤاد د . زكريا ) النقد الفنى دراسة جمالية وفلسفية ص ٣٢٦ - ص ٣٢٨ .

(٤) نفس المرجع .

تصنع من الفخار نفس ما يمكنك أن تصنعه من الحديد الخام إلا إذا كان ذلك غصبا وافتعالا . فالاحساس الذى يبعثه العمل يكون مختلفا كل الاختلاف . ذلك لأن المعدن يتحدك ويستحثك ٠٠ على أن تصنع منه شيئا معينا . حيثما أحسست بتماسكه ومرونته (١) وكذلك الحال فى تعامل اللغة مع الأجناس الاعلامية سواء كانت مكانية أو زمانية أو مكانية زمانية ، ويقصد بالأجناس المكانية تلك التى تشغل حيزا فى مكان كالطبوعات والصور ، والفنون التشكيلية ، وهى جميعا وسائل بصرية أو منظورة ، أما الأجناس الزمانية فهى التى تتسلسل فى وقت زمنى كالإذاعة والتليفزيون والأحاديث المسموعة ، وهى وسائل شقوية أو سمعية وتعتبر الافلام الناطقة والتليفزيونية والحادثات الشخصية المباشرة أجناسا مكانية زمانية لأنها تشغل حيزا مكانيا ووقتا زاميا فى نفس الوقت وهى وسائل بصرية وسمعية .

ويتفق هذا التصنيف للأجناس الاعلامية مع تصنيف الفنون بالاستناد الى أعضاء الحس وقد تعرض بعض الباحثين المحدثين للجهد الذى قام به « كانت » فى سبيل قصر مادة الفنون على الحاستين العاقلتين الراقيتين إلا وهما العين والأذن . ولكن حسينا أن نقول مع « ديوى » (٢) « أنه مهما كان من اتساع نطاق بعض الحواس ، فإن من الحق مع ذلك أن أى حس جزئى إنما هو مجرد نقطة أمامية أو مركز طليعة لنشاط عضوى شامل ، تشترك فيه كل الأعضاء بما فيها وظائف الجهاز العصبى المستقل ( أو السميثاوى ) ، حقا أن العين والأذن واللحم قد تأخذ مركز الصدارة فى مهمة عضوية خاصة ولكنها ليست دائما العامل الأوحد أو الأهم ، اللهم إذا كان الحارس جيشا بأسره » .

وتقسيم الأجناس الاعلامية الى أجناس زمانية وأخرى مكانية تقسيم يجرى بعد حدوث العمل الاعلامى فضلا عن أنه خارجى صرف ، فهو لا يلقى أى ضوء على المضمون الجمالى لأى عمل فنى (٣) وكذلك ( المضمون الاعلامى ) وهكذا يقوم هذا التقسيم على أساس اعتبار سمات الآثار الاعلامية كائنات مادية خارجية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢٨ برنارد بوزانكيت : ثلاث محاضرات فى علم الجمال ، ص ٦٩ - ٦٠ .  
(٢،٣) نفس المرجع ، ص ٣٦٧ .





## **الباب الثالث**

### **البلاغة في نظرية الاعلام**



## البلاغة في نظرية الاعلام

يقول الفيلسوف الانجليزى « هوبز » Hobbes : مثل الكلمات بالنسبة للعقلاء كمثل محل دفع النقود فانهم لا يفعلون أكثر من تقديرها وعدها - ولكنها بالنسبة للبلهاء النقود نفسها » \*

ذلك ان اللغة نسق من الاشارات موجود فى أى مجتمع ومن أجل هذا المجتمع فهى من أهم وسائل الاتصال والتفاهم بين الأفراد والجماعات وهى ظاهرة متشعبة النواحي « اشارت ألوانا شتى من البحث والدراسة وإذا تركنا جانباً ما يتصل بها من دراسات أدبية ونحوية وصرفية فانها وجهت الى بحوث أخرى متعددة فعرضها علماء وظائف الأعضاء ليعرفوا كيف تؤدى وبينوا أعضاء النطق والصوت ورسدوا فى اختصاص الجهاز العضوى للغة وعالجها علماء النفس لما رآوا من صلة وثيقة بين العمل الذهنى والدلالات اللغوية وعنى بها علماء الاجتماع مابينين نشأتها وتطورها ، ومقارنين بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة ومعلنين ان اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية من عوامل ومؤثرات ونظر الى اللغة أخيراً على أنها جزء من التاريخ يسجل الماضى ويحكى الأحداث بل هى نفسها قطعة تاريخية متحركة يجب درسها ويبحث معالمها » (١) \*

وإذا كان مفهوم البلاغة قد ظل زمناً طويلاً مفهوماً غير محدد فإن نظرية ظهرت فى الأعوام الأخيرة تسمح لنا بأن نقوم موضوعياً كمية المعلومات التى تتضمنها أى رسالة سواء كانت الرسالة مذكرة عن موضوع ما أو قصيدة للمعناد أو حديثاً هاتلياً أو مقطوعة موسيقية لعبد الوهاب ... الخ . وتسمى هذه النظرية باسم نظرية الاعلام التى انبثقت من مشكلات عملية خالصة لموضع العالم الأمريكى « كلود شانون » فى عام ١٩٤٨ (٢) أساس نظرية الاحتمالات فى الاعلام ويعدده بدأ عديد من الباحثين تطبيقها فى مجالات واسعة من العلوم كالأحياء واللغة والفلسفة والوراثة والفنون والرياضيات وعلم النفس ... الخ .

---

(١) د - إبراهيم بيومى مذكور : فى اللغة والأدب سلسلة اقرا - دار المعارف ، القاهرة ١٩٧١ .  
(٢) ١ - كندراتوف : ( ترجمة شوقي جلال ) الأصوات والاشارات ، القاهرة ١٩٧١ .

ذلك أنه لم يسبق من قبل أن استطاعت الكلمة المنطوقة أو المكتوبة في تاريخها الطويل أن تبلغ كل هذه الأعداد البشرية التي تقرؤها أو تسمعها في وقت واحد . أن عصرنا هو عصر الثورة العلمية والتكنولوجية هو كذلك عصر الوسائل الجماهيرية الحديثة ، لقد بلغ التواصل بين الناس أقصى مداه وأضخم أهماده فقراء الصحف والكتب والمجلات يتزايد عددهم كل يوم وأجهزة الإذاعة والبيت ( أو الإذاعة والتلفزيون ) تدخل الكلمة المنطوقة في كل بيت وتؤثر في نفس الوقت على تفكير مئات الآلاف من الناس بل ملايينهم كما تؤثر على شعورهم وأرائهم وسلوكهم ومديرو الإعلانات في الشركات العالمية الكبرى ويستغلون الكلمة في الترويج ويلجأون إلى كل الوسائل اللغوية الممكنة لإقناع القراء أو المستمعين بالأقبال على شرائها والسياسيون في مختلف أنحاء العالم ينبهون يوما بعد يوم إلى قوة تأثير الكلمة وسلطانها على النفوس (١) .

وتأسيسا على هذا الفهم تنظر البلاغة في نظرية الاعلام إلى اللغة على اعتبار أنها نظام من العلامات الصوتية ولفظيا ويتطور مرتبطا بتاريخ الناطقين بهذه اللغة ويستخدم وسيلة للتواصل ووسطا للتفكير ومجالا للتعبير عن الأفكار والعواطف والمشاعر والقصود باستخدام اللغة في التواصل هو عملية تبادل المعلومات بين الأفراد والجماعات ويظهر هذا التواصل اللغوي على شكل عبارات أو تعبيرات لفظية أو كتابية تتبادلها الأطراف في موقف معين لغرض معين عن واقعة معينة (٢) .

وفي البداية يحتاج الاصطلاحان : « اتصال واتصالات » إلى إيضاح . . فالاتصال ببساطة هو عملية الاتصال فكلمة اتصال Communication تمتاز بالتعبير عن الغرضية والتفاعل معا بمعنى أنها تتطوى على معنى القصد أو التدبير وكذلك تعني التفاعل أو المشاركة فاللفظ الأوروبي مشتق من الأصل اللاتيني لل فعل Communicare بمعنى : يذيع أو يشيع عن طريق المشاركة التي قد تكون بين شخص وآخر في الاتصال الشخصي أو بين شخص وجماعة في الاتصال الجمعي المباشر أو بين مؤسسة وعدة جماعات متفرقة لا ترى مصدر الاتصال في الاتصال الجماهيري (٣) .

(١) د . جنتر هينزه ( تقديم د . عبد الغفار مكاوي ) سلمان الكلمة في مجلة الفكر المعاصر ، القاهرة يونيو ١٩٧٠ .

(٢) نفس المرجع ص ٢ .

(٣) د . ابراهيم امام : الاعلام والاتصال بالجماهير ص ٢٤ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ .

وتؤكد دائرة المعارف البريطانية على خاصية التفاعل التي تميز الاعلام عن غيره من حيث النتائج والآثار وردود الافعال التي يمكن تفسيرها في عملية الاتصال تهدف الى احداث تجاوب مع المستقبل ويميزة أخرى تحاول ان تشاركه في استيعاب المعلومات او في نقل فكرة واتجاه .

ولعلنا لا نتجاوز الاطار العلمي حين نذهب الى ان المفهوم العربي لكلمة « بلاغة » يقترب من هذا المفهوم الحديث فالبلاغة لغة تنبئ عن « الوصول والانتباه » على نحو ما ذهبنا اليه فيما تقدم .

### عملية الاتصال بالجماهير :

ويعد نموذج شرام Schram من أشهر النماذج التي تصور البلاغة في عملية الاتصال بالجماهير وتحللها الى عناصرها وتبين المواقف المتصلة بها وهناك خمسة عناصر أساسية في عملية الاتصال هي المصدر المباشر أو المرسل والعنصر الثاني هو صياغة الفكرة في رموز معينة encoding والعنصر الثالث تفسير هذه الرموز وفهمها وعلى هذا الأساس يأتي العنصر الرابع وهو استجابة المستقبل أما العنصر الخامس فهو يتمثل في الردود أو الاصداء الراجعة من المستقبل الى المرسل والذي يستطيع من طريقها أن يكيف عملية الاتصال ويعد لها كما يفعل الترموستات لضبط درجات الحرارة وجعلها متمشية دائماً مع الدرجة المطلوبة .

فالمرسل على حد تعبير « شرام » يحاول توصيل معلوماته ومشاعره في كلمات مسموعة أو مكتوبة وفي الاعلام الاسلامي كان يقال : « رسول الرجل مكان رايه » وكتابه مكان عقله » وكذلك جعل الله عز وجل - رسله افضل خلقه واخير انه اصطفاهم على العالمين فقال تعالى : « الله اعلم حيث يجعل رسالته » ( سورة الانعام : ١٢٤ ) .

وفي ذلك يقول ابن وهب (١) : وانما يجب أن يختار الماثل رسوله لانه قد اقامه فيما يؤديه عند مقامه فعليه أن يجعله افضل من بحضورته وعلى الرسول أن يؤدى ما حمل كما قال عز وجل : « فانما عليه ما حمل » ( النور : ٥٤ ) وكما

---

(١) ابن وهب (تحقيق : د. احمد مطلوب و د. خديجة الصديقي )  
البرهان في وجه البيان ص ٢١٨ ، بغداد ١٩٦٧ .

قال : فهل على الرسل الا البلاغ المبين ( النحل : ٣٥ ) وانما وجب عليه البلاغ لان الرسالة امانة فعلية تاتيها لان الله عز وجل يقول ان الله يامرکم ان تؤدوا الامانات الى اهلها ( النساء : ٥٨ ) وليس للرسل ان يزيد في الرسالة ولا ان ينقص منها لان ذلك خيانة امانة الا ان يكون الرسل فوض اليه ان يتكلم عنه بما يرى فقد قال الشاعر ( من المتقارب ) :

اذا كنت في حاجة مرسلًا      فارسل حكيمًا ولا توحه

وانما امر بذلك لان الحكيم اذا وصيته لم يتجاوز وصيتك وان كان الرأي عنده خلافها فريما ضحك بترك الاصوب عنده واتباع امرك ولا لوم عليه في ذلك واذا فوضت اليه عمل بحكمته ورأيه وقد روى في هذا المعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه بأمير المؤمنين ( علي بن أبي طالب في بعض اموره فقال له : « اكون يا رسول الله في الأمر اذا وجهتني اليه كالكسيفة المحماء اذا وضعت للموسم او يرى الشاهد وما لا يرى الغائب » فقال : ( بل يرى الشاهد ما لا يرى الغائب » ففوض اليه لما وثق برأيه وقال لغيره من الناس : نصر الله امرؤا سمع مقالتي فاداعا ولم يفرض اليهم لقلة ثقته بهم » .

ومن ذلك يتضح ان القائم بالاتصال لا يقل أهمية عن مضمون الرسالة ولذلك عنيت الدراسات الاعلامية بدراسة هذا العنصر الاتصالي ونذكر منها دراسة « كرت لوين » عالم النفس النمساوي الاصل الأمريكي الجنسية والتي اسفرت عن تطوير نظرية « الحاجب الاعلامي The gatekeeper » والتي تذهب الى انه على طول الرحلة التي تقطعها المادة الاعلامية حتى تصل الى الجمهور توجد نقاط او « بوابات » يتم فيها اتخاذ قرارات بما يدخل وما يخرج ولذلك عنيت دراسات الحاجب الاعلامي « بسلوك القائمين بالاتصال دراسة تجريبية ومنظمة تتناول تأثير الظروف المحيطة بهم وتأثير النواحي المهنية عليهم والجوانب المادية والفنية لعملهم » .

ويتوقف نجاح البلاغة في عملية الاتصال على اختيار المحتوى المناسب للرسالة موضوع الاتصال ، وكذلك على اختيار القنساء والوسيلة المناسبة لنقلها . والواقع ان قيمة أية رسالة تتوقف على مدى فعالية هذه الرسالة وتأثيرها . ولا يمكن التأكد من ذلك الا اذا عرفنا اثر الرسالة على الشخص المستقبل لها .

وقد ركز عالم السياسة « هارولد لازويل » هذه العملية في الاجابة على الاسئلة التالية :

« من - يقول ماذا - بأي وسيلة - ان - وبأي تأثير »



وحين نتفق على أن البلاغة في عملية الاتصال ليست الا عملية ترمز ، حيث يوجد دائماً مصدر يرسل الرموز بوسيلة من الوسائل ليستقبلها آخر فيحل رموزها ويفسرها - يصبح في إمكاننا الاتفاق على مكان - اللغة من عملية الاتصال - ذلك أن اللغة هي الماسل المشترك الأعظم بين كل عناصر العملية من مرسل ومستقبل ورسالة اتصال ، وغنى عن البيان أن هذه العناصر جميعها « حلقات متصلة متكاملة » .

لا بد للمرسل أن يضع رسالته في شكل معين أو صيغة محددة من الرموز أو الكلمات ، ومن الطبيعي أن تحتاج هذه الكلمات إلى أجهزة نقل أو وسائل اعلام - كالصحف والاذاعة والتلفزيون وغيرها لكي تنتشر بسرعة في أماكن عديدة ، بحيث يمكن أن نتصور موقع « البلاغة » في عملية الاتصال بالجامهير على النحو الذي يتضح من النموذج التالي :



ففي البلاغة الجديدة تصبح طبيعة « الرسالة » التي يهدف « المرسل » إلى توصيلها إلى المستقبل ، هي محور الدراسة البلاغية ، ولذلك تعنى هذه

الدراسة بطبيعة الرسالة من حيث الأغراض والوظائف والاستعمالات المختلفة للغة - ويمكن القول أن اللغة - أو البلاغة بوجه عام - تؤدى ثلاث وظائف هي :

١ - الوظيفة الإعلامية : من حيث أن الفرض البلاغى هو توصيل المعلومات وإبلاغ الحقائق ، كما يحدث فى الاتصال الاعلامى بوسائله المختلفة .

٢ - الوظيفة التعبيرية : ذلك أن البلاغة قد تتخذ طابعا تعبيريا فى الفن والأدب بوجه عام بهدف « التعبير عن الشاعر » أو « التصريح » لمشاعر أو اتجاهات الشخص المتلقى .

٣ - الوظيفة الاتقاعية : حين يستهدف الاتصال اقناع المتلقى أو جمهور المستقبلين بفلسفة محددة ، أو رأى معين أو وجهة نظر ما ، أو دفعه لعمل شيء ما ، وهو ما يحدث فى الاتصال الاتقاعى بوجه عام .

وإذا كان هذا التقسيم لأهداف البلاغة الجديدة يلقي بعض الممارسة سيما من جانب علماء النفس إذ يرون أن فصل هذه الأهداف عن بعضها البعض لا يتحقق فى الواقع العملى ، فالاتصال البلاغى الذى يهدف الى توصيل قدر من المعلومات والخبرات لا يمكن أن يحقق أهدافه ما لم تصحبه بعض الجوانب الاتقاعية .

وعلى ذلك فإن الفهم الدقيق لتصنيف أهداف البلاغة يرتكز على أساس أن الكلمة المكتوبة والمنطوقة تحقق هذه الأهداف على نسق لا تنفصل فيه عن بعضها البعض بحيث تغدو فئات مستقلة ، وإنما تتداخل جميعا بحيث يشمل الهدف منها أجزاء من الهدفين الآخرين .

على أن التمييز بين هذه الوظائف الثلاث انمسا تلجا اليه فى الدراسة الوظيفية ، وليس الأمر كذلك فى مضمون الاتصال ولفته المستعملة .

فالكلمة المنطوقة أو المكتوبة تغدو اعلامية من حيث الدراسة الوظيفية إذا كان الهدف السائد فيها يضيف إلى الجمهور معرفة مبسطة حول الموضوع؛ وإذا كان المضمون والشكل مرتبطين بالهدف نفسه .

أما الهدف التعبيري للاتصال فهو يظهر فى النموذج المتقدم على نحو واضح يتداخل فيه مع الهدفين الاعلامى والاتقاعى ، ليحقق المشاركة وجذب الاهتمام الانسانى وإثارة الخيال لدى الجمهور .

بينما يتضح من النموذج كذلك أن الهدف الاتصالي للاتصال : قد يتضمن كلا من الهدفين الاعلامي والتثبيري ؛ لكنه يستخدمهما لاتقناع الجمهور بوجهة نظر محددة ، ذلك أن المضمون في الغالب قد يكون مشكلة غير محلولة يذهب فيها مذهباً معيناً بهدف علاجها ، وهو لذلك يسمى الى اقناع الجمهور بوجهة نظر الكاتب حول مشكلة المضمون المطروح .

ومن ذلك يتبين أن أهداف الاتصال متداخل بعضها في بعض ، وانما يميز الهدف عن الأهداف الأخرى بسيادته المحورية لمضمون ولغة الاتصال ولا يمكن أن ننظر اليها كذرات منفصلة لا رابط بينها .

فمثلا لا يمكن أن يوصل المعلم قدراً مناسباً من المعلومات الى الطالب ما لم يقتضيه بقيمة السادة التي يدرسها أو المعلومات التي تقدم اليه ، كما أن الاتصال الذي يهدف الترويج عادة ما يتضمن بعض جوانب المعرفة وجوانب الاقناع . فالفرد عندما يشاهد فيلماً معيناً قد يكون الهدف الظاهر هو الترويج ولكن هذا الترويج عادة ما يكون محققاً بالاقناع وقد يضيف المشاهد الى معلوماته الشيء الكثير عن طريق مشاهدته لهذا الفيلم ، فالاتصال في هذه الحالة قد حقق أهدافه الثلاثة في وقت واحد .

وأي كان أمر الهدف من عملية الاتصال فاننا لكي نصل الى اتصال فعال لابد أن تحدد بوضوح هذا الهدف ، وأن يكون واضحاً في الأذهان نوع ومدى الاستجابة Response التي نأمل الحصول عليها من وراء عملية الاتصال . سيما أن أهم نقد لهذا التقسيم هو النقد الموجه لطبيعة اللغة ؛ فهناك من الأسباب ما يجعلنا نذهب الى أن أي استخدام للغة يتضمن جانباً اقناعياً ، ذلك أن الانسان لا يستطيع أن يتكلم دون أن يحاول اقناع الملقى بطريقة أو بأخرى ، ولكننا نذهب مع « رويس » (١) الى أن أكثر الاشكال التي ترمز الى عوائق الاتصال هو معاملة كل استعمال للغة ، كما لو كان يقصد به الى الاعلام أو البلاغ ، فمثلاً كثير من الناس يقرأون القصيدة الشعرية كما لو كانت رسالة علمية ولكن معايير الحق والباطل غير متعلقة بالهدف الذي يرمى اليه الشاعر بالقياس الى عبارته الحقيقية . فقد حاول الشاعر استحضار حالة شعورية معينة أو التعبير عن احساس (٢) ، وعندما وصف الشاعر م - ع الهمشري اثار النارج اذا ما تفتحت في بياض الثلج متحدثاً عن الزرزور :

---

(٢٠٩) ليونيل رويس ( ترجمة د - محمد علي المريان ) : فن الاقناع

ص ٨٥ وما بعدها .

« فمتى يؤرب هتافه ؟ ومتى أرى  
نوارك الثلجى يا نارنجتى

ومتى أطير اليك ترقص مهجتى  
فرحا وأخذ مجلس من شرفتى »

فإن الهمشئى لم يكن يقصد حقا أن النوار ثلجى ، لأن لغته هنا لغة تآثر  
انفعالى وليست لغة علمية فى هدفها - على أن الشعراء كما يقول « روى » (١)  
أيضا لا ينفردون وحدهم باستعمال اللغة بهذه الطريقة - فثمة كتاب أو رسالة  
علمية يقصد بها البلاغ والأعلام عينا ، ولكنها تكون فى نفس الوقت تعبيراً عن  
الانفعال كما تكون تعبيراً عن الفكرة فى الوقت نفسه ، وقد تغلب عليها الصبغة  
الانفعالية والطابع العاطفى .

وعلى ذلك فأننا لن نستطيع أن نفهم حقيقة اللغة عندما نعتبرها مجرد  
وسيلة للتفاهم ونقل الأفكار ، إذ أن هذا الاعتبار - كما يقول «أوتوجسبرسن» -  
ليس إلا تقريرا لجانب واحد من جوانب اللغة الانسانية : « ولا شك أنه من  
ضيق النظر أن ندخل فى حسابنا عاملا واحدا ، وأن نغفل بقية العوامل فى فهم  
حقيقة من الحقائق ، ولقد كان هذا مع الأسف عيبا سائدا فى انتاج كثير من  
اللغويين » .

فلقد قال « هرمان بول » فى خطاب له فى « ميونيخ سنة ١٩١٠ عن وظيفة  
اللغة أن الوظيفة الأساسية للغة أن تكون أولا وقبل كل شيء وسيلة لنقل العواطف  
والمعلومات أو سواهما من الأمور » .

ويذهب جيسبرسن Jespersen الى أن ذلك ليس فقط وظيفة اللغة فى  
الأصل ، أو فى العصر الذى نعيش فيه : « فاللغة كانت على وجه العموم  
أمرا وسطا بين الغناء والكلام أو بين مجرد التنغيم الصوتى الذى لا يقصد من  
وراء كلماته ومقاطع غير الجرس والموسيقى ، وهما إن صح أن لهما جانبا  
تعبيريا فلن يكون غير تعبير عام عن حالة شعورية تدفع لاصدار الكلام ، كما  
يقول جيسبرسن أمر وسط بين هذا النوع من التنغيم وبين كونها وسيلة لنقل  
الأفكار والمعلومات بين فرد وآخر » . ولو صح أن هذا هو الوضع المبكر للغة

---

(١) نفس المرجع .

Sapir, E. ; Language, Harcourt Brace, N.Y, 1921 P. 23.

ر د . أحمد أبو زيد فى مجلة عالم الفكر ، الكويت ٢٢ ع ١ مايو ١٩٧١ .

فليس هنالك ما يمنع أن تكون اللغة البشرية قد تطورت في العصور اللاحقة  
تطورا جعل منها وسيلة دقيقة للتفاهم ونقل الأفكار .

وأيا كان الأمر فإن الفهم الحق للغة يكمن في غليقتها الاتصالية التي  
تكاد جميع الآراء أن تجمع عليها ، فيذهب بعضها إلى أن اللغة مرآة تعكس  
الفكر أو أنها وسيلة للتعبير عن الأفكار وتوصيلها أو تبادلها . ويعرف « هنري  
سويت » اللغة في كتاب « مدخل تاريخ اللغة » بأنها « التعبير عن الفكر عن  
طريق الأصوات اللغوية » كما يعرفها العالم الأمريكي « سايبر » في كتابه  
« اللغة » (١) بأنها وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرفقات عن طريق  
نظام رموز يستخدمها الفرد باختياره وقد حدد « جيفونز » أغراض اللغة في  
أمور ثلاثة :

أولا : كونها وسيلة للتفاهم . وكونها

ثانيا : أداة صناعية تساعد على التفكير وكونها

ثالثا : أداة لتسجيل الأفكار والرجوع إليها .

وعلى الرغم من ارتباط الفكر واللغة معا بقوة ، واعتبار اللغة أهم  
وسيلة يمكن بها التعبير بدقة وبطريقة منهجية مطردة عن الفكرة . وعلى الرغم  
من أنه ينون اللغة سيكون من الصعب الاحتفاظ بالفكر واستعادته ونقله  
للآخرين (٢) فإن هذا لا يصل على ما يقول « وايتهد A.N. Whitehead  
في كتابه Modes of thought أن اللغة هي جوهر الفكر وماهيته ، فكثيرا  
ما تقتصر اللغة عن التعبير عن الأفكار من ناحية ، وعن العواطف والانفعالات  
من الناحية الأخرى . ومن هنا لم تكن اللغة بالمعنى الدقيق للكلمة أو لغة الكلام  
هي اللغة الوحيدة التي يعرفها الإنسان . وإنما هناك إلى جانبها لغات « أخرى  
غير كلامية تستخدم هي أيضا للتعبير والتوصيل » . ومع التسليم بأن الألفاظ  
والكلمات تستطيع أن تبلور التفكير وأن تضيئ على الصور الذهنية المجردة  
( التي كثيرا ما تكون باهتة ومبهمة وغامضة ) كثيرا من الدقة والوضوح  
والتحديد ؟ فإن هذا لا يعني استحالة التفكير بغير اللغة الكلامية . فثمة  
موضوعات كثيرة يمكن معالجتها بدون استخدام الكلمات والألفاظ كما هو  
الحال حين يفكر المرء مثلا في حل مشكلة رياضية معقدة . ومن الواضح أن  
ما نسميه بالتفكير الكلامي أو التفكير عن طريق الألفاظ لا يلعب إلا دورا ثانويا  
عند علماء الرياضيات على الأقل في المرحلة الحاسمة من عملية الإبداع (٣) .

(١) د . أحمد أبو زيد ، نفس المرجع ص ٨ .

## البلاغة و لغة الاتصال :

ومادامت اللغة هي الرابطة الكبرى بين البلاغة والمجتمع ، فينبغي أن ننظر إليها نظرا علميا صحيحا فاللغة ليست مجموعة القواعد التي نحصلها وتسميها بالنحو المتواضع عليه ، وهي لا يمكن أن تكون وسيلة « افادة » فحسب بل لا يمكن أن تخضع لقواعد المنطق الصوري أو المنطق الأرسطائي السدى قسم الكلام الى مخارج محددة جعلها أسماء وافعالا وادوات . واللغة ليست هذا كله ، ذلك لأنها بمفهومها الاجتماعي سلوك فردي وجماعي ، وهي عندما ينظر إليها في الطفل الذي لم يبين عن نفسه بالمخارج أو الانبعاثات الصوتية ، ترى انه لا يريد أن يبنه غيره اليه فقط ولكنه ينزع في الواقع نزوعا سلوكيا . . واللغة في الجماعات البدائية نزوع سلوكي كذلك ، وهي تنتظم الحركة الموقعة والاشارة ، كما تنتظم تغيرات تقوم على الاستجابة المنعكسة لواقع الحياة على نفوس الناس ، وقد تكون اللغة حركات أخرى كالنقر والتلويح والصياغة ، واستغلال الضوء والصوت . وهكذا نرى أن اللغة تنتظم هذه الظواهر كلها بمفهومها الاجتماعي فهي سلوك وليست مجرد افادة عقلية أو مجرد انبعاث صوتي منتظم .

## الوظائف البلاغية ومستويات التعبير :

وتأسيسا على الفهم الوظيفي للاتصال : فان هناك ثلاثة مستويات للتعبير البلاغي :

اولها - المستوى التعبيري : وهو تنوحي فني جمالي يستعمل في الأدب والفن .

والثاني - هو المستوى الاتقاعي : ويستعمل في الدعاية والعلاقات العامة وما الى ذلك .

والثالث - هو المستوى الاعلامي : وهي مستوى عملي اجتماعي عادي يستخدم في وسائل الاعلام .

والمستوى التعبيري ، نجده أوضح ما يكون في لغة الشعراء كما هو الحال في هذه الأبيات للشاعر محمود حسن اسماعيل :

فلت لناري اذن الفجر فارتمى  
وشدى على الأصفاة شد المقاتل



وما مر عمر الطيف حتى ترنحت  
وذابت قيودى من عميق المفاصل

فكبرت جل الله عادت حقيقتى  
ورنت أناشيدي ، وغنت بلابلى

هذه الأبيات تعبر عما يعتمل فى صدر الشاعر من تحساور بين الموت والحرية ضد الرق الاتسانى . وربما شعر المتلقى بنفس شعور الشاعر بالفعل الروحى التلقائى المنبعث من أعماق ذاته .

**اما المستوى الإقناعى :** فاذنا نجد فى الكلام التوجيهى أو الحاث على العمل ، وقد أصبح الاتسان المعاصر محاصرا بكل أنواع الالتماسات الخاصة ، فهو يطالب باتخاذ قرارات متعددة ، ورايه فى السياسة مهم . ذلك أن زيادة السكان والتوسع فى الحقوق السياسية ومنح المرأة حق الانتخاب ، قد أدت الى زيادة عدد الناخبين كما أن التعليم الشعبى قد أعطى للغالبية العظمى من المواطنين فرصة تعرف قضايا الحكومة ومشكلاتها وملاحظة الهوة بين ما هو عملى وما هو مثالى فى المجتمع ، كما أن تعقد الحياة فى القرن العشرين والتقدم فى المواصلات الذى أدى الى تقلص العالم وتطور وسائل الاعلام الذى وسع آفاق الشخص العادى - كل ذلك قد أفسح مجال الرأى .

ومادام الاتسان المعاصر مطالبا باتخاذ عدد متزايد من القرارات ، فقد اتخذ الاتصال الإقناعى سمة معاونة هذا الاتسان المعاصر على اتخاذ القرار الصحيح من وجهة نظره المرسل ، الذى قد يتخذ ثوب المصلح أو كاتب المقال أو الداعية . وهم يطلبون جميعا مشاركة « المستقبل » فى الرأى . ورجال الاعلان وخبراء العلاقات العامة يريدون منه مجاملة زبائنهم ، والسياسيون يطلبون صوته وكل واحد منهم يطلب قرارا لصالحه .

وتحتوى وسائل الاعلام على ثلاثة أنواع رئيسية من الاتصال الإقناعى :

**اولها - الاعلان : Advertising .**

**وثانيها - الدعوة المقصودة :** كالمقالات الافتتاحية والرسوم الكاريكاتورية والأعمدة والمقالات التفسيرية التى تؤدى بالقارىء الى الوصول الى استنتاج .

**وثالثها - ذلك المضمون الذى يراى به أساسا الترقية أو الاعلام بحيث يكون الإقناع منتجا فرعيا .**



**والمستوى الاعلامى :** هو الذى يتوصل باللغة لتوصيل المعلومات فحسب واللغة الاعلامية لذلك هى النوع الذى « نجده على الأرجح فى شكل تقى نسبيا » . . بل ان كتابة العلماء تميل الى أن تكون اعلامية صرفه ، وخصوصا فى العلوم الطبيعية ولذلك وجدنا البلاغة العربية تنبىء عن الوصول والانتهاء . وفى التنزيل : « الا يلاها من الله ورسالاته » أى لا أجد متجى الا أن أبلغ عن الله تعالى ما أرسلت به ، والإبلاغ : الإيصال . والاسم : البلاغ .

وقال تعالى : « لقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون » ( القصص : ٥١ )  
توصيل القول لهم اتباع بعضه بعضا فى التنزيل .

ويقدم « هودلى كانتريل » فى كتابه « قياس الرأى العام » قاعدة عامة تقول : ان الرأى يتحدد عموما بالأحداث أكثر مما يتحدد بالكلمات ، ما لم تفسر هذه الكلمات ذاتها على أنها حدث . . وبالإضافة الى ذلك تنزع الأحداث الى ترسيخ تغيرات الرأى العام الناتجة عن الكلمات .

فالمستوى الاعلامى - إذن - يخاطب العقول لا الفرائز ، ويقدم أكبر قدر من المعلومات الصحيحة والأخبار الصادقة التى تنساب الى عقول الناس . ولذلك كان الاعلام فى اللغة العربية تقيض « الجهل » لأنه من مادة « علم » ، فهو يرفع من مستوى الجماهير وينشد تعاونهم من أجل المصلحة العامة ، علمه المعلم فى اللغة تعنى : أعلمه آياه فتعلمه . وشرق سيبويه بينهما فقال : علمت كائنات وأعلمت كائنات ، وعلمته الشيء فتعلم ، وليس التشديد هنا للتكثير . وقال عمرو بن معد يكرب مستخدما كلمة تعلم بمعنى « أعلم » :

تعلم ان خيسر النساس طرا  
قتيل بين أحجار الكسلاط

يقال : استعلم لى خبر فلان وأعلمنيته حتى أعلمه ، واستعلمني الخبر فأعلمته آياه ، وعلى الرغم من أن الرسالة الاعلامية هى جوهر التحرير الاعلامى نجد أن الرمز ذاته جزء من الموقف الاتصالي الاعلامى العام بإبعاده النفسية والاجتماعية والثقافية ، فهى مواقف سلوكية تقدم فرصا مخرطة ومتزايدة للمشاركة فى الخبرة ، وتحقيق الاعلام ، وكسب المعرفة والفهم ، من خلال استخدام الرموز .

وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل مجتمع انمائى ، والفرق بين المجتمع المتكامل السليم ، والمجتمع النحل المريض ، هو تقارب المستويات اللغوية فى الأول وتباعدها فى الآخر . فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل

على تجانس المجتمع وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم إلى تكامله وسلامته العقلية . فمن الثابت أن العصور التي يسود فيها نوع من التالف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية ، هي غالباً أزهى العصور وأرقاها . أما إذا كان كل مستوى لغوي بعيداً كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانقسام العقلي في المجتمع ، وهذا يؤدي إلى التدهور والانحطاط والشيخوخة والانحلال (١) .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال . والأكثر من هذا كله فإنها هي ذلك الجزء من الثقافة أو الحضارة ؛ الذي يساعد أكثر من غيره على التعلم ، وزيادة الخبرة والمشاركة في خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية أو الحالية ، أي أنها العوامل الأساسية في عملية التراكم التي هي أهم عنصر في الحضارة الإنسانية (٢) .

وتعتمد اللغة في صحتها وقوتها على المستوى العام للغة ؛ القائم على التالف بين المستويات العلمية والأدبية والعملية ، لأن الحديث اليومي حين يحسنه أفراد المجتمع ؛ ينشط اللغة ويعيد إليها الشباب . فليس الكلام الإنساني من خلق العلماء أو اللغويين ، بل هو على حد تعبير الدكتور إبراهيم أنيس (٣) من خلق العامة من الناس ممن ربما لم تتح لهم فرصة التعلم في مدرسة ، وممن لا يكادون يحسنون كتابة أو قراءة .

حقاً إن العلماء والأدباء قد يعملون على تنمية اللغة وجعلها غنية حتى تزهو ذلك الجمال الرائع في النصوص الأدبية ، ولكننا نلاحظ أن اندثر الثورات وأروعها هي تلك التي تظهر طبيعية ودون رعاية أو تعهد .

على أن جذور اللغة لا تعمق إلا في القرية العامة التي فيها تستند اللغة عصيرها وغذاءها . هذا إذا قدر للغة ألا تموت وتندثر ، كما اندثرت تلك اللغات القديمة التي انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم . يجب لهذا ألا تكون هناك فجوة عميقة بين الفاظ الأدب والحديث اليومي . فقد تتطور تلك

---

1) Imam, I. ; The Language of Journalism, (1969).

(٢) د . أحمد أبو زيد : مجلة عالم الفكر ، العدد الأول بالمجلد الثاني

١٩٧١ م .

(٣) اللغة بين القومية والعالمية ص ٢٢ .

الفجوة الى عزل لغة الأدب وتصبح أشبه باللغة المصنوعة التي تقرر صيغها واشكالها بواسطة سلطة عليا كما هو الشأن في المجامع اللغوية بأوروبا . فقد يصدر المجمع اللغوي قواعد محددة لتنظيم الاستعمال الأدبي ، وقد يقرض النصوص التي يجب أن تعلم في المدارس ولكنه لن يستطيع السيطرة على ذلك الحديث المرح في الأسواق ولا على الخطاب العادي في البيوت وبين أفراد الأسرة (١) .

وقد حدث هذا لأوروبا في العصور الوسطى عندما كانت اللغة اللاتينية مستاثرة بالدراسات الأدبية . بينما كانت اللغات الاجتماعية محتقرة ومنبوذة لا تستعملها الا الطليقات العاملة الفقيرة ، فعاشت في عصور مظلمة وباتت تتردى في الجهل والتعصب والتناحر والتنايد ، وفي الوقت نفسه مسابت في العالم الاسلامي آداب رفيعة وكانت اللغة العربية شائعة بين الحكام والحكوميين ، مستعملة في الآداب والعلوم وفي الحياة العملية . ولم تكن الفروق بين هذه المستويات شاسعة مفزعة كما كانت في أوروبا بين اللاتينية والانجليزية أو الألمانية مثلا ، فكان التألف في المجتمع والانسجام بين طبقاته ، والحيوية والتكامل في العقل الجماعي والوجدان الجماعي (٢) .

وقد كانت اللغة العربية في أحلك عصورها في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر - تعاني من الانقسام العلوي في المجتمع ، حيث سادت لغة أدبية منمقة متكلفة كتقليد سخي للريقة الفاضلية في الكتابة عقيمة مصطنعة لم يالفها الشعب ، أما أساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا يعيدون عنه كل البعد وكل ما تصبو اليه النفوس وترتفع اليه المطامح أن يقلد الكاتب أسلوب الحريري في مقاماته ، كما ألفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعيارات المؤلفة والجمال المترادفة . وليس على من يريد أن يكتب في موضوع إلا أن يأخذها ينصها .

ومن جهة أخرى اختفت الفروق اللغوية الدقيقة وأصبحت الألفاظ المتكسارية مترادفة ، بحيث لم يعد الترادف في ذلك العصر مزية من مزايا العربية ، وأصبح مرضا من أمراضها الواحدة المنتشرة - وغلب على الناس استعمال الألفاظ في معانيها العامة - فضاغت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التي عرفت بها العربية في عصورها السالفة . وادى ذلك الى قذاخل معاني الألفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربي الوضوح

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٢) د . إبراهيم أمام : دراسات في الفن الصحفي ص ٤٦ .

حين فقدته اللغة نفسها ، واتسم بالغموض وانفصلت الألفاظ عن معانيها وأصبحت عالما مستقلا يعيش الناس في جوه بدلا من أن يعيشوا في الحياة ومعانيها . (١) .

وصفة القبول أن الخضوع السياسي والنصوصية الفقهاء والصوفية السلبية والصنعة المتكلفة في الأدب ، كان لها جميعا اثرها في اللغة وانعكاس اشتمها عليها فكان للغة تلك العصور صفات هي الوجه اللغوي لهذه الصفات الاجتماعية الأخرى . وتلك هي أعراض المجتمع المريض والحضارة المنحلة . وقد حدث ذلك في العصور الوسطى في أوروبا كما حدث في إنجلترا في مستهل الفتح التورماندى وحدث أيضا في مصر بعد الفتح التركي حتى القرن التاسع عشر .

وليس من قبيل المصادفة أن يكون ظهور أول صحفي مصري وهو رفاعة الطهطاوى في عصر محمد على مقترنا بنهضة علمية ؛ والتحام بين الثقافة الشرقية والثقافة الغربية واهتمام بالترجمة (٢) . فقد كانت اللغة الموروثة التي كانت تؤدي أعراض عصور الانحطاط في أفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السائد في تلك العصور من جحود وضيق في الأفق ، وحملت الحياة الحديثة في أوروبا الى العرب الات جديدة وأفكار جديدة ومشاعر جديدة حملت كل ما حملته حضارتها من ضروب النشاط الانساني في الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية ؛ من ألوان وصور جديدة . فقامت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلفتها عصور الانحطاط عن القيام بعبء التعبير عن معاني هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية .

لقد كانت الملاممة بين الأمرين عسيرة صعبة ، وكان بجمهرة المتكلمين باللغة العربية حمل هذا العبء والاضطلاح به ، فكان على جمال الدين الأفغانى ويعقوب حسننوع والشيخ محمد عبده ومصطفى كامل وأحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل من رواد الصحافة الذين جمعوا بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية ؛ أن يخلقوا بجهودهم الرائعة لغة الفن الصحفى العربى التي تقترب من لغة الأدب وتعتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط .

ولقد توجت هذه الجهود بظهور الصحافة الاخبارية الحديثة ، وبالتنوع في وسائل الاقناع الصحفى بالصورة الفوتوغرافية والصورة الكاريكاتورية

(١) محمد المبارك خصائص العربية ص ٦ .

(٢) د . ابراهيم امام : دراسات في الفن الصحفى ص ٤٤ .

والعناية بالأخبار النائية • وقد تطلب ذلك استخدام لغة صحفية تتسلام مع شعبية الصحافة ، تتوخى السهولة والتبسيط دون أن تهبط الى العامة في اللفظ أو السوقية في الفكر (١) •

وهكذا تتقارب المستويات اللغوية العلمية والجمالية والعملية لأننا كلما نزلنا في سلم التطور الحضارى للمجتمعات وجدنا فروقا شاسعة بين المستويين الأدبي والعلمي للغة •

على أن لغة الفن الاعلامى تقوم على الوظيفية الهادفة والوضوح والاشراق ، وتكاد تكون فنا تطبيقيا قائما بذاته ، فالفن الصحفى الاعلامى تعبير اجتماعى شامل ، ولغته ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى وفن تشكيلى الخ • هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة • ومن ذلك يبين أن الفن الصحفى والاعلامى بوجه عام فن تطبيقى يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعانى والأفكار اليهم فهو أداة وظيفية ، وليس فنا جماليا يقصد لذاته • ذلك أن لوسائل الاعلام وظائف محددة : هى الاعلام والتفسير والتوجيه والتسويق والاتناع والتنشئة الاجتماعية • ومع ذلك فلفه الفن الاعلامى تختلف عن كل هذه جميعها لأنها تتضمنها كلها ، ولا تقتصر على أى منها ، لأن جمهور المستقبلين ليسوا قطاعا واحدا من الناس ولكنهم فى الغالب كل الناس ، ولأن الاعلامى يرسل لكل الناس فى كل الأوقات • وليس لجزء من الناس فى كل الأوقات أو لكل الناس بعضا من الوقت • فانه يجب عليه أن يجاهد لتحقيق هدفه بوجه عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع •

## ١ - بلاغة الكلام : الرسالة الرمزية :

هى مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته •

والحاصل هو الأمر الداعى للمتكلم الى أن يعتبر مع الكلام الذى يؤدى به أصل المراد خصوصية ما ، سواء كان ذلك الأمر داعيا له فى نفس الأمر أو غير داع فى نفس الأمر بل بتنزيل ، فالحال هو الأمر الداعى مطلقا ، أما ظاهر الحال فهو الأمر الداعى فى نفس الأمر لاعتبار المتكلم خصوصية ما ، فهو اخص من الحال • والخصوصية هى مقتضى الحال •

---

(١) المرجع السابق ص ٤٥ •

مثلا : انكار المخاطب للحكم حال يقتضى تأكيده ، والتاكيد مقتضاها ، ومعنى مطابقته له أن الحال أن اقتضى التاكيد كان الكلام مؤكدا ، وإن اقتضى الالغاء كان الكلام عاريا عن التاكيد ، وهكذا أن اقتضى حذف المسند اليه حذف ، وإن اقتضى ذكره ذكر ، الى غير ذلك من التفاصيل المشتمل عليها علم المعانى .

فالانكار حال ، والتاكيد مقتضى ، وقولك « أن زيدا فى الدار » ، مؤكدا ، وإن كلامه مطابق لمقتضى الحال ، يعنى أنه مشتمل عليه ، إذ هذا المثال مشتمل ، على التاكيد .

ومقتضى الحال مختلف ، فإن مقامات الكلام متفاوتة : فمقام التنكير يبين مقام التعريف ، ومقام الاطلاق يبين مقام التقيد ، ومقام التقديم يبين مقام التأخير ، ومقام الذكر يبين مقام الحذف ، ومقام القصر يبين مقام خلافه ، ومقام الفصل يبين مقام الوصل ، ومقام الايجاز يبين مقام الاطناب والمساواة ، وكذا خطاب الذكى يبين خطاب الغبى .

وكذا لكل كلمة مع صاحبيتها مقام .

## ٢ - وأما بلاغة المتكلم ( المرسل ) :

فهى ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ .

### مراقب البلاغة :

وللكلام البليغ مراتب : أعلاها ما يصل الى حد الاعجاز أو ما يقرب منه ، مما يتبينه الأدباء فى كلام الله تعالى وكلام رسوله الكريم . . . ودون ذلك مراتب كثيرة ، تتفاوت فيها أقدار البلغاء ، من الكتاب والشعراء ورجال الأدب . . . كما يفضل النسيج النسيج ، والصياغة الصياغة ، ويعظم الفضل فى ذلك ، وتكثر المزية ، حتى يفوق الشيء نظيره ، وتتفاوت القيم تفاوتاً شديداً ، كذلك يفضل بعض الكلام بعضاً ، ويترقى منزلة فوق منزلة لخصائص يصادفها فى سياق لفظه ، ورقة معانيه .

ولا سبيل الى ذلك إلا بالنظر فى كلام العرب ، وتتبع شعارهم ، ودراسة علوم البلاغة ، لتتعرف فيها تلك الخصوصيات التى تكسب الكلام فخامة وجمالا .

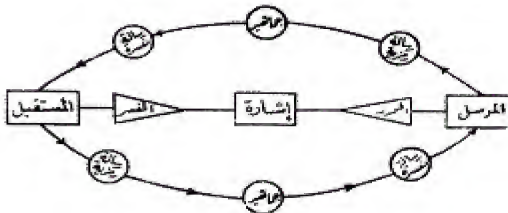


## المسبة بين الفصاحة والبلاغة

١ - البلاغة في الكلام مرجعها الى : الاحتراز عن الخطأ في تادية المعنى المراد ، والى تمييز الكلام الفصيح من غيره .

فكل بليغ - كلاما كان او متكلما فصيح ، وليس كل فصيح بليغا .

٢ - وهناك فرق آخر بين الفصاحة والبلاغة ، فالفصاحة يوصف بها المفرد والكلام ، ( الرسالة الرمزية ) والمرسل فقط ، فلا يقال : لفظ بليغ .



ويوضح هذا النموذج الدورة البلاغية من المرسل الى المستقبل ، والتي تتضمن كل عناصر البلاغة الجديدة : المرسل - المحرر - الإشارة - المفسر - المستقبل - الرسالة الرمزية . على النحو الذي يجعل البلاغة الجديدة تحصر على عملية الاتصال البلاغي بالجماهير ككل ، وبحيث تصبح « الرسالة » البلاغية مجرد عنصر من عناصر يتناغم مع غيره من العناصر في البلاغة الجديدة .



## الباب الرابع

## علوم البلاغة



## علوم بلاغية :

تتبع بلاغة الكلام وجوه آخر سوى المطابقة والفصاحة تورث حسنا ، وانما تعد محسنة بعد رعاية المطابقة والفصاحة ، وهي تابعة لبلاغة الكلام دون المتكلم ، لأنها ليست مما تجعل المتكلم متصفا بصفة وتسمى علم البديع .

فالبلاغة في الكلام مرجعها الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والا لربما أدى المعنى المراد بلفظ فصيح غير مطابق لمقتضى الحال فلا يكون بليغا ، وإلى تمييز الكلام الفصيح من غيره ، والا لربما أورد الكلام المتطابق لمقتضى الحال بلفظ غير فصيح فلا يكون أيضا بليغا لوجوب وجود الفصاحة في البلاغة ، ويدخل في تمييز الكلام الفصيح من غيره تمييز الكلمات الفصيحة من غيرها لتوقفه عليها .

وتمييز الفصيح من غيره بعضه يبين في علم حق اللغة كالقراءة ، بمعنى أن من تتبع الكتب المتداولة وأحاط بمعاني المفردات المتأنوسة علم أن ما عداها مما يقتصر إلى تنقيح أو تشريح فهو غير سالم من القراءة ، أو في علم التصريف كمخالفة القياس إذ به يعرف أن الأجل مخالف للقياس دون الأجل ، أو علم النحو كضعف التأليف والتعقيد اللفظي ، أو يدرك بالحس كالتناثر إذ به يعرف أن محتملنا متناثر دون مرتفع ، وكذا تناثر الكلمات وهو ما عدا التعقيد المعنوي .

فعلم أن مرجع البلاغة بعضه مبين في العلوم المذكورة وبعضها مدرك بالحس وبقي الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد والاحتراز عن التعقيد المعنوي فعمت الحاجة إلى وضع علمين مفيدين لذلك فوضعوا علم المعاني لأول ، وعلم البيان للثاني .<sup>١٠</sup> فما يحتسز به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد هو علم المعاني ، وما يحتسز به عن التعقيد المعنوي هو علم البيان ، وسموا هذين العلمين علم البلاغة لكان مزيد اختصاص لهما بالبلاغة وإن كانت البلاغة تتوقف على غيرهما من العلوم ، ثم احتاجوا لمعرفة توابع البلاغة إلى علم آخر ، فوضعوا لذلك علم البديع ، فما يعرف به وجوه التحسين هو علم البديع .

## شواهد لمطابقة الكلام لمقتضى الحال :

١ - إذا أردت أن تنفي عن نفسك فعل شيء من غير أن تشير إلى أن غيرك فعله ، قلت : « ما فعلت » فإذا أردت أن تشير إلى أن غيرك فعله تقول :

« ما أنا فعلت » ، فأنت قد جعلت لكل معنى من هذين مقالا على وفقه .  
وطابقت بقولك مقتضى الحال .

٢ - وقال تعالى في سورة الجن :

« وأنا لا ندرى أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا » .

ففعل الارادة جاء مع الشر على صورة المبتنى للمجهول . ومع الرشد على صورة المبتنى للمعلوم . والحال الذاعية الى بناء الاول للمجهول -  
التأديب في جانب الله تعالى بعدم نسبية الشر صراحة اليه ، وان كان الخير والشر معا قدره الله تعالى واراده .

٣ - اذا قلت : « على الله اعتمد » ففسد أردت ان تقصر اعتمادك على الله وحده ، ودللت على ذلك بتقديم « على الله » على الفعل « اعتمد » ، ولو قلت : اعتمد على الله « لم يكن في قولك ما يدل على قصر اعتمادك على الله ، فارادة القصر ، على أبسط الصور الدالة عليه ، حال دعت الى تقديم الجار والمجرور على الفعل .

### شواهد للكلام البليغ :

١ - قال الله تعالى في الرد على من أنكر البعث : « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ، قال من يحيى العظام وهي رميم » قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون . أو ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ، بلى وهو الخلاق العليم . انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون » .

تناولت هذه الآيات الكريمة اثبات البعث ، والرد على من أنكره في ابلغ صورة وأرقى حجة ، وقطعت على المنكرين سبيل الدفاع عن رأيهم الباطل ، وحجتهم الداحضة ، فان القادر على بدء الخلق لا يعجزه أن يعيده لأن الاعادة ليست بأصعب عند ذوي العقول من الابتداء . وقد زاد الله هذه الحجة قوة ووضوحا ، فذكرهم بقدرته على اخراج النار مما ينبت من الماء ، والماء والنار من خلق الله ، فمن قدر على ذلك فليس بمنكر عليه أن يعيد ما أفناء ، ثم قوى هذه الحجة وزادها شرحا وبلغ بها غاية الايضاح والتوكيد بما نيه اليه ، من

أن إعادة الناس بعد الموت ليست أصعب من خلق السموات والأرض ابتداء .  
وفي ذلك يقول الله تعالى في آية أخرى :

« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ، ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون » .

ثم اثبت سبحانه وتعالى لنفسه القدرة المطلقة ، والارادة النافذة ، في  
قوله تعالى :

« انما أمره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون » . يدل على ان كل  
المخلوقات ملكه ، وان مصير الناس اليه بقوله : « فسبحان الذي بيده ملكوت  
كل شيء واليه ترجعون » . فما ترك زيادة المستزيد ، ولا حجة لمساند مكابر .  
وهذا النوع من البلاغة لا تصل اليه قدرة الناس وان اجتمعوا له :

« قل لمن اجتمعت الاتس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون  
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » .

٢ - وقال بعض الكتاب يمدح اميرا :

« مثلك اوجب حقا لا يجب عليه ، وسمح بحق وجب له ، وقبل واضح  
المعذر واستكثر قليل الشكر ، لازالت اياديك فوق شكر اوليائك ، ونعمة  
الله عليك فوق امالهم فيك » .

فانظر كيف وصف ممدوحه فأجاد صفته ، فهو كريم يرى العطاء فرضا  
ويتجاوز عما وجب له من الحقوق ، ويقبل عذر المعتذر ويرى ما قل من الشكر  
كثيرا في جنب عطائه .

ثم هو بعد ذلك يدعو للممدوح ان تكون نعمه دائمة لاوليائه ، تزيد على  
شكرهم وترى على ثنائهم . وان تكون نعم الله تعالى عليه فوق ما يؤمنون له ،  
ويرجون عنده .

وكل ذلك في عبارة مختيرة ، وتسق جميل دل على بلاغة الكاتب ، وتمكنه  
من صناعته .

٣ - ومن جوامع كلم النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالسلامة داء » .  
والعنى ان الرجل اذا طالت به الحياة ، وامتد العمر ، كان طول حياته سبباً  
في كبره ، وضعف صحته ، وعجزه عن القيام بأموره ، ولقد يعتد به ذلك حتى

يصير عجزاً عن القيام والمقعود ، وتناول الطعام والشراب ، والاستمتاع بما يقع تحت بصره من دواعي السرور والفرح . - أقليس هذا داء لا دواء له إلا أن يستريح الجسم الفاني من متاعب الحياة ، ويذهب إلى ربه .

ولقد جمع الحديث الشريف هذه المعاني في ثلاثة ألقاظ ، فما نقص منها شيئاً وهذا ما أرادته بعض الحكماء بقوله : « البلاغة قول يسير ، يشتمل على معنى خطير » . - وغير عته الآخر بقوله : « البلاغة علم كثير في قول يسير » .

وأول من نطق بهذا المعنى : النعم بن تولب . أحد شعراء العصر الجاهلي إذ يقول :

يرد الفتى طول السلامة والفتى  
فكيف ترى طول السلامة يفعل  
يرد الفتى بعد اعتدال وصحة  
ينوء إذا رام القيسام ويحمل

وقال حميد بن ثور :

أرى بصرى قد راينى بعد صحة  
وحصبك داء أن تصح وتسلما

وقال آخر :

ودعوت ربي بالسلامة جاهدا  
ليصحتي فإذا المسلامة داء

وقال ابن الرومي :

لعمرك ما الدنيا بدار أقامة  
إذا زال عن نفس الميسير غطاؤها  
وكيف بقاء العيش فيها وانما  
ينال بأسباب الفناء بقاءها

وقد جاء ابن الرومي غامضاً مبهماً ، يحتاج إلى كد الذهن ، وطول الفكر هأنه يريد بقوله : « وانما ينال بأسباب الفناء بقاءها » - أن الإنسان إنما ينال البقاء طويلاً في الدنيا بامتداد عمره ، وهذا الامتداد هو سبب الفناء ، لأن للعمر

نهاية ، وكل يوم يمر منه يقرب هذه النهاية مهما تكن بعيدة لأن واحدا من أيام الحياة المحدودة ، ينقص عددها ، ويقرب آخرها .

وقريب من هذا قول محمد بن علي رضي الله عنهما :

« مالك من عيشك إلا لذة تزلف بك الى حمامك ، وتقربك من يومك ، فتأمل امرك ، فكأنك قد صرت الحبيب المفقود ، أو الخيال المحترم » .

٤ - وقال المأمون لام الفضل بن سهل بعد قتله أيام : « اتجزعين ولك ولد مثلي ؟ » قالت : « لا أجزع على ولد أفادني إياك ! » فانظر كيف أراد ان يلزمها الحجة في ترك الجزع بأنه بمنزلة الولد . وفي مثله وهو أمير المؤمنين كفاية من الحاجة ، ورادع عن الحزن . ولكنها جاءت بما هو أبلغ في الحجة واثار عند المفاضلة ، إذ قلت له : « ان بنوك لي لم تجيء الى إلا من ناحيته ، فهذا الخير الذي اجتنيته من بثوة أمير المؤمنين - خير ورثتيه من أبكيه ، وفضله ظاهر فيه ، فهو ببكائي لذلك جدير » .

٥ - وقال المأمون ليحيى بن أكرم القاضي : « صف لي حالي عند الناس » . فقال : « يا أمير المؤمنين ، قد انقادت لك الأمور بأزمته ، وملكتك الأمة فضول أعنتها ، بالرغبة اليك ، والمحبة لك ، والرفق منك ، والعبادة بك ، يعدلك فيهم ، ومنك عليهم حتى لقد أنسيتهم سلفك ، وأيستهم خلفك فالحمد لله الذي جمعنا بك بعد التقاطع ورفعنا في دولتك بعد التواضع » . فقال : « يا يحيى ، أتخبرني أم أرتجلا ؟ » قال يحيى : وهل يمتنع فيك وصف ، ويتعذر على مادحك قول ، أو يفحم فيك شاعر ، أو يتكلم في خطيب ؟ » .

٦ - ودخل أعرابي على المنصور فتكلم ، فأعجب بكلامه ، فقال : « سل حاجتك » . فقال : « يبيك الله ، ويزيد في سلطانه » . فقال : « سل حاجتك ، فليس في كل وقت مؤمريدك » . فقال : « ولم يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما استقصر عمرك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتتم مالك ، وإن سؤلك لشرف ، وإن عطائك لزين ، وما بأمرئ يذل وجهه اليك نقص ولا شين » .

فأنت ترى ان كلا من يحيى والأعرابي قال على البديهة قولاً جميلاً ، أجاد في وصف ممدوحه ، فبلغ الغاية ، وأحرز قصب السبق ، وجرى في قوله جريان السيل ، وانصب انصباب القطر .



٧ - ومن جيد الشعر قول معن بن اوس :

لعمرك ما اهلويت كلنى لربيعة  
ولا حملتني نحو فاحشة رجلى  
ولا قادنى سمعى ولا بصرى لها  
ولا دلتى رأيى عليها ولا عقلى  
واعلم انى لم تصيبنى مصيبة  
من الدهر الا قد اصابني فتى قبلى  
ولست بمعاش ما حبيت لمنكر  
من الامر لا يمشى الى مثله مثلى  
ولا مؤثر نفسى على ذى قرابة  
واوثر ضيفى ما اقام على اهلى

فقد وصف نفسه فى شعره بصفات من الكمال ، سردها فى أسلوب عذب  
سائخ لا يكذ ذهنًا ، ولا يستوجب تفكيرًا ، فهو يقول : ان يديه طاهرتان من  
الدنس ، وان قدميه لا تسيران به الى ما يثلم العرض ، ويستوجب الذم ، وان  
سمعه ويصرده ورايه وعقله لا تقوده الى مواطن الشبه ، ولا تحمله الى أماكن  
الريب . ويقول : انه ممن يشامطون ذوى القربى أموالهم ، ويؤثرون ضيوفهم  
على أهلهم ، فيسططون طهارته وكرمه فى ابائته بسطا سائخا جميلا .

٨ - ومما هو جيد فى وصفه قول العباس بن الاحنف :

اليك اشكر رب ما حصل بى  
من صد هذا التسائه المعجب  
ان قال لم يفعل وان سيل لم  
يبذل وان عوتب لم يعتب  
صب بعضيائى ولو قال لى  
لا تشرب البسارد لم اشرب

فانظر كيف وصف صاحبه بالاعراض ، وعدم الشفقة ، والبالغة فى  
الهجر ، حتى كانه مغرم بالمخالفة ، مع شدة طاعة الشاعر لصاحبه ، وحرصه  
على ارضائه ، ولو كان فى ذلك ما يشق احتماله . فجاءت ابائته الثلاثة كما قال  
بعض الادباء : « هذا والله الشعر الحسن المعنى ، السهل اللفظ ، العذب المستمع  
القليل النظير العزيز الشبيه ، المطمع ، البعيد مع قربه ، الصعب فى سهولته » .

٩ - ومن جيد الشعر قول اليعتري يمدح جعفراً :

ايها الراغب السدي طلب الجود  
د فابلي كرم الطايا وانضى

رد حياض الامام تلق نوالا  
يسمع الراغبين طولا وعرضا

فهناك العطاء جزلا لمن را  
م جزيل العطاء والجود محضا

هو انسدي من القمام واوحى  
وقعات من الحسام وامضى

يتوخى الاحسان قولا وفعلا  
ويطيع الاله بسطا وقبضا

١٠ - وقوله من قصيدة اخرى يمدحه :

خلق الله جعفرا قيم الدنيا سدادا وقيم الدين رشدا  
أكرم الناس شيمة وأتم الناس حلما ، وأكثر الخلق رقدا

هو بصر السماح والجود قازد  
منه قويا ، تزيد من الفقر بعدا

يا ثمال الدنيا عطاء وبذلا  
وجمال الدنيا ثناء ومجدا

ابق عمر الزمان حتى نؤدى  
شكر احسانك الذى لا يؤدى

## أراء ماثورة في البلاغة

ليشر بن المعتز فيما يجب أن يكون عليه الخطيب والكاتب رسالة من الرسائل الأدبية البليغة ، جمعت حدود البلاغة ، وصورتها احسن تصوير ، وسنذكر بعضها مع شيء من الإيجاز قال :

« خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك ، واجابتها اياك فان قليل تلك الساعة اكرم جوهرها ، واشرف حسنها ، واحسن في الاسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من قاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة : من لفظ شريف ، ومعنى بديع . وأعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاوله والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاناة . »

وأياك والتوعر (١) . فان التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ، ويشين الفاظك . ومن أراد معنى كريما فليلتص له لفظا كريما فان حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حققهما ان تصونهما عما يفسدهما ويهينهما . »

وكن في ثلاث منازل : فان أولى الثلاث ان يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معنأك ظاهرا مكشوفاً ، وقريباً معروفاً ، أما عند الخاصة ان كنت للخاصة قصدت ، وأما عند العامة ان كنت للعامة اردت . والمعنى ليس يشرف بان يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة . وإنما مدار الشرف على الصواب واحراز المفتحة ، مع موافقة الحال ، وما يجب لكل مقام من المقال . وكذلك اللفظ العامي والخاصي . فان امكنت ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلحك ولطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك — على ان تفهم العامة ، معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة (٢) التي لا تلطف عن الدهماء ، ولا تجفو عن الأكفاء ، فانت البليغ تمام .

(١) التوعر : التعبير بالألفاظ التي يصعب فهمها .

(٢) التي فوق السهل ودون الصعب .

فان كانت المنزلّة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ، ولا تسبح لك عند أول نظرك ، وفي أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ، ولم تصل الى قرارها وإلى حقها من امكانها المقسومة لها ، والقافية لم تحصل في مركزها وفي نصابها ، ولم تصل بشكلها ، وكانت قلقة في مكانها ، نافرة من موضعها — فلا تكرهها على اغتصاب الاماكن ، والنزول في غير اوطانها فانك اذا لم تتعاط قرض الشعر الوزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور ، لم يعبك بترك ذلك أحد ، وان انت تكلفته ولم تكن حاذقا مطبوعا ، ولا محكما لسانك ، بصيرا بما عليك أو ما لك — عابك من انت أقل عيبا منه ، ورأى من هو دونك أنه فوقك •

فان ابتليت بان تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطياع في أول وهلة ، وتعصى عليك بعد اجالة الفكرة ، فلا تعجل ولا تضجر ، ودعه بياض يومك أو ليلك ، وعأوده عند نشاطك وفراغ بالك ، فانك لا تعدم الاجابة والمواتاة ، ان كانت هناك طبيعة ، أو جريت من الصناعة على عرق •

فان تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض ، وعن غير طول اعمال — فالمنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى اشبه الصناعات اليك واخفها عليك ••• لان النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الزهية ، كما تجود به مع المحبة والشهوة • فكذا هذا •

وينبغي للمتكلم ان يعرف اقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين اقدار المستمعين وبين اقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم اقدار الكلام على اقدار المعاني ويقسم اقدار المعاني على المقامات ، واقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات •

## — ٢ —

وقال الحسن بن عبيد الله بن سهل العسكري في كتاب الصناعتين :  
« الكلام — ايديك الله — يحسن يسلاسته ، وسوولته ونصاعته وتغير لفظه ، واصاية معناه ، وجودة مطالعة ، ولين مقاطعه ، واستواء تقاسيمه ، وتعامل اطرافه ، وتضاميه اعجازه بهواديه ، وموافقة ماخيريه لمباييه ، مع قلة ضروراته ، بل عدمها أصلا ، حتى لا يكون في الالفاظ اثر ، فتجد المنظوم مثل المنثور في سهولة مطالعه ، وجودة مقطعه ، وحسن رصفه وتأليفه ، وكسالة صوغه وتركيبه ، فاذا كان الكلام كذلك كان بالقبول حقيقا ، وبالتحفظ خليقا — كقول الأول :

هم الاول وهبوا للمجد انفسهم  
فما يبالسون ماناولوا اذا حميدوا

وقول الآخر :

ولست بتظار الى جانب الفنى  
إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

وقول النابغة :

ولست بمسبتيق أخا لا تلمه  
على شعث أى الرجسالى المذهب

فإذا كان الكلام قد جمع العذوبة والجزلة والسهولة والرصانة مع  
السلامة والنصاعة ، وسلم من حيف التأليف ، وبعد عن سماع التركيب ،  
وورد على الفهم الثاقب قبله ولم يردده ، وعلى السمع المصيب استوعبه ولم  
يمجه ، والنفس تقبل اللطيف ، وتثبو عن الخليط . . .

والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن الى المألوف ، ويصغى الى  
الصواب ، ويهرب من المحال . . . ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب  
والروية الفاسدة .

والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن الى المألوف ، ويصغى الى  
الصواب ، ويهرب من المحال . . . ولا يقبل الكلام المضطرب الا الفهم المضطرب  
والروية الفاسدة .

ولأخير فى المعانى إذا استكرهت قهرا ، والالفاظ إذا اجتزت قسرا ، ولا  
خير فيما أجيد لفظه إذا سخب معناه ، ولا فى غرابة المعنى الا إذا شرف لفظه  
مع وضوح المغزى ، وظهور المقصد .

وقد غلب الجهل على قوم فصاروا يستجيدون الكلام إذا لم يقفوا على  
معناه الا بك ، ويستقصحونه إذا وجدوا الفاظه كزة غليظة وجاسية غريبة ،  
ويستحقرون الكلام إذا راوه سلسا حلوا ، وعذبا سهلا ، ولم يعلموا ان السهل  
أمتع جاثيا ، وأعز مطلبيا ، وهو أحسن موقعا ، وأعذب مستمعا ، ولهذا قيل :  
« أجود الكلام السهل الممتنع » .

ووصف الفضل بن سهل عمرو بن مسعدة ، فقال : « هو أبلى الناس .  
ومن بلاغته ان كل أحد يظن انه يكتب مثل كتبه ، فإذا رآها تعذرت عليه .

ومما ذكره صاحب الصناعتين نقبين أن جمال الكلام وبلاغته يجيشان من جهتين :

١ - ناحية المعنى ، بأن يكون حسنا مقبولا ، مدلولا عليه بما يوضحه .

٢ - ناحية اللفظ ، بأن يكون متخيرا متناسقا ، قد وضعت كل لفظة مشه في مكانها المناسب ، وارتبطت بما قبلها وما بعدها ارتباطا أخوة والفة وتناسبا في غير زيادة مملة ، ولا نقص مخل .

### — ٣ —

وقال ابن وهب في كتابه « البرهان » :

« حدها عندنا أنها القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام ، وحسن النظام ، وفصاحه اللسان ، وإنما أضفنا إلى الإحاطة بالمعنى اختيار الكلام ، لأن المعنى قد يحيط قوله بمعناه الذي يريده ، إلا أنه يكلام مر ذول من كلام أمثاله ، فلا يكون موصوفا بالبلاغة . وزدنا فصاحة اللسان ، لأن الأعجمي واللحان قد يبلغان مرادهما بقولهما فلا يكونا موصوفين بالبلاغة . وزدنا حسن النظام ، لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتى على المعنى ، ولا يحسن ترتيب الفاظه ، وتصيير كل واحدة منها مع ما يشاكلها ، فلا يقع ذلك موقعه .

وقال أيضا : البلاغة ثلاثة مذاهب : المساواة ، وهو مطابقة اللفظ للمعنى لا زائدا ولا ناقصا ، والإشارة ، وهو أن يكون اللفظ كاللمحة الدالة ، والتذييل ، وهو إعادة الالفاظ المترادفة على المعنى الواحد ، ليظهر أن لم يفهمه ، ويتأكد عند من فهمه . »

### — ٤ —

وسال معاوية بن أبي سفيان صحارا العبدى : ما البلاغة ؟ قال : « أن تجيب فلا تبطى ، وتصيب فلا تخطى . »

وقال الفضل : « قلت لأعرابى ما البلاغة ؟ قال : « الإيجاز في غير عجز ، والإطناب في غير خطل . »

\*\*\*

## وسائل الاعلام امتدادات بلاغية :

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول ان وسائل الاعلام والاتصال بالجماهير كامتداد تكنولوجي للغة يفهمها العام : قد جاءت كامتدادات بلاغية لتعطي للبلاغة مفهوما اشمل يرتبط بمصطلح « الاتصال » كما تقدم : ولكي تؤثر تأثيرا اجتماعيا خطيرا \*

فلما كان الانسان يستطيع خلق الرموز فانه يمتلك قدرات لا تمتلكها الحيوانات الاخرى كالقدرة على التعبير عن الاهداف والمعاني والرغبات المركبة ، ومن ثم القدرة على تغيير اشكال الحياة الاجتماعية \* وهكذا فان الاتصال هو حامل العملية الاجتماعية التي تعتمد على تجميع المعلومات وتبادلها ونقلها \* ولا يستطيع ان ينجز أي تنظيم اجتماعي ، بدائيا كان او غير بدائي بدون اتصال \* وبدون اتصال يظل المجتمع راكدا وميتا على السلوك الغريزي الذي لا يختلف كثيرا عن مجتمعات الحيوانات \*

فليس غريبا ان يؤكد جون دوي John Dewey انسانية الاعلام ويعزو استمرار المجتمع الى استمرار الاعلام ، ويذهب الى ابعد من ذلك حين يقول ان قيام المجتمع الانساني مبني على الاتصال البشري او الاعلام بوجه عام \* فالالاتصال او الاعلام هو حجر الزاوية لقيام المجتمع الانساني وظهور قيمه ومؤسسته \*

ويذكر هارولد لاسويل Lasswell ان كل مجتمع سواء كان بدائيا او متقدما لابد وان يحقق فيه الاعلام ثلاثة اهداف هي : مراقبة البيئة ، وربط اوامر المجتمع ، واستجابته للبيئة ، ونقل التراث الاجتماعي وتوارثه ، ثم جاء ولبرشام فلكس هذه الاهداف بقوله انها الرقابة والتجميع والتعليم وازداف اليها الترفيه \*

ومن أهم الذين أسهموا في شرح العلاقة بين الاعلام والمجتمع عالم الاقتصاد الكندي هارولد آدمز انيس Harold Adams Innis الذي أصبح فيما بعد مفكرا اعلاميا واسع الصيت ، ويؤكد هذا العالم ان طبيعة الجهاز الاعلامي تؤثر على طبيعة المجتمع نفسه \* فهو يقول مثلا ان الكتابة على الجلد او الرق في العصور الوسطى كان معناها حصر المعرفة في نطاق ضيق ، وخلق ارسقراطية ثيوقراطية دينية فكرية \* في حين ان اختراع الورق بثمنه الزهيد



قد أدى الى انتشار المعرفة على نطاق واسع وكان من الطبيعي أن تنتقل السلطة من أيدي كبار رجال الدين الى الطبقة الوسطى من المدنيين .

ثم يقول ان تطور حركة الاصلاح الديني تعزى الى للطباعة ، وكذلك تطور الانبث الشعبي ، كما ان تشوب الثورة الصناعية كان مغناط التيشير بالديمقراطية ، ثم اختراع الطباعة والاذاعة والتلفزيون معا أدى الى ظهور طبقات البروليتاريا التي أخذت تسود العالم من خلال النظرة الاشتراكية المعاصرة .

ومن أشهر نظريات الاعلام الحديثة نظرية ماكلوهان McLuhan الذى اكتشف معنى الطباعة باعتبارها وسيلة للاعلام الجماهيرى . ويقول ماكلوهان ان المجتمع يعيش مرحلة شفوية قبل اختراع الأبجدية أو الألف باء . وعندما ظهرت حروف الكتابة كان معنى ذلك تحول الحضارة الشفوية الى حضارة بصرية . ويذهب ماكلوهان الى أن اختراع الحروف المتفرقة فى الطباعة قد جعل الانسان يطور الفهم على اساس الخطوط المتصلة المتلاحقة والمستمرة .

وعندما جاء عصر الكهرباء زالت حدود المكان والزمان وخاصة بالنسبة للتلفزيون الذى أكد تعدد الأحاسيس البصرية والسمعية وخضوعها جميعا للتأثير فى وقت واحد . ولعل أشهر عبارة قالها ماكلوهان : ان « الرسالة هي الوسيلة » ، والتي تعنى أن المجتمع يتشكل عن طريق طبيعة الوسيلة الاعلامية نفسها وليس مجرد الرسائل الاعلامية . وبعبارة أخرى تصبح الطباعة نفسها أهم من الرسائل المطبوعة . كما أن التلفزيون فى حد ذاته كوسيلة أهم من جميع ما يذاع من خلاله .

ويذهب ماكلوهان الى أن وسائل الاعلام من أهم العوامل المؤثرة فى تشكيل الحضارات . وفى رأيه أن حروف الطباعة المتفرقة هي المسئولة عن خط الانتاج فى عالم الاقتصاد وهي المسئولة أيضا عن فلسفة نيوتن وفلسفة ديكارت ، وفيهما تصور للحدث الطبيعي فى المكان والزمان .

غير أن كثيرا من العلماء لا يذهبون مذهب ماكلوهان فى اعتبار وسائل الاعلام ذات اثر هائل ، ومع ذلك فهم لا ينكرون أن للاعلام دوره الخطير فى ضبط الاجتماعى ، ومساندة النظام السياسى ، وشتان بين هذا الاتجاه وغيره من الاتجاهات الليبرالية التى تعتبر الاعلام قوة تمريية مقاومة للجهل والظلم والغيبىات ومعزدة للعقلانية والضمير الانسانى والوجدان السليم .

غير أن النظريات الحديثة لا تذهب مذهباً مثالياً - وإن كانت لا تنكر المهمة  
التنويرية للأعلام -

فالعالم كلاپار Klapper مثلاً يرى أن الأعلام يحقق هندسة الاتفاق أو  
التكيد ، ولطه قد أخذ عبارته من كتاب إدوارد بيرنيز Edward Bernays  
غير العلاقات العامة بعنوان The Engineering of Consent  
بحذفها - وليس معنى هندسة الرضاء أو الموافقة أو التأييد أن يكون العمل  
الإعلامي ضاراً أو منحرفاً أو خبيثاً ، فمن الممكن كسب الرضاء أو الثقة  
بالتسوية لقضايا خيرة بطبيعتها -

ومن الواضح أن المجتمعات الحديثة سواء في الشرق الاشتراكي أو  
الغرب الليبرالي قد أخذت تهتم بدور الأعلام في هندسة الثقة والرضاء كما أنها  
أخذت في الابتعاد عن استخدام العنف واستبدلته بالاقناع والإيحاء -

ومع ذلك فإن جمهرة العلماء من أمثال لازرسفيلد Lazarsfeld  
ومرتون Merton وكلاپار Klapper لا يعتبرون أجهزة الأعلام ذات أثر  
هائل ، وهم يرون أن أجهزة الأعلام تعمل في المجتمع بطريقة تكمل المؤسسات  
الاجتماعية الأخرى كالأسرة والمسجد والأصدقاء والمدرسة والجامعة  
والنادي وغيرها - ويذهب الناس إلى أجهزة الأعلام ليرؤوا ما يريدون رؤيته  
لا ما تريد الأجهزة الإعلامية أن تعرضه - ومن المؤكد أن الأعلام له تأثيره في  
المجتمع ، ولكن هذا التأثير لابد أن تؤيده عوامل أخرى بعضها نفسى وبعضها  
اجتماعي - وفي حقبة هذه العوامل لا يكون تأثير الأعلام عارماً كما كان  
للبعض يتوهمون في منتصف هذا القرن -

مما تقدم يمكن أن نذهب إلى أن البلاغة الجديدة تتميز بـ :

١ - أنها غير مباشرة بمعنى أن هناك أجهزة ضخمة باهظة التكاليف  
معدة الإدارة كالمطابع ودور النشر ومحطات الإذاعة واستوديوهات السينما -  
وهذه الأجهزة هي وسائل لنقل المعلومات والقيم بين المرسل والمستقبل ، على  
العكس من الاتصال الشخصي الذي يكون فيه الاتصال مباشراً بين المرسل  
والمستقبل أو الجماهير -

٢ - أنها تصل إلى الكتل الجماهيرية العريضة Masses ، حتى يمكن  
القول دون مبالغة أن البلاغة الجديدة بفضل وسائل الأعلام أصبحت على  
مستوى كوكبي ، فالكرة الأرضية على حد قول مارشال ماكلوهان قد أصبحت  
« قرية الكترونية » -

٣ - يتم الاتصال بسرعة مذهلة بل ان الاعلام يجرى اثناء وقوع الأحداث نفسها ، فالمجريات البرلمانية لا تغطي بعد حدوثها ، بل تغطي اثناء حدوثها ويتطرق نفس الشيء على المساحكات ومباريات كرة القدم ومباريات الرياضة بوجه عام ، وفي الأولمبياد الأخير ، كانت مباريات ميونيخ تشاهد في الكويت وفي دلهي بوضوح ، ونفس الشيء بالنسبة للأردن والمغرب مثلا . ومن المنتظر أن يتم صنع القمر الصناعي العربي للاتصالات الاذاعية في السفوات القليلة القادمة .

٤ - يضطر القائم بالاتصال الى افتراض انسان متوسط الثقافة يوجه اليه رسالته ، ولكن هذه المتوسطات متعددة ومن هنا جاءت الميزة البلاغية المتعددة هي الأخرى .

ولا يعتبر ذلك ترفعا أو تعاليا أو تجزيئا للمجتمع بحال من الأحوال ، وإنما يتسم بالواقعية والعلمية . فمن الضروري أن يكون المجتمع نصب عين علم البلاغة الجديدة يدرس صفاته وخصائصه ويقيين مزاياه ومكوناته .



## الباب الخامس

### علم المعانى فى البلاغة العربية



## علم المعاني

هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال .  
المقصود من علم المعاني :

ثم المقصود من علم المعاني منحصر في ثمانية أبواب :

أولها : أحوال الاسناد الخبري .

وثانيها : أحوال المسند اليه .

وثالثها : أحوال المسند .

ورابعها : أحوال متعلقات الفعل .

خامسها : القصر .

سادسها : الانشاء .

سابعها : الفصل والوصل .

ثامنها : الإيجاز والاطناب والمساواة .

ووجه الحصر أن الكلام إما خير أو انشاء ، لأنه إما أن يكون لنسيبته خارج تطابقه أو لا تطابقه . أولاً يكون لها خارج . . . الأول الخبر ، والثاني الانشاء ، ثم الخبر لايد له من اسناد ومسند اليه ومسند ، وأحوال هذه الثلاثة هي الأبواب الثلاثة الأولى ، ثم المسند قد يكون له متعلقات إذا كان فعلاً أو متصلاً به كاسم الفاعل ونحوه ، وهذا هو الباب الرابع : ثم الاسناد والتعلق كل واحد منها يكون إما بقصر أو بغير قصر ، وهذا هو الباب الخامس : والانشاء هو الباب السادس ثم الجملة إذا قرئت بأخرى فتكون الثانية إما معطوفة على الأولى أو غير معطوفة ، وهذا هو الباب السابع ، ولفظ الكلام البليغ إما زائد على أصل المراد لفائدة ، أو غير زائد عليه ، وهذا هو الباب الثامن .



## الخير والانشاء

الكلام إما خير ، وإما انشاء ، فالخير : كلام يحتمل الصدق والكذب ، نحو قولك : هو كالأسد يأسا ، والبحر جودا ، والسيف مضاء ، فقد تكون النسبة الكلامية المفهومة من هذه الجملة مطابقة لما في الخارج فيكون الخير صادقا ، أو غير مطابقة له ، فيكون الخير كذبا ، والخير به كاذبا .

والانشاء : هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب (١) نحو : جد في عملك ، ونحو : ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا !

فأنت في المثال الأول تطلب من المخاطب الاجتهاد وفي الثاني تتمجب من حسن الدين والدنيا مجتمعين ، وليس الطلب والتعجب مما يحتمل صدقا ولا كذبا .

ولكل جملة ركنان :

١ - محكوم عليه أو مخبر عنه ، ويسمى ( مستندا إليه ) ، وذلك : كالفعل ، ونائبه والمبتدأ الذي له خبر ، واسم ان وكان وأخواتهما ، والمفعول الأول من ظن وأخواتها .

٢ - ومحكوم به أو مخبر به ويسمى ( مستندا ) وذلك : كالفعل وخبر المبتدأ ، وخبر كان وأخواتها ، والمبتدأ المكتفى بمرفوعه ، واسم الفعل .

وما زاد على ذلك فهو قيد في الجملة ، كأدوات الشرط والنفي ، والنواسخ والمفعولات ، والحال والتمييز ، والتوابع ، وضمير الفصل .

فإذا قلت : جلس صادق اليوم أمام الحديقة على الكرسي ، كان « جلس » هو المستند ، و « صادق » هو المستند إليه ، وما بعد ذلك من ظرفي الزمان والمكان والجار والمجرور قيودا للجملة . وقس على ذلك .

---

(١) التحقيق ان الفارق بين الخير والانشاء هو قصد المطابقة أو قصد عدمها في الخير ، والانشاء ليس فيه قصد للمطابقة ولا لعدمها .

## احوال الاستناد الخبرى

### اضرب الخبر :

تختلف صور الخبر فى اساليب اللغة باختلاف احوال المخاطب ، فتراه حيناً مجمداً من ادوات التوكيد ، وتجده حيناً مؤكداً بمؤكد واحد ، وحيناً مؤكداً بأكثر من مؤكد ، فيقال :

١ - الفراغ مفسدة .

٢ - ان الفراغ مفسدة .

٣ - ان الفراغ لمفسدة .

وهذه الاحوال الثلاثة تسمى اضرب الخبر أى أنواعه .

١ - فيتجرد الخبر من التوكيد حين يكون المخاطب خالى الذهن من مدلول الخبر ، نحو : الحق احق ان يتبع . المال والبئون زينة الحياة الدنيا . الحياة زينة الانسان .

٢ - ويؤكد بمؤكد واحد حين يكون المخاطب شاكاً فى مدلول الخبر ، طالبا التثبت من صدقه ، نحو : ان الصدق منج .

٣ - ويؤكد بمؤكد أو أكثر . حين يكون المخاطب مكرراً ، نحو : قوله تعالى : « ان النفس لامارة بالسوء » .

ويقع التوكيد : بأن كما فى المثال السالف ، وبأن ، نحو قوله تعالى : « لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علماً » - وبأحرف التنبيه ، نحو قوله تعالى : « هاتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم » - وبالقسم ، مثل : تأله لا يذهب العرف بين الله والناس . وينشون التوكيد ، نحو قوله تعالى : « لتبينن ثم لتبينن بما عملتم » - وقوله تعالى : « ليسجنن وليكونا من الصاغرين » وبالحروف الزائدة ، نحو قوله تعالى : « لست عليهم بمسيطر » وقوله تعالى : « كلا سوف تعلمون ، ثم كلا سوف تعلمون » - وبأما الشرطية التفصيلية ، فكقوله تعالى : « اما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى » .

وكما يكون التوكيد فى الاثبات يكون فى النفى ، كما فى بعض الأمثلة السابقة ، ونحو : ما المقتصد بمفتقر ، ونحو : والله ما المستشير بتادم .

## اغراض الخبر :

الاحصل فى الخبر ان يلقى لفرحين :

( الاول ) افادة المخاطب الحكيم الذى تضمنته الجملة ، نحو : كان عمر بن عبد العزيز اعدل خلفاء بنى امية ، تقوله لمن لا يعرف ذلك ، ويسمى هذا الغرض ( فائدة الخبر ) . ( الثانى ) افادة المخاطب ان المتكلم عالم بالحكم كقولك لصاحبك : « انت القيت قصيدة جيصة فى المذباح امس ، تدله على انه عالم بهذا الامر ، ويسمى هذا الغرض ( لازم الفائدة ) .

الاغراض التى يخرج اليها الأسلوب الخبرى :

نرى فى الكلام العربى اخبارا كثيرة لا يقصد بها افادة المخاطب الحكم ، ولا أن المتكلم عالم به ، فتكون قد خرجت عن معناها الأصلية السالف ذكره الى اغراض أخرى . ومن أشهر هذه الأغراض :

١ - الاستحسان : نحو رب انى فقير الى رحمتك ، فليس الغرض هنا افادة الحكم ولا لازم الفائدة ، لأن الله تعالى عليم بهما ، ولكنه طلب رحمة الله تعالى .

٢ - التخصر على شيء محبوب ، كالتحصير على فقد الشباب فى قول الشاعر :

ذهب الشباب فعسا له من عودة

واتى الشباب فاين منه المهرب ؟

او على فقد عزيز ، كقول اعرابي يرثى ابنه :

ولما دعوت الصجير بعسكك والاسى

اجاب الاسى طوعا ولم يجب العسر

فان ينقطع منك الرجاء فانه

سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

وكقول اعرابية ترثى زوجها :

كنا كفصنين فى جرثومة يسقا  
حينما على خير ماتنمى به الشجر  
حتى اذا قيل قد طالت فروعهما  
وطاب قنواهما واستمطر الثمر  
اخنى على وادى ريب الزمان وما  
يبقى الزمان على شيء ولا يفر  
كنا كأنجم ليل بينهما قمر  
يجلو السجى فهو من بينهما القمر

٢ - الفخر ، كقول جرير يهجو الأخطأ التغلبى :

ان الذى حرم المكارم تغلبا  
جعل النبوة والخلافة فينا  
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم  
يا خزر تغلب من أب كابينا ؟

٤ - الارشاد والنصح ، وأكثر الاخبار الحكيمى مما يكون لهذا الغرض  
كقول زهير :

ومن يك ذا فضل فيفضل بفضله  
على قومه يستغن عنه وينعم

وقول النابغة الذبياني :

ولمست بمسستيق أخا لا تلمه  
على شعث أى الرجال المهذب ؟

٥ - المدح ، ومن أمثلة ذلك قول النابغة يمدح النعمان بن المنذر :

فأنك شمس والملوك كواكب  
إذا طلعت لم يبعد منهن كوكب

وقد يجىء لأغراض أخرى - والمرجع فى معرفة ذلك الى الذوق والمقل  
السليم -

## المجاز العقلي والحقيقة العقلية :

تقول : شفى الله المريض ، فتجد الفعل قد أسند في الجملة الى فاعله الحقيقي ويسمى هذا الاسناد حقيقة عقلية \* فإذا قلنا : شفى الطبيب المريض وجدنا أن الفعل قد أسند الى الطبيب ، وهو مسبب من أسباب الشفاء ، فالفعل قد أسند هنا ، لا الى الفاعل الحقيقي ، بل الى السبب ، فنسمى مثل هذا الاسناد مجازا عقليا .

ومن الحقيقة العقلية أن تقول : أهلك الله الناس بسبب حبهم للدرهم والدينار ، ومن المجاز العقلي أن تقول : أهلك الناس الدرهم والدينار ، \* وما يهلكنا الا الدهر ، \*

ومن الحقيقة العقلية كذلك : أثبت الله النبات ، ومن المجاز العقلي : أثبت الربيع النبات ، أو أثبت المطر النبات .

ومن الحقيقة العقلية أن تقول : هزم الجيش العدو ، ومن المجاز العقلي : هزم القائد العدو .

ومن المجاز العقلي قول الشاعر :

منع البقاء تصرف الشمس  
وظلوعها من حيث لا تمنى

ومنه أيضا قول الشاعر :

فنام ليلى وتجلى همى

ومنه كذلك :

فشيب أيام الفراق مفارقة

ومنه :

ونمت وما ليل المطى بنائم (١)

ومنه :

فما ليل مظلوم كريم بنائم

---

(١) في نائم ضمير مستتر هو فاعل لاسم الفاعل ، ففي اسناد نائم الى فاعله - الضمير المستتر - مجاز عقلي .

ومنه :

وليلك عما ناب قرعك نائم

ومنه :

« وأخرجت الأرض أثقالها »

لأن الذي يخرج ذلك هو الله . .

ومنه قول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا

إذا ما زدت نظرا

وقول الشاعر :

وصيرني هواك وبى

لحينى يضرب المتسل

ومنه :

جد جدك ، وجرى النهر ،

« فعما ريحت تجارتهم » .

### المسند اليه :

ما هو المسند اليه ؟

المسند اليه هو الركن الأهم فى الجملة ، ويسمى محكما عليه ، أو مخبرا

عنه وهو :

الفاعل ، ونائب الفاعل ، والمتبدا ، واسم ان وأخواتها ، واسم  
كان وأخواتها ، والمفعول الأول لظن وأخواتها . . . والمسند اليه إذا حذف من  
الجملة فلداع بلاغى ، وإذا ذكر فى الجملة فلداع بلاغى كذلك اقتضى ذكره ،  
وكذلك إذا جىء به معرفة أو جىء به تكرة ، الى غير ذلك من شتى أحواله .

فمن تأخير المسند اليه : له الملك (١) ، وله الحمد ، و . . . الأمر من قبل

---

(١) الملك مبتدا ، وقد آخر فى الجملة ، فجاء بعد خبره ( له ) .

ومن بعد ، ، ومنه كذلك :

وكالتار الحيسة ، فمن رعاد  
أواخرها ، وأولها دخان

ومن حذف المسند اليه قول الشاعر :  
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه  
ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت  
والتقدير : هو فتى : فحذف المسند اليه ( هو ) الواقع مبداً .

المسند :

ما هو المسند ؟

المسند هو الركن الثاني في الجملة ، ويسمى محكوماً به ، أو مخبراً  
به ، وهو الفعل ، وخبر المبتدأ ، وخبر كان وأخواتها ، والمبتدأ المكتفى بمرفوعه ،  
واسم الفعل .

والمسند قد يذكر في الجملة ، وقد يحذف ، وقد يقدم ، وقد يؤخر ، وقد  
يؤتى به اسماً ، وقد يؤتى به فعلاً ، وقد يكون مقيداً بقيد ، وقد لا يقيد بقيد .

فمن ذكر المسند :

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ، إذ هذه الجملة  
واقعة خبر المبتدأ الذي هو « دفع » ، وقد ذكر الخبر ولم يحذف .

ومن حذف المسند قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين  
لا يعلمون » ، إذ المعنى هل يستوى من له علم ومن لا علم له ، ولذلك حذف مفعول  
يعلمون لصرف النظر عنه .

ومن تقديم المسند قوله تعالى : « لا الأمر » ، وقول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها  
شمس الضحى ، وأبو اسحاق ، والقمر



ومن تأخيرها : محمد نال جائزة ، والقمر اشرق بنوره في السماء ، الى غير ذلك من شتى احوال المستند .

## متعلقات الفعل :

ما هي متعلقات الفعل ؟

هي ماعدا المستند اليه والمستند في الجملة مما يزيد على ذلك ، فهو قيد في الجملة ، كائونات الشرط ، والنفي ، والنواسخ والمفعولات ، والحال ، والتمييز ، والتوابيع ، وخمير الفصل ، وسوى ذلك \*\*\* وهذه القيود هي التي تسمى متعلقات الفعل .

ومتعلقات الفعل قد تذكر في الكلام ، وقد تحذف ، وقد تقدم وقد تؤخر ، وهذه هي احوال متعلقات الفعل ، التي يبحث عنها البليغ في علم المعاني .

فمن تقديم متعلقات الفعل قول الشاعر :

الى الله أشكرو ان بالنفس حاجة  
تمر بهسا الأيام وهي كما هيا

ومن تأخير متعلقات الفعل : أسافر في القطار ؟

وأحوال متعلقات الفعل كثيرة ، وهي موضع عناية البليغ وبحثه ، حين يدرس علم المعاني .

## اسلوب القصص :

تقول : يفوز المجد ، فيفيد الكلام هذا الحكم ، دون تأكيد له ، ودون أن تنصر الفوز على المجد ، فإذا قلنا ، لا يفوز الا المجد ، كنا قد أخذنا تخصيص الفوز بالمجد ، بمعنى أن الفوز خاص به لا يتعداه الى غيره وهذا هو اسلوب القصص ، فالفوز هنا مقصور على المجد ، فالفوز مقصور ، والمجد مقصور عليه ، وأداة القصص هي النفي ، لا ، والاستثناء ، الا ، والقصص هنا قصر صفة على موصوف .

وكذلك تقول « انما محمد شاعر » ليفيد الاسلوب قصر محمد على الشعر ، بمعنى أنه لا يتجاوز الشعر الى غيره من الصفات ، فمحمد مقصور وشاعر مقصور عليه ، وأداة القصص هي « انما » .

ومثل هذا : على الله أتوكل ، وإلى الله امرى . فتقديم الخبر هنا يفيد القصر ، فالمثال الأول فيه قصر موصوف وهو « التوكل » على صفة وهي كون التوكل على الله لا على غيره ، وطريق القصر التقديم ، وكذلك المثال الثاني .

## الفصل والوصل :

تقول : نجح محمد ، فاز على ، فتأتى بالجمل مفصولا بعضها عن بعض وغير معطوفة بعاطف ، ويسمى ترك المعطف بينها فصلا . . ومثل ذلك أيضا : اجتهد على ، تفوق محمود .

وتقول : اجتهد محمد ففاز ، أو ثم فاز ، أو حتى فاز ، فيجوز ذلك متى كانت الجملة الثانية مرتبة على الأولى بلا تراخ ، أو مع التراخي ، أو على سبيل التدريج ، ويسمى ذلك وصلا بغير الواو .

وتقول : حضر على ، وسافر أخوه ، فتمعطف بعض الجمل على بعض بحرف عطف هو الواو ، ويسمى ذلك وصلا .

فالموصل عطف بعض الجمل على بعض بالواو ، والفصل تركه .

ولابد لصحة المعطف بالواو من وجود جهة جامعة بين أجزاء الجمل المتعاطفة ، وفي القرآن الكريم : « يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل » ، ( ما ضل صاحبكم وما غوى ، وما ينطق عن الهوى » .

## الإيجاز والإطناب والمساواة :

إذا أردت أن تتحدث إلى الناس في معنى من المعاني فانت تعبر عنه تعبيراً صحيحاً مقبولا في صور ثلاث ، وهي :

١ - المساواة : وهي أن تكون اللفاظ على قدر المعاني .

٢ - الإيجاز : وهو وضع المعاني الكثيرة في اللفاظ قليلة وأقية بها ، ولا كان اخلاصا . فلا يعد الكلام صحيحاً مقبولا .

٣ - الإطناب : وهو تأدية المعنى باللفاظ أكثر منه لفائدة ، فإن لم تكن الزيادة لفائدة فهي حشو أو تطويل .

وفى كتاب الله الكريم معان كثيرة عبر عنها بهذه الصور الثلاث فى مواضع مختلفة منه ، لأن المقام فى كل موضع يتناسبه صورة منها •

فمن ذلك الدلالة على « أن كل انسان مجزى بعمله » ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، فقد عبر عن هذا المعنى فى هذه الصور فى الآيات الكريمة التالية :

١ - فمن المساواة قوله تعالى : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره • ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • »

٢ - ومن الايجاز قوله تعالى : « كل امرئ بما كسب رهين • »

٣ - ومن الاطناب قوله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه فبش الشراب وساءت مثاقا • ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ، اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من مستندس واستتبقون فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتقا • »

ولا يعد الكلام فى صورة من هذه الصور بليفا الا اذا كان مطابقا لمقتضى المقتضى الحال ، فان كان المقام للاطناب مثلا وعدلت عنه الى الايجاز والمساواة لم يكن كلامه بليفا •

ومطابقة الكلام لمقتضى الحال فى البلاغة الجديدة ترتبط بعقوبات عديدة تشمل المستقبل ووسيلة الاتصال ورجع الصدى :





## الباب السادس

### البيان



## البيان

التعبير الجميل البليغ المؤثر ، الذى يصور المعنى تصويرا واضحا من اقرب طريق ، هو البيان .

وعناصر البيان البليغ هي : الأسلوب ، والمعنى ، ووضوح الأداء ، وقوة التأثير :

فالأسلوب هو طريقة تاليف الكلمات ونظمها لتؤدى المعنى المراد تصويره والابانة عنه .

والمعنى هو الفكرة التى يريد الأديب أو الشاعر تصويرها وإدائها والفرجة عنها ليفهمها القارئ والسامع .

ووضوح الأداء من اخص خصائص البيان ، ونريد به أن يكون الأسلوب ظاهر الابانة عن المعانى التى يريد بها البليغ دون تعقيد أو التواء .

وقوة التأثير نقصد بها أن يترك الأسلوب اثره فى نفوس القارئین والسامعين وأن يدفع من يقرؤه أو يسمعه الى الايمان بما آمن به البليغ من فكرة أو رأى أو عقيدة :

وان شئت فاقرا قول المعرى :

غير مجسد فى ملتى واعتقادي  
نسوح بك ولا تترنم شهاد

أو قول شوقي :

فد دون رايتك فى الحياة مجاهدا  
ان الحياة عقيدة وجهاد

أو قول المتنبي :

إنا الذى نطير الأعمى الى أدبي  
وأسمعت كلماتي من به صمم



أو قول حسان :

ولمست أرى السعادة جميع مال  
ولكن التقى هو السعيد

فسترى من روعة التأثير وقوة العاطفة وتدفق البيان ما يجعلك تفهم ما  
نعنيه بقوة التأثير .

علم البيان :

التعبير عن المعنى الواحد بأساليب مختلفة وضوحا وخفاء .

\*\*\*

أمثلة وموازلات :

١ - يقول البحتري يصور عناقه لحبوبيته :

ولم أئس ليلتنا في العناق  
لف الصبا بقضيب قضيبا (١)

ويقول ابن المعتز في هذا المعنى :

فلو ترانا في قميص الدجى  
حسبنا في جسد واحد

فنجد أن :

(١) البحتري يمثل عناقه لحبوبيته في ليلة جميلة كأنهما الريح تلف  
غصنا على غصن . . وابن المعتز يقول انه هو ومحبيوته يتعانقان كأنهما  
روحان في جسد واحد . والدجى يلغهما في قميصه . . فعنى البحتري  
هالوف . ومعنى ابن المعتز فيه لون من المبالغة .

(ب) وأسلوب ابن المعتز أجمل في الفاظه وروحه من أسلوب البحتري .

(ج) ويزيد ابن المعتز بهذا التعبير اليلغ عن ظلام الليل السدى يشمل  
الكون بقوله قميص الدجى .

---

(١) الصبا : ريح تهب من جهة الشمال ، وهي من أطيب الرياح . القضييب  
الفصن .

٢ - ويقول أبو نواس في كأس الخمر :

إذا عب فيها شارب القوم خلته  
يقبل في داج من الليل كوكبا

ويقول ابن الرومي :

فكانها وكان شاربها  
قمر يقبل عارض الشمس

ويقول ابن المعتز :

وكانه وكان الكأس في فمسه  
هلال أول شهر غاب في شفق

هؤلاء الشعراء يصورون الكأس وهي على فم الشارب للخمر فجعل  
أبو نواس الكأس شبيهة بالكواكب والخمر التي في الكأس شبيهة في لونها  
بدجى الليل وظلمته . وجعل ابن الرومي الكأس شبيهة بالقمر والخمر التي فيها  
شبيهة بضمء الشمس . وجعل ابن المعتز الكأس شبيهة بالهلال وما في الكأس  
شبيهة بلون الشفق . ولكن ابن المعتز يعتاز عن صاحبيه بروعة التأثير وقوة  
التصوير والاداء .

٣ - وهكذا تستطيع أن توازن بين هذه الابيات :

كلمتي لحظسك عن كل ما  
أضمره قلبك من غدر

أما تقسيرا في عين  
سي عنوان الذي أخفى

تخفي العداوة وهي غير خفية  
نظر العدو بما أسر ييوج

٤ - وكذلك تستطيع أن توازن بين هذه الاساليب :

قال اديب ينصح ابنه : لا تلتصم الزيادة من صاحب المعروف قبل أن تقوم  
بشكر ما أوتيته منه .

وقال أحد الكتاب في هذا المعنى : في شكر ما تقدم من نصصان الأمير  
شاغل عن استبطاء ما تأخر منه .

وقال أبو نواس في المعنى نفسه :

لا تصمدن (١) الى عسارفة  
حتى اقوم بشكر ما سلفا

٥ - ويقول الاديب : القائد بطل شجاع ، وهو كالاسد شجاعة ، وهو  
الاسد ، ورايت اسدا في الميدان يهزم الاعداء .

### القاعدة :

١ - الادباء يختلفون في تصوير المعاني وادائها ، واذا كانت هذه المعاني  
واحدة فما بالك بها اذا اختلفت ، والاساليب السابقة تشترك في الجمال ،  
وتختلف في الوضوح ، والتأثير ، وطريقة عرض المعنى وقوة تقريره .

٢ - وهذه الاساليب المختلفة في الوضوح والتي يؤدي بها المعنى الواحد  
هي موضوع علم يسمى علم البيان ، فهو العلم الذي يعرف به طريقة اداء المعنى  
الواحد بأساليب مختلفة في الوضوح .

٣ - والذوق الادبي الذي تكتسبه من قراءة الادب هو الذي يساعدك على  
فهم الاساليب والموازنة بينها ، ويعينك على دراسة هذا العلم .

### بحوث علم البيان :

وتتلخص بحوث علم البيان في : التشبيه ، والمجاز ، والكناية .  
ومر هذا ان اللفظ المراد به لازم ما وضع له : ان قامت قرينة على عدم  
ارادة ما وضع له فمجاز ، والا فكناية ، ثم من المجاز ما ينبنى على التشبيه وهو  
الاستعارة التي كان اصلها التشبيه ، فتعين دراسة التشبيه قبل بحث المجاز  
الذي من اقسامه الاستعارة المبنية على التشبيه ، ولما كان في التشبيه بلاغة  
وجمالا مع كثرة مباحثه ، وتعدد فوائده ، لم يجعل مقدمة لبحث الاستعارة بل  
جعل مقصدا برأسه ، فانهصر المقصود من علم البيان في الثلاثة اسواب :  
التشبيه - المجاز - الكناية .

---

(١) تصدق : تعطي وتمنع - العارفة : المعروف -

## التشبيه

### امثلة :

- ١ - هو كاليد في الرفع .
- ٢ - ذلك القائد كالأسد شجاعة .
- ٣ - تلك الفتاة كالقمر جمالا .
- ٤ - وقال الشاعر :

انت كالبحر في السماحة (١) والشمس  
من علوا ، واليد في الاثراق

- ٥ - وقال البحري :

هو بحر المسماح والجود فازدد  
منه قريبا تزد من الفقر بعدا

هذه الأساليب كلها من اساليب التشبيه :

- وفي الأول شبهت هذا الرجل العظيم باليد ، ووجه الشبه بينهما الرفع  
وفي الثاني : شبهت القائد بالأسد ، ووجه الشبه بينهما الشجاعة .  
وفي الثالث : شبهت الفتاة بالقمر ، ووجه الشبه بينهما الجمال .  
وفي الرابع : شبهت المدوح بالبحر في السماحة ، وبالشمس في العلو ،  
وباليد في الضياء .  
وفي الخامس شبهت المدوح بالبحر ، ووجه الشبه بينهما الكرم والجود .

### القاعدة :

التشبيه : هو الحاق امر بأمر في معنى بأداة لغرض يقصده المتكلم ، أو قل :  
هو عقد مماثلة بين أمرين قصد اشراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده  
المتكلم .

---

(١) السماحة : الجود ، وكذلك المسماح .

## أركان التشبيه :

### وأركان التشبيه أربعة :

١ - المشبه : وهو الأمر الذي تثبت الصفة له كخالد في قوله خالد كالأسد شجاعة وكليلي في قوله ليلى كالبدور جمالا .

٢ - المشبه به : وهو الأمر الذي وضحت فيه الصفة ، كالأسد والبدر في المثالين السابقين . هذا ويسمى المشبه والمشبه به طرفا التشبيه .

٣ - وجه التشبه : وهو الصفة أو الصفات التي قصد اثباتها للمشبه كالشجاعة والجمال في المثالين السابقين .

٤ - أداة التشبيه : وهي الكلمة التي تفيد المشابهة كالكاف في الأمثلة السابقة ، وعن أدوات التشبيه : الكاف ، وكان ، مثل : كان القائد أسد - ومثل : هو مثل الأسد ، وشبه ، وحاكى ، ومائل ، ويضارع ، وسواها من الالفاظ التي تدل على المماثلة . والكاف وكان أكثر هذه الأدوات .

### الفرق بين الكاف وكان :

محمد كالسحاب في الكرم .

كان محمدا السحاب المنهمر .

من المثالين نعرف الفرق بين الكاف وكان وخلاصة الفرق هو ان الكاف يأتي بعدها المشبه به . وكان يأتي بعدها المشبه .

### ملاحظة :

يجوز في التشبيه :

١ - حذف الاداة . فتقول محمد أسد في الشجاعة .

٢ - حذف الوجه . فتقول محمد كالأسد .

٣ - حذف الوجه والاداة معا فتقول محمد أسد ، ويسمى ذلك تشبيها بليغا .

## أغراض التشبيه :

وللتشبيه أغراض كثيرة منها :

١ - بيان حال المشبه فيما إذا كان المشبه به معروفاً والمشبه مجهولاً أو  
فى حكم المجهول مثل : الأرض كالكرة ، وقول النابغة :

كانك شمس والملك كواكب  
إذا طلعت لم يبد منه من كوكب

وقول المتنبي :

أرى كل ذى جود اليك مصيره  
كانك بحسب الملوك جسد اول

٢ - بيان مقدار حال المشبه إذا كانت الصفة المراد إثباتها للمشبه معروفة  
بوجه أجمالى . ولكن التشبيه يبين مقدارها مثل : هذه الفاكة حلوة كالسكر .  
وهذا الثوب أبيض كالقطن أو اللبن أو الثلج . وقول الجارم :

لك صحيفة كصحيفة ال  
أبرار طاهرة نقية

وقال المتنبي فى المدح :

كالبحر يذف للقريب جواهرها  
جوداً ، ويبعث للبعيد سحائبها

وقول الشاعر :

كم نعمة مرت بنا وكأنها  
فرس يهرول أو نسيم سارى

٣ - تقرير حال المشبه فى ذهن السامع . وذلك إذا كان المشبه أمراً  
غريباً يحتاج الى إيضاحه وتثبيته . ويكثر ذلك فى تشبيه الأمور المعنوية  
بأمور تدرك بالحوس ، مثل التعاليم فى الصغر كالنقش فى الحجر .

وقول الشاعر :

إن القلوب إذا تنافر ودهسا  
مثل الزجاجة كسرهما لا يجبر

وقوله تعالى : « مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اتيقنت  
سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة » .

٤ - تزيين المشبه : مثل « هي كالطبي النافر » وقول الشاعر :

سوداء واضحة الجبين  
كمقيلة الطبي الغرير

٥ - تقبيح المشبه : مثل : صوته كالرعد ، وهو كالقرد ، وقوله تعالى :  
فمثلته كمثل الكلب .

٦ - بيان امكان المشبه : وذلك حين يكون المشبه قد اسند اليه امر  
مستقرب فتاتي بشبه له لتدفع هذه الغرابة عن المشبه ، كقول الشاعر :

فان تلق الانام وانت منهم  
فان المسك بعض دم الغزال (١)

ومثل قول البحري :

دتوت تواضعا وعلوت مجدا  
فشأناك انخفاض وارتفاع  
كذاك الشمس تبعد أن تسامى  
ويدنو الضوء منها والشعاع

صور التشبيه :

التشبيه والاداة :

١ - قال الشاعر :

تمطمنا الايام حتى كائننا  
زجاج ولكن لايعاد له سيبك

---

(١) معنى البيت : هو فاق الناس مع انه منهم ، كالمسك الذي فاق الدماء  
مع انه من بعض انواع الدماء .



## ٢ - وقال شاعر :

هو يدرك في شهرة الذكر والمجد  
مد وفي الجود والسماح المسحاب

البيت الأول أداة التشبيه فيه مذكورة وهي كأن : والثاني أداة التشبيه فيه محذوفة ، والأصل هو كاليدر وهو كالسحاب :

### الخلاصة :

أداة التشبيه قد تذكر وقد تحذف .

### التشبيه والوجه :

١ - هو كالشمس في العظمة .

٢ - هو كالشمس وكالأسد .

المثال الأول وجه التشبيه فيه مذكور وهو : العظمة .

والمثال الثاني وجه التشبيه فيه محذوف وهو : العظمة والبطولة .

### الخلاصة :

قد يذكر وجه التشبيه وقد يحذف (١) .

### التشبيه البليغ :

١ - التشبيه البليغ هو ما حذف الوجه فيه والأداة معا ، مثل : ليلى  
قمر ومحمد أسد ، وخالد بحر ، ومثل قول الشاعر :

فالعيش نوم والنية يقظة  
والمرء بينهما خيال سار

---

(١) والتشبيه الذي ذكر فيه الوجه يسمى مفصل والتشبيه الذي حذف  
وجهه يسمى مجعلا .

٢ - ومن أنواع التشبيه البليغ ما اضيف فيه المشبه به الى المشبه مثل :  
رداء العافية ، وقميص الدجى ، ومصباح الرأى ، وثوب الرياء ، وذهب  
الأصيل - ولجين (١) الماء ، قال الشاعر :

والريح تعبت بالغصون ، وقد جرى  
ذهب الأصيل على لجين الماء (٢)

٣ - ومن أنواعه أيضا أن يكون المشبه به مصدرا مبينا للنوع مثل ،  
اقدم اقدام الأسد أى اقدم اقداما كاقدام الأسد • ومثل : له هيئة الملوك  
وأجتهد اجتهد المبرزين ، وفاضت يداها بالجود فيض السحاب • ومكر مكر  
الذئب •

### تشبيه التمثيل :

#### أمثلة :

١ - قال المتنبي :

يهز الجيش حولك جانبيه  
كما هزت جناحيها العقاب

مثل سيف الدولة والجيش يتحرك فى نظام حواليه معتتلا لأمره  
لا يخالفه ، بهيئة الطائر العقاب وسلطانه النافذ على جناحيه •

٢ - وقال بشار :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا  
واسياقنا ليل تهاوى كواكبه

يمثل الفجار الذى حجب الشمس ونشر الظلام والسيوف تلمع خلال  
المعركة بالليل الذى تتساقط كواكبه •

---

(١) اللجين : الفضة •

(٢) وتقدير التشبيه : شعاع الشمس فى الأصيل كالذهب ، والماء  
كالفضة •

وقال آخر :

كان سواد الليل والفجر ضاحك  
يلوح ويغنى ، اسود يتبسم

يمثل ظلام الليل والفجر قد بدأ في الظهور بسواد وجه المبدئ الأسود  
الذي تلمع أسنانه أثناء تبسمه وضحكه . وكل هذه التشبيهات وما مثلها  
تسمى تشبيه التمثيل لأن وجه الشبه فيه صورة منتزعة من أمور متعددة .

القاعدة :

تشبيه التمثيل ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من أمور متعددة

امثلة للتشبيه وتحليلها :

١ - قال الشاعر :

قد يشيب الفتي وليس عجيبا  
ان يرى النور في القضيب الرطيب

يشبه ظهور الشيب في الشبان بظهور الزهر الابيض في الفصن  
الرطيب ، وليس في الكلام أسلوب التشبيه الصريح ، ولكن التشبيه هنا  
ضمني .

٢ - سيذكرني قومي اذا جد جدهم

وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

يشبه معرفة قومه لقيمتهم في الشائد بمعرفة المسافر لقيمة البدر في الليلة  
الظلماء والتشبيه هنا ضمنى أيضا .

٣ - فاح الزهر كأنه ذكرك الجميل ، الهزار يفتى كأنه أم كلثوم .

هنا تشبيهان أداة التشبيه مذكورة فيهما ، ولكن التشبيه مقلوب  
والأصل : ذكرك الجميل يفوح كالزهر ، وأم كلثوم كالهازان .

٤ - وقال شوقي :

فدخلت في ليلتين : فرعك والدمجى  
ولثمت كالصبيح المنور فاك

## المجاز :

المجاز في اللغة : مفعول من « جاز المكان بجوزة اذا تعداه ، نقل الى الكلمة الجائزة ، أي المتعدية مكانها الأصلي ، أو المجوز بها ، على معنى انهم جازوا بها وهدروها مكانها الأصلي » .

والمجاز قسمان : مفرد ومركب فالمفرد : هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التضاغط على وجه يصح ، مع قرينة عدم ارادة الموضوع له ، وعلى وجه يصح يشير الى ضرورة العلاقة ليتحقق الاستعمال على وجه يصح .

وينقسم المجاز المفرد الى قسمين :

- ١ - القسم الأول هو المجاز المرسل : وذلك ما كانت العلاقة المصححة فيه ليست هي المشابهة بين المعنى المجازي والمعنى الحقيقي .
  - والقسم الثاني الاستعارة ، وهي ما كانت العلاقة فيه المشابهة .
- المجاز المرسل وامثلة له

فالمجاز المرسل : هو ما كانت العلاقة فيه بين المعنى الموضوع له والمعنى المستعمل فيه غير المشابهة .

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة منها :

١ - تسمية الشيء باسم كله كقوله تعالى : « يجعلون أصابعهم في آذانهم » اذا الاصبع لا تدخل في الاذن ، والمراد من الاصابع هنا الا نامل ، أي يجعلون آذانهم فيها ، ففي أصابعهم مجاز مرسل علاقته : الكلية والجزئية :

٢ - تسمية الشيء باسم جزئه كتسمية الرقيب عينا ، تقول : الحكومة لها عيون ساهرة على الأمن ، فعيون مجاز مرسل علاقته : الجزئية والكلية .

٣ - تسمية الشيء باسم سببه مثل « رغينا الغيث » ، اذ الغيث لا يرعى وإنما يرعى النباتات ، وفي الغيث مجاز مرسل علاقته السببية ، والمراد به النبات الذي سبب نموه الغيث أي المطر .

٤ - تسمية الشيء باسم مسببه مثل : « امطرت السماء نباتا ، أي غيثا يكون النبات مسببها عنه .

٥ - تسمية الشيء باسم الشيء الذي كان هو عليه في الزمان الماضي  
مثل : « وأتوا اليقاني أموالهم » ، أى الذين كانوا يتأمنون في الماضي إذ لا يتم  
بعد البلوغ .

٦ - تسمية الشيء باسم ما يؤول اليه ذلك الشيء في المستقبل مثل « انى  
ارائى عصر خمر » ، أى عتبا يؤول الى الخمر .

٧ - تسمية الشيء باسم محله مثل « فليدع ناديه » أى أهل ناديه الذين  
يحلون فيه ، والنادى المجلس .

٨ - تسمية الشيء باسم التثنية مثل : واجعل لى لسان صدق فى الآخرين ،  
أى ذكرنا حسنا ، واللسان اسم لالة الذكر .

\*\*\*

### الاستعارة :

#### امثلة :

- ١ - ضحكت الازهار : أى تفتحت . شبه تفتح الازهار بالضحك .
- ٢ - تبسم الفجر : أى ظهر ، شبه ظهوره بالتبسم .
- ٣ - كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور أى من  
الضلال الى الهدى ، شبه الضلال بالظلمات والهدى بالنور .
- ٤ - طفى الماء : أى زاد . شبه زيادته بالطفيان .
- ٥ - اسقم قلبى بدر فى الطرف منه سحر .  
أى امرأة جميلة شبيهة باليدى .
- ٦ - فتى كلما فاضت عيون قبيلة ضحكت عنه الاحاديث والذكر .  
يريد ظهرت احاديث بطولته ، شبه ظهورها بالضحك .

#### التحليل :

كل لفظ من الالفاظ التى تحتها خط فى الامثلة السابقة لم يستعمل فى  
معناه الاصلى ، وانما استعمل ليبدل على معنى آخر بينه وبين المعنى الاصلى  
مشابهة ، والمانع لأن يكون اللفظ مراداً به معناه الاصلى هو القرائن الدالة  
على أن المراد به غير معناه ، وهو فى المثال الاول أن الازهار لا تضحك وفى  
الثانى أن الفجر لا تبسم وهكذا ، فيسمى كل لفظ من هذه الالفاظ استعارة .

## القاعدة :

الاستعارة : لفظ استعمل في غير المعنى الذي وضع له لملاقاة المشابهة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع من أن يكون المراد هو المعنى الأصلي .  
العلاقة بين الاستعارة والتشبيه

١ - تقول : القائد كالأسد في شجاعته ، ثم تبالغ فتقول : هو الأسد ،  
ثم تبالغ فتقول : قاد الأسد الجيش في المعركة فيكون الأسد استعارة . ومن  
هنا تدرك أن الاستعارة أصلها التشبيه .

٢ - وانظر في المثلين الآتيين :

قبلت بدرا مثيرا - أي فتاة كالهدى في الجمال .

نستضيء في الحوادث بزيك . تشبه الرأي بالقمر مثلا في الهداية .

تجد أن أسلوب الاستعارة فيهما أصلة تشبيهية إلا أنه محذوف الأداة  
والوجه واحد طرفي التشبيه .

( وفي الأول حذف المشبه ، وفي الثاني حذف المشبه به ) (١) .

## القاعدة :

١ - الاستعارة نوع من التشبيه حذفت فيه الأداة والوجه واحد الطرفين .

٢ - الاستعارة أبسط من التشبيه لما فيها من مخالفة في أداء المعنى  
وتصويره .

## الاستعارة التمثيلية أو الاستعارة في المركب :

(١) تقول للرجل الذي يقدم الاساءة وينتظر عليها الاحسان انت كمن  
يريد أن يجنى من الشوك العنب ، فتجد تشبيها مركبا إذ شبه حال الرجل الذي  
يقدم الاساءة وينتظر عليها الاحسان بحال من يزرع الشوك وينتظر أن يجنى  
منه عنباً ، فإذا بالغت في الأسلوب قلت وأنت لاتجنى من الشوك العنب ، فتحذف

(١) الاستعارة التي حذف فيها المشبه وبقي المشبه به تسمى تصريحية .  
والاستعارة التي حذف فيها المشبه به وبقي المشبه تسمى مكنية .

من اسلوب التشبيه المشبه والاداة وتكتفى بالمشبه به فيكون الاسلوب استعارة مركبة أو استعارة تمثيلية .

(ب) والامثلة الآتية كلها من باب الاستعارة المركبة :

- ١ - انى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى ، تقوله للمتروك .
- ٢ - وفى الليلة الظلماء يفترق اليدر ، تقوله للمظيم يموت حين حاجة الناس اليه .
- ٣ - انت ترسم على الماء ، تقوله لمن يعمل عملا لا نتيجة له .
- ٤ - رمى عصفورين بحجر ، تقوله لمن أدرك هدفين بمسمى واحد .
- ٥ - وضع الحق فى نصابه ، تقوله حين تجد امرا قد وضع فى محله .
- ٦ - ولابد دون الشهد من ابر النحل .

#### القاعدة :

- ١ - الاستعارة التمثيلية أو المركبة : تركيب استعمل فى غير ما وضع له لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من ارادة معناه الاصلى .
- ٢ - الامثال التى تقال فى مقام الاستشهاد بها هى من باب الاستعارة التمثيلية .

\*\*\*

#### الكناية :

##### امثلة :

- ١ - يعرض الظالم على يديه : تكنى بذلك عن نفسه .
- ٢ - ثشائب الجمهور .  
تكنى بذلك عن سامهم من كلام الخطيب .
- ٣ - محمود نقى الثوب : تكنى به عن طهارته وعفته .
- ٤ - ارغى المدير وازيد : تكنى بذلك عن تهديده .
- ٥ - تصبوا بقارعة الطريق خيامهم .  
يتسابقون الى قرى الاضياف .
- كناية عن كرم هؤلاء الناس .



- ٦ - خطرات التسميم تخرج خديه : ولمس الحرير يدعى بئانه .  
كناية عن رقة خدود هذه المرأة وترفها .

٧ - المجد عوفى اذ عوفيت والكرم  
وزال عنك الى اعدائك المسقم

كناية عن عظمة هذا الرجل ومجده .

- ٨ - قلب الرجل كفية على ما قدم من اعمال : كناية عن الندم .

كل أسلوب من هذه الأساليب كناية ، حيث لم يعبر عن المعنى نفسه باللفظ الدال عليه في اللغة ، بل ذكر شيئاً لازماً لهذا المعنى : كمض اليدين أو تغليب الكفين اللازم للشد ، وبالتساؤب للساعة ، وهكذا نفهم من ذكر هذا اللازم الغرض المقصود والمعنى المراد .

### المساعدة :

- ١ - الكناية : التعبير يلزم المعنى المراد أدائه ، ليفهم بذكر هذا اللازم المعنى المراد نفسه .

اول قل هي تادية المعنى بذكر لازم من لوازمه .

### اغراض الكناية وبلاغتها :

تستعمل الكناية لتحقيق الاغراض الآتية :

- ١ - تأكيد المعنى بتصويره تصويراً واضحاً مصحوباً بما يؤيده ، وذلك كناية عن الندم بعض الانامل وعن الحزن بتعطيب الجبين .

٢ - تهجين الشيء والتنفير منه ، كما في قوله تعالى في التنفير من اليخل وتهجينه : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » .

٣ - تحسين المعنى وتجميله مع اخفاء الأمر على المخاطبين ، كقولك في رجل لا يجيد الشعر : « هو نبى الشعر » تكتى به عن عدم اجادته للشعر لقول الله تعالى في نبيه : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » .

- ٤ - التعبير عن الشيء بلفظ جميل بدل اللفظ المستهجن الموضوع له ، كالكناية عن الصمم بثقل السمع وعن المعنى باستمرار ليس النظارة .

## النواع الكناية :

### الكناية ثلاثة أنواع :

#### ١ - كناية عن موصوف مثل :

- مدينة النور كناية عن باريص ، ومثل :
- سكان الخيام كناية عن البدو .
- الحوت الحديدى كناية عن القواصة .
- إبناء النيل ، كناية عن المصريين .

#### ٢ - كناية عن صفة مثل :

- يفترش الغبراء ، كناية عن الفقر .
- عض على يديه ، كناية عن الندم .
- هو لا يعرفه أحد ، كناية عن الضمور .
- ألقى عصاه : كناية عن الإقامة .
- سفر اليبدين : كناية عن الفقر .
- هو ربيب أبى الهول : كناية عن الصنعة وكتمان السر .
- يصغر خده للناس ، كناية عن الكبر .

#### ٣ - كناية عن نسبة صفة لموصوف ، بأن تذكر الصفة وتكون الكناية في نصبتها الى الموصوف مثل :

- اليمين يتبع ظله
- الغنى ملء أثوابه .
- فى بيته الكرم والمعروف .
- ألقى العز رحاله فى منزل هذا الرجل .
- يسير الخير حيث تسير .

\*\*\*

## الفرق بين التشبيه والمجاز والكناية :

١ - التشبيه من أساليب الحقيقة ، والمجاز لم يستعمل اللفظ في معناه الحقيقي ، والاستعارة من أساليب المجاز ، والكناية وسط بين الحقيقة والمجاز لجواز إرادة المعنى الحقيقي والكنائي فيها . فقولك : « فلان نقي الثوب » تكتي به عن طهارته واستقامته ، وقد يكون مع ذلك نقي الملابس أيضا .

٢ - التشبيه فيه أداة للتشبيه ، والاستعارة لا أداة للتشبيه فيفسا مع ملاحظة التشبيه ، والكناية بعيدة عن أسلوب التشبيه .

والمجاز معه قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، وعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي .

٣ - والتشبيه : الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى من المعاني مثل محمد كالأسد ، أما المجاز : فهي نقل اللفظ من معناه الأصلي الذي وضع له إلى معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلي ملائمة أو مشابهة لقصد المبالغة . مثل : رأيت أسدا ، وله عندي يد .

والكناية تأدية المعنى المراد بذكر لازم من لوازمه . مثل الكرم في الثوابه .

الباب السابع

البيـدع



## البيدع

١ - قال الشاعر :

فأمامي المر من عسري  
وورائي منسه ما طابا

٢ - وقال ابن المعتز :

يا من عنائي حسده يقيمه ويقعده

٣ - وقال تعالى : « فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا » .

٤ - وقال :

يا دار يا دار احزاني وأشجاني  
أبلى جديد مفاتيحك الجديدان (١)

٥ - وقال :

أيا فتنة ما كنت منتظرا لها  
أما لقتيل الهجر بالوصل من بعث

٦ - وتقول : يتعاقب الليل والنهار والضوء والظلام .

٧ - وتقول في الرجل الجبان : يأكل عيشه بجبته .

### التهليل :

١ - في هذه الأساليب البليغة جمال قننى يشعر به ذوقك ويمتد هذا الجمال : لفظ حسن موقعة أو معنى يدبغ القول به حسنا .

(١) المغانى : جمع مغنى وهو منزل الإقامة . الجديدان : الليل والنهار .

٢ - وهذا الجمال الفني الخاص الذي تراه بعد استيفاء الكلام لعناصر البلاغة يسمى بديعا - والعلم الذي يدرسه يسمى علم البديع .

٣ - وكانت هذه الأساليب الجميلة البديعة تقع للكتاب والشعراء حقا ، فلما جاء العصر العباسي فطن لها الأدباء - وقصدها في كلامهم كبشار وأبي نواس ومسلم وأبي تمام .

٤ - ثم جاء ابن المعتز فآلف كتابا في أنواع البديع - ثم زاد في الأنواع بعده : قدامة وأبو هلال .

والخلاصة : علم البديع هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح الدلالة على المعنى المراد .

#### اقسام المحسنات البديعية :

١ - محسنات لفظية ترجع الى اللفظ .

٢ - محسنات معنوية ترجع الى المعنى .

فالفرق بين القسمين ان المحسنات اللفظية راجعة الى اللفظ ، اما المعنوية فيرجع تحسينها الى المعنى .

#### المحسنات اللفظية :

١ - الجناس :

١ - جار الجار على حقوقي .

٢ - وسميته يحيى ليحييا فلم يكن الى رد امر الله فيه منبيل

٣ - فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تقهر .

٤ - بنو العم لا يل هم بنو الغم والأذى وأعاون دهرى ان تظلمت من دهرى

في كل مثال من الأمثلة السابقة الفاظ تتشابه في النطق وتختلف في المعنى فيسمى ذلك جناسا .

فالجناس هو : تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى .



## النوع الجنسّاس :

(١) جناس تام كما في المثال الأول والثاني • ومثل قوله :

« يحار الطرف في محاسن هذا الطرف الجميل » (١) •

(ب) جناس غير تام ، وهو أن يختلف اللفظان في النطق بعض الاختلاف وذلك بأن يختلفا في :

١ - حرف من حروف الكلمة مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير يوم القيامة » ، فقد اختلفا في اللام والراء ، ومثل تقهر وتتهر في المثال الثالث ، والعم والغم في المثال الرابع ، ومثل مقر ومقر وتفرح وتمرح وأوطان وأوطار •

٢ - أو في عدد الحروف مثل :

الدار أعرفها ربي وربوعها  
لكن أسماء الزمان بهما صنيعا

ومثل قوله هذا بناء ناء ، وقال مقالا ، ومثل : الهوى والهوان وساء وساهر ، وكاف وكافل ، والقنا والقنابل •

٣ - أو في شكل الحروف مثل الجد في الجد ، أي الحظ في الاجتهاد • ومثل الفلك والفلك وعبرة وعبرة •

٤ - أو في ترتيب الحروف مثل « أمل وآلم ، وفتح وحتف ، ووعد وعود ، و « وعيد ووديع » ، و« بين ومثيب ، وسريع وسعير ، وكلام وكمال ، وصفائح وصفائف » •

## شروط الجنسّاس البليغ :

١ - أن يكون غير متكلف •

٢ - وأن يطلبه المعنى •

٣ - وأن تكون الكلمة التي فيها الجنسّاس يطلبها الأسلوب والمقام •

---

(١) الطرف بفتح الطاء : العين • والطرف بكسر الطاء : الفرس •

## الخلاصة :

- ١ - الجناس هو أن تتشابه الكلمتان في النطق وتختلفا في المعنى .
- ٢ - الجناس التام هو ما تشابهت فيه الكلمتان في أربعة أمور : نوع الحروف وعددها وشكلها وترتيبها .
- ٣ - الجناس غير التام : هو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة .

## أمثلة للجناس :

- ١ - تمأهـدك العـهاد يا طـلل  
تحدث عن الطاعـثين ما فعلوا
- ٢ - ألم تحزن على الربيع الحـيـل  
وأطـلل وأثار محـسـول
- ٣ - طار نومي وعـاود القلب عـيـد  
وأبى لى الرقاد حزن شـديـد
- ٤ - أشـكـو وأشـكـر فـعـلـه  
فأعجب لشاك منه شـاكـر
- ٥ - أن الهوى لهو الهـوان .
- ٦ - لم ألق غيرك أنـسانا ألـوذ به  
فلا يرحـت لعين الدهر أنـسانا
- ٧ - والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ الساق .
- ٨ - من يـحـسـر جـودك أعـتـرف  
وبفضـل علمك أعـتـرف

## ورد المعجزة على المصدر :

- ١ - قال الله تعالى : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .
- ٢ - وقال تعالى : « استغفروا ربكم انه كان غفارا » .
- ٣ - وقال تعالى : « قال انى لمعلمكم من القالين » .
- ٤ - مسائل اللثيم يرجع ودعاه مسائل .

وقال الشاعر :

صريع الى أين العم يلطم وجهه  
وليس الى داعي التحدى بصريع

ولشاعر آخر :

سكران : سكر هوى وسكر مدامة  
أنى يفريق فتى به سكران ؟

فى هذه الأمثلة نجد اللفظة واقعة فى أول الفقرة (١) ، أو أول بيت الشعر ، وهى نفسها - سواء كانت بمعنى اللفظة الأولى أم أن اللفظتين اختلفتا معنى - فى آخر الفقرة أو آخر البيت من الشعر .

ومثل هذا الأسلوب يسمى رد المعجز على الصدر وهو من المحسنات البديعية التى ترجع الى اللفظ ، ولا شك أنه يكسب الكلام سحرا وبلاغة .

فرد المعجز على الصدر هو أن يجعل أحد اللفظتين المكررين أو المتجانسين فى أول الجملة ، واللفظ الآخر فى آخرها ، وكذلك فى الشعر أن يكون أحد اللفظتين فى أول البيت والآخر فى آخره .

ورد المعجز على الصدر فى الشعر أكثر تنوعا ، وأشمل لآلوان عديدة فمن رد المعجز على الصدر فى الشعر أيضا :

قول الشاعر :

تمتع من شميم عرار نجس  
فما بعد العشية من عرار

وقوله :

قف دون رايك فى الحياة مجاهدا  
ان الحيسة عقيدة وجهس

وقوله :

وان لم يكن الا معرج ساعة قليلا  
فانى نافع لى قليلهسا

---

(١) الجملة من الكلام .

فنجد أحد اللفظين المكررين وقع في آخر البيت واللفظ الآخر وقع في وسط الشطر الأول من البيت ، أو في أول الشطر الثاني من البيت كذلك .

فكل هذه الأمثلة وما شابهها تعد من رد العجز على الصدر الذي عرفته  
معناه .

### المحسنات المعنوية :

#### ١ - المطابقة :

- ١ - حيطـــــــــــــــــانه من نور  
والسقف من نـــــــــــــــــيران
  - ٢ - تمر من تشاء وتذل من تشاء .
  - ٣ - وأصدع شكي باليقين وانتي  
لنفسى على بعض المساءة خايس
  - ٤ - انه الدهر يعصى ويطيع .
  - ٥ - يتقلب العالم في أحضان السلام والحرب .
  - ٦ - أنت بعيد قريب .
  - ٧ - ما بعد الدنيا من دار الا الجنة أو النار .
  - ٨ - نسير من ظلام الى نور ومن شقاء الى سعادة ومن شر الى خير .
- في الأمثلة السابقة طباق أو مطابقة يكسب المعنى سحرا والأسلوب جمالا .
- والطباق هو الجمع بين معنيين متقابلين في كلام واحد .

#### اقسام الطباق :

- ١ - طباق ايجاب مثل ضحك وبكى وحزن وسر وقام وقعد . فهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد .
  - ٢ - طباق سلب ، مثل أعلم ولا أعلم ، وأعرف ولا أعرف ، ولا تمشي في الشر وامشي في الخير ، ولا تعص استأذك واعصى من يغشك .
- فهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالاثبات والنفي أو بالأمر والنهي .

### أمثلة للطباق :

- ١ - تضحك الأرض من بكاء السماء .
- ٢ - أعانل قد كبرت على العتساب  
وقد ضحك المشيب على الشباب
- ٣ - عرفت زمـانـى يؤسه ورخاءه  
ودهرـك يخطئ تارة ويصيب
- ٤ - وكم ذم لهم فى جنب مدح  
وجـد بين اثنـاء المزاح
- ٥ - جل ما بى وقل صبرى ففى قلبى  
جراح وحشو جفنى السـهاد
- ٦ - شـيـبـتـنى وما يشـيـبـنـى السن  
هموم تترى ودهر عـنـيد
- ٧ - هل ليتنا قد اقبلت نحونا دهرنا فصدت وليس منا صدود .

### المقابلة :

#### أمثلة :

- ١ - قال تعالى : فليضحكوا قليلا ، وليبكوا كثيرا .
- ٢ - وقال صلى الله عليه وسلم للأنصار : انكم لتكثرلون عند الفزع ،  
وتقلون عند الطمع .
- ٣ - وقال خالد بن صفوان : ليس له صديق فى السر ، ولا عدو فى  
الملاينة .

### التحليل :

فى الأمثلة الماضية تجد أن كل مثال منها يشتمل فى صدره على معنيين ويشتمل فى عجزه على ما يقابل هذين المعنيين على الترتيب ، ففى الآية الكريمة ذكر الله تعالى الضحك والقلّة ، ثم قابل ذلك بالبكاء والكثرة على الترتيب ، وفى الحديث الشريف جمع الرسول بين صفتين من صفات الأنصار فى صدر الكلام هما الكثرة والفزع ، ثم قابل ذلك فى آخر الكلام بصفتين

آخرين مقابلتين للصفيتين السابقتين ، وهما القلة والطمع على الترتيب ،  
وقابل خالد قى كلمته الصديق والمر بالعنر والملائية •

ومثل هذا الاسلوب يسمى مقابلة ، ولا شك أن المقابلة تكسب الكلام  
والمعنى جمالا وسحرا وبلاغة •

### القاعدة :

المقابلة هي ان يؤتى في الأسلوب بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما  
يقابل ذلك على الترتيب :

### امثلة للمقابلة :

- ١ - يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث •
- ٢ - كدر الجماعة خير من صفو الفرقة •
- ٣ - ما كان الرفق في شيء الا زانه ، ولا نزاع من شيء الا شانه •
- ٤ - المبحترى :  
واذا حاربوا اذلوا عزيزا  
واذا سألوا اعزوا ذليلا
- ٥ - فتى تم فيه ما يصر صديقه على أن فيه ما يسوء الأعداء
- ٦ - يا دهر يا منجز ايعساده  
ومخلف المأمول من وعده •
- ٧ - ومنظر كان بالسراء يضحكنى  
يا قرب ما عاد بالضراء يبكىنى •
- ٨ - وقال تعالى : « باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب » •
- ٩ - على يستيقظ في الليل وينام في النهار •
- ١٠ - فلا الجود يقنى المال والجد مقبل  
ولا التبخل يبقي المال والجد مدبر •
- ١١ - ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا  
واقبح الكفر والافلاس بالرجل •
- ١٢ - ازورهم وسواد الليل يشفع لى  
وانثنى وبياض الصبح يغرى بى •

١٣- ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل

١٤- لن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها

سرور محب أو أساءة مجرم ؟

والمقابلة هنا ناقصة بعض الشيء ، ومعينة بعض العيب ، إذ المجرم لا يقابل المحب وإنما يقابل البريء والمحب يقابله التيفض .

١٦- على رأس عبد تاج عز يزينه

وفي رجل حر قيد ذل يشينه .

### مراعاة النظر :

#### أمثلة :

١ - الشمس والقمر يحسبان

٢ - كان الثريا علقت في جبينه

وفي خده الشعري ، وفي وجهه الجدر .

٣ - والضحى والليل إذا سجى

٤ - الكتابة والصحافة والشعر من الفنون المهدبة .

٥ - الجامعات والمدارس والمعاهد والمكتبات والاذاعة تعمل عملها في تهذيب النشء .

٦ - فيه من كرم حاتم ، وفصاحة قس ، وبلاغة سحبان ، وشجاعة عنترة ، ما يجعله عظيما .

٧ - هو اسماعيلي الوعد ، شيعي التوفيق ، يوسفى العفر ، محمدى الخلق .

٨ - الورد والزهر والروض والثمر والصدائق الفناء ، والأشجار اللغاء والنباتات الخضراء ، مما يبعث في النفس المرور والارتياح .

#### التحليل :

في المثال السابق قد جمع في الأسلوب بين أمور متناسية ، ليست متضادة ، فكل مثال منها مما يسمى المحسن المعنوى فيه « مراعاة النظر » .

ولا شك أن مراعاة التظهير تكسب المعنى جمالا والكلام سحرا .



## التصريف :

مراعاة النظرير هي أن يجمع في الكلام بين أمور متناسبة لاعلى سبيل التضاد ومن هذا نعرف أن جمع أمور متناسبة على وجه التضاد لا يسمى « مراعاة النظرير » وإنما هو طباق أو مقابلة على ما عرفت من قبل .

## التورية :

١ - يا عاذلى فيسه قل لى  
إذا بدا كيف اسألو ؟

يعمر بى كل وقت  
وكلمنا مر يحلو

« مرهنا » لها معنيان : قريب وهو المرور والذهاب ، وبعيد وهو خسد الحلاوة والمراد هنا هو المعنى البعيد .

٢ - وتقول عن رجل جبان : نعوذ يأكل عيشه بجبته  
فالمعنى القريب لكلمة جبته : أكل العيش بالجبنة وهو غير مراد ،  
والبعيد : الحياة في ظلال الجبن وهو المراد .

٣ - وقال أبو بكر حين سئل عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهما مهاجران الى المدينة : هاد يهدينى . فالمعنى القريب انه يرشده الى الطريق في السفر ، والمعنى البعيد انه يهديه الى الحق والدين والخير وهو المراد .

٤ - ويقول الشاعر :

الروض أحسن ما رأيت إذا تكاثرت الهموم  
تحنو على غصونه ويرق لى فيه النسيم .

فالمعنى القريب للكلمتين تحنو ويرق هو العطف والشفقة . والمعنى البعيد : ميل الافصان ولطف النسيم ، وهو المراد ، ففي كل من اللفظين تحنو ويرق جمال فنى بديع تسميه تورية .

## الخلاصة :

التورية هي أن يذكر لفظ له معنيان : أحدهما قريب غير مراد ، والثاني بعيد هو المراد ، ويبدل على المعنى البعيد المراد بقريئة يغلب أن تكون خفية لا يدركها الا القطن .

### أمثلة للتورية :

- ١ - جودوا لنسجع بالمديح  
على علاكم سررمدا .
- فالعطير أحسن ماتغورد  
عند ما يقع الندى .
- ٢ - شكرا لنسمة أرخصكم  
كم بلغت عنى التحيسة .
- لا غرو أن حفظت أحساد  
يث الهوى ففى الذكيسة .
- ٤ - أقول وقد شبدوا الى الحرب غارة  
دعوتى فأنى أكل الخبز بالجبن .

### العكس :

- ١ - قال تعالى : « يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي » .
- ٢ - وقال تعالى : « هن لباس لكم ، وأنتم لباس لهن » .
- ٣ - وقال تعالى : « ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابكم  
عليهم من شيء » .
- ٤ - وقال الحسن البصرى : « ان من خوفك حتى تلقى الأمن خير من  
أمنك حتى تلقى الخوف » .
- ٥ - وقال الشاعر :  
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله  
ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده .
- ٦ - وقال الشاعر :  
ان اللباسالى للأنام مناهل  
تطوى وتنشر دونها الاعمار  
فقصارهن مع الهموم طويلة  
وطوالهن مع المسرور قصار .
- ٧ - قال الشاعر :  
فرد شعورهن السود ببقيا  
ورد وجوههن البيض سودا .

وفى المثال الأول نجد جملتين قد عكس متعلق الفعلين فيهما - أى فى هاتين الجملتين - الحى من الميت ، الميت من الحى ، وكذلك الأمر فى المثال الرابع والسابع .

وفى المثال الثانى قدم جزء فى أول الجملة ، ثم آخر فى الجملة الثانية . وكذلك الأمر فى المثال الثالث والخامس والسادس .

والاسلوب فى هذه المثال كلها يسمى العكس أو التبديل ، وهو من المحسنات المعنوية التى تكسب الاسلوب والمعنى جمالا وطرافة .

والعكس بمعناه العام هو أن يقدم فى الكلام جزء ثم يؤخر .

#### المشاكلة :

قال تعالى : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » .

وقال تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » .

وقال تعالى : « تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك » .

وقال الشاعر :

قالوا : اقترح شيئا نجد لك طبعه

قلت : اطيخوا لى جبة وقميصا

وقال تعالى : صيغة الله ومن أحسن من الله صيغة ؟

فى المثال الأول سمى الله تعالى جزاء السيئة باسم السيئة لوقوع جزاء السيئة بجوارها .

وفى المثال الثانى سمى الله تعالى رد الاعتداء باسم الاعتداء لوقوعه بجواره ، وكذلك فى المثال الثالث سمى ذات الله باسم النفس لوقوعها بجوار لفظة « نفسى » .

وفى المثال الرابع سمى الخياطة باسم الطبخ ( اطيخوا ) لوقوع لفظة « اطيخوا » قبلها .

وفى المثال الخامس سمى تطهير الله باسم الصيغة لوقوعه فى صيغة الصيغة المقدرة التى تدل عليها حال الكلام فقد جرى بلفظ « الصيغة » مشاكلة للفظ الصيغة المقدرة دون أن تكون قد تقدمت فى الكلام ، لأن قرينة الحال التى هى سبب النزول وهى غمس النصارى أولادهم فى ماء صفر يسمونه

العمودية قرينة على ذلك ، والمراد بـ « صبغة الله » تطهير الله ، لأن الإيمان يظهر النفوس » .

وعمل هذه الأساليب كلها تسمى مشكلة .

فالمشكلة هي ذكر الشيء بلفظ غير له لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا ، فذكره تحقيقا كما في الأمثلة الأربعة الأولى ، وذكره تقديرا كما في المثال الخامس .

والمشكلة من المحسنات البديعية الراجعة الى المعنى وهي تكسب المعنى طرافة وجمالا وحسنا ، متى أتى بها البليغ جيدة الاداء والمعنى .

الاستخدام :

قال الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم  
وعيناه وأن كانوا غضايا .

أراد الشاعر بالسماء الطر ، وبهاض الضمير في « وعيناه » العائدة الى السماء النبات ، فالسماء هنا لها معنيان : المعنى الاول الطر ، والمعنى الثاني النبات ، فقد أريد بلفظ السماء أحد المعنيين ، وبضمير السماء معناها الآخر .

وقال شاعر آخر :

قسقى الغضا (١) والساكنيه وأن هم  
شبيوه بين جوانحي وشيلوعى .

فقد أراد الشاعر بضمير الغضا في قوله : « الساكنيه » المكان ، وبضمير الغضا الآخر في قوله « شبيوه » الشجر .

وعمل هذا الأسلوب يسمى استخداما ، فالاستخدام هو أن يراد بلفظ له معنيان أحد المعنيين وضميره المعنى الآخر كما في المثال الاول ، أو يراد بأحد ضميرى اللفظ أحد المعنيين وبالضمير الثاني المعنى الآخر كما في المثال الثاني .

والاستخدام من المحسنات البديعية التي تكسب المعنى والأسلوب جمالا

---

(١) الغضا : اسم شجر ينبت في امكنة خاضعة من الصحراء .

## متى تحسن المحسنات البديعية ؟

تحسن المحسنات البديعية اذا :

- ١ - طلبها المعنى واستدعاها المقام \*
- ٢ - وكانت غير متكلفة ولا متراكمة بجوار بعضها \*
- ٣ - واكسبت الكلام سحرا ، بأن تشوف السامع ، وتقرب المعنى منه \*
- ٤ - وكانت في موضوعها الملائم من الاسلوب \*

## امثلة لمحسنات بديعية بليغة :

- ١ - قال تعالى : « فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فستيسره  
لليسرى ، واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى  
فستيسره للعسرى » \*
- ٢ - احرص على الموت توهب لك الحياة \*
- ٣ - انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع \*
- ٤ - فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا \*
- ٥ - كلهم اعشى اذا ما كان خيبر  
ولدى الشر يصير وسميع \*
- ٦ - قامامى الممر من عمرى  
وورائى منه ما طابا \*
- ٧ - يقوم الليل ويتام النهار :
- ٨ - ناه عطينا فتاه منا  
فلا نراء ولا يسسرانا \*
- ٩ - ويا من مدحه كذب  
ويا من ثمه صدق

## ملاحظة :

اذا لم تستوف المحسنات البديعية شروط حسنها كانت قبيحة مملولة  
فلا توضح المعنى وتقربه وتشوق اليه ، بل تخفيه وتبعده وتجعل السامع يمل  
من سماع الكلام \*

وكنللك اذ كثرث الحسنات الديقفة فى الكلام جنت على المعنى وقللت  
من جمال الاسلوب وروعته ولم تفد السامع كبير فائدة \*

وانما تستحب الحسنات اذا تصرف فيها الاديپ بذوقه وطبعه فجاءت  
قليلة جميلة رائعة على ما سبق فى الفصل السابق \*\* ومن امثلة تراكم  
الحسنات الديقفة قول الحريرى :

- زينب زينت ، بقىد يقىد  
وتلاه ويلاه نهىد يهىد \*
- جندها جيدها ، وظرف وظرف  
ناعس ناعس ، بحىد يحىد \*
- قسدرها قسدرها ، وتاهت وباهت  
واغتدت واغتدت بخد بخد \*







## **الباب الثامن**

### **البلاغة العربية ومكانها من حركات التجديد**



## البلاغة من السكاكي الى العصر الحديث :

### - ١ -

ترك السكاكي ( - ٦٢٦ هـ ) كتابه « مفتاح العلوم » الذى شغل العلماء منه « القسم » الثالث ، والذى جعله قاصرا على البلاغة ، لكانه من التحديد ، والتنظيم ، والتقسيم ، والتبويب ، وتلاه بدر الدين بن مالك ( - ٦٨٦ هـ ) صاحب كتاب الصباح ( - ٧٢٩ هـ ) .

وجاء بعده الخطيب القزوينى صاحب كتابى : « الايضاح والتلخيص » ثم حمزة بن يحيى العلوى ( - ٧٤٩ هـ ) مؤلف كتاب « الطراز » ، وابن قيم الجوزية ( - ٧٥١ هـ ) صاحب كتاب الفوائد ، وغيرهم .

وجاءت مدرسة تلاميذ السكاكي من مثل : السعد ( - ٧٩١ هـ ) ، والسيد ( - ٨١٦ هـ ) والسبكي ، وابن يعقوب ، وغيرهم .

ثم جاء السيوطى صاحب « عقود الجمان » ، ( توفي عام ٩١١ هـ ) ، وقد اطلعت على كتاب مخطوط له فى البلاغة فى مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة .

وفى العصر الحديث نادى أمين الخولى ومحمد عرفة وعبد الله العلايلى وأحمد الشايب ، كما نادى آخرون معهم بالتجديد فى البحث البلاغى .

فذهب محمد عرفة الى وجوب فهم التراث فهما جيدا ، والى الاضافة عليه ، والتجديد فيه .

وذهب الخولى الى ان تقسيم البلاغة الى علوم ثلاثة هى المعانى والبيان والبديع لا طائل تحته ، ولا جدوى منه : والى ان البحث البلاغى يجب ان يشمل الكلمة والجملة والجملة والفقرة والقطعة الأدبية جميعا دون البحث عن الجملة او الجملتين فحسب ، كما ذهب الى ان طريقة العجم واصحاب الفلسفة فى البلاغة يجب اجتنابها ، ليقوم مكانها دراسات فنية تعتمد على الاحساس بالجمال والتعبير عنه ، وهذه الدراسات نجدها فى علم النفس الذى يجب ان يبحث فى اثره فى التعبير الادبى ، وفى دراسة الوجدان وعلاقته بمظاهر الشعور من ناحية العمل الفنى ، وفى الخيال والذاكرة والذوق والاحساس ، وتحدث فى كتابه فن القول عن مسائل كثيرة حول البلاغة ومشكلاتها ، وذهب الى ان فن القول يدور حول اقسام ثلاثة :

- ١ - المبادئ .      ٢ - المقدمات .      ٣ - البحوث .

والمبادئ لتعريفنا بفن القول وأهدافه وغاياته وصلته بغيره من الدراسات .

والمقدمات تدور حول دراسات علم النفس وغيره من حيث اتصال ذلك كله بالتعبير الأدبي .

والبحوث تسير في بحث الكلمة والجمله ، والفقرة ، والمقطعة .

ثم ندرس الأسلوب وأنواعه : من أسلوب فكاهي وتهكمي ورمزي وغير ذلك (١) .

ويذهب أحمد الشايب الى أن البلاغة يمكن حصرها في موضوعين رئيسيين ، هما : الأسلوب ، والفنون الأدبية .

ففي الفنون الأدبية ندرس مادة الكلام من حيث اختيارها وتقسيمها وتنسيقها ، وقواعد هذه الفنون : كالقصص والرسالة والمناظرة والتاريخ والمقالة والوصف ، وسوى ذلك .

وفي الأسلوب ندرس الكلمة والصورة والجمله والمعبارة وأنواع الأسلوب (٢) .

وينادي العلالي بأن يقتصر البيان على بحوث التشبيه والحقيقة والمجاز والكتابة .

وعلم المعاني عنده متصل بالأدب ويكتبه ، وكذلك البديع يدرس كما يدرس علم المعاني (٣) .

وهناك آراء أخرى تدعو الى التجديد البلاغي ، وتنادي به ، وترسم له طريقه (٤) ، ومن بينها آراء كثيرة للأستاذين : عبد المتعال الصعيدي (٥) ، وأحمد مصطفى المراغي (٦) ، رحمهما الله .

---

(١) راجع كتاب « فن القول » وكتاب « مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والآداب » المطبوع عام ١٩٦١ - بالقاهرة .

(٢) راجع كتاب « الأسلوب » للشايب .

(٣) راجع كتاب مقدمة لدرس لغة العرب للعلالي .

(٤) راجع مجلة الكتاب العراقية - عدد نيسان ١٩٦٢ - مقال للدكتور

أحمد مطلوب بعنوان « آراء في البلاغة العربية » .

(٥) راجع كتاب البلاغة العالية وتجديد البلاغة .

(٦) راجع كتاب بحوث وآراء في البلاغة .

## تيارات جديدة في البلاغة :

- ٩ -

البلاغة العربية لا تبدىء بعبد القاهر الذى وضع أصولها ، وابتكر بحوثها فى القرن الخامس الهجرى ( ٤١٢ - ٤٧١ هـ ) وألف فيها كتابيه الجديدين فى تاريخ الأدب والنقد والبيان العربى ، وهما : دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ؛ ولا تبدىء كذلك بالسكاكى الذى وضع اصطلاحاتها الفنية ، وقسمها الى علوم ثلاثة :

المعانى ، والبيان ، والبديع ... ووضع لكل علم منها بحوثه ومقوماته واصطلاحاته ، ومنذ توفي عام ٦٢٦ هـ حتى اليوم والبلاغة العربية عالة على كل شيء كتبه ، وكل اصطلاح سماه .

انما هى حركة فكرية بيانية تتحكم فيها تيارات عديدة :

١ - التيار العربى : وقد شرع له كثير من أئمة اللغة والأدب والنقد والبيان فى القرنين الثانى والثالث الهجرى ، وفى مقدمتهم أبو عمرو بن العلاء ( - ١٥٤ هـ ) والخليل بن أحمد ( - ١٧١ هـ ) والمفضل ( ١٧٨ هـ ) وخلف ١٨١ هـ وسيبويه ( - ١٨٩ هـ ) ، وأبو عبيدة ( - ٢٠٨ هـ ) والأصمعى ( - ٢١٦ هـ ) وابن سلام الجهمى ( ٢٢١ هـ ) وكان يمثل هذا التيار آراء موجزة مفرقة غير محددة فى أصول النقد والأدب والبيان ، وانضم اليها آراء كثيرة قبلت فى الشعر والشعراء ، منها : ما لوحظ على الفرزدق من قوة ومن تعقيد ، وما لوحظ على زهير من انتقاء التعقيد فى شعره ، وما لوحظ على جرير من عذوبة ورقة ، وما لوحظ على بشار من توليد ، وعلى أبى العتاهية من طبع ، وعلى مسلم من صنعة ، وما لوحظ على ذى الرمة مثلاً من أغراب ، وساند هذا التيار امام كبير من أئمة الأدب والبيان والتبيين ، وهو الجاحظ - ٢٥٥ هـ فى كتابيه ( البيان ) و ( الحيوان ) ، وغيرهما من روائع الآثار ، ثم أيد هذا التيار ابن قتيبة ( - ٢٧٦ هـ ) صاحب كتاب ( الشعر والشعراء ) وكتساب ( أدب الكاتب ) ، وإبراهيم بن المنبر صاحب ( الرسالة العذراء ) فى فن الكتابة والرسائل ، وقد ضمنها بعض موازين للنقد والبلاغة ، وأيده كذلك المبرد ( - ٢٨٥ هـ ) صاحب كتاب ( الكامل ) وكتاب ( المقتضب ) وغيرهما ، ثم ثعلب ( - ٢٩١ هـ ) صاحب كتاب ( قواعد الشعر ) وغيره ، ثم ابن المعتز الخليفة العباسى الشاعر ( - ٢٩٦ هـ ) ، وهو صاحب كتاب ( البديع ) المشهور الذى وضع فيه بعض اصطلاحات علمية للبلاغة ، وحدد هذه الاصطلاحات واستشهد لها بكثير من الشواهد والأمثلة ، وقد استمر هذا التيار متدفقا بعد القرن الثالث ، وظهر فى كتابات الأمدى ( - ٢٧٦ هـ ) فى كتابه المشهور ( الموازنة ) ،

والقاضي الجرجاني ( - ٣٩٢ هـ ) في كتابه ( الوساطة ) وغيرهما من أئمة الأدب  
والنقد : كالباقلائي صاحب كتاب ( اعجاز القرآن ) .

٢ - **التيار الأجنبي** : وقد شرع له في أوائل القرن الرابع الهجري  
قدامة بن جعفر ( - ٣٣٧ هـ ) في كتابه المشهور ( نقد الشعر ) الذي يظهر فيه  
التأثر بأراء أرسطو في الشعر ، وبالتيارات المترجمة من الأدب اليوناني القديم ،  
وكانت كتب أرسطو في الخطابة والشعر وفي غيرهما قد ترجمت في القرن  
الثالث الهجري ترجمات عربية ذاعت في كثير من بيئات العرب الثقافية ،  
وكتاب البرهان أو ( نقد النثر ) لابن وهب (١) ، وهذا الكتاب كذلك يطلعنا  
على تأثير التيار الأجنبي في نقد البيان العربي ودراسته .

ولقد تأثر بهذا التيار الأجنبي وبأراء قدامة في نقد الشعر ثلاثة من كبار  
أئمة النقد في الأدب العربي ، قالقوا كتباً مشهورة اصطنعوا فيها نفس منهج  
قدامة في النقد والبيان الذي سار عليه في كتابه نقد الشعر ، ولجأوا إلى  
اصطلاحاته ، وإلى نظرياته ، وإلى تفاصيل موضوعاته ، وإن خالفوه أحياناً  
في الشرح أو التعليق أو التطبيق أو في رأي من الآراء ، أو في الإيجاز حيناً  
واليسط والتفصيل حيناً آخر ، وهم :

( أ ) أبو هلال العسكري ( - ٣٩٥ هـ ) صاحب كتاب ( الصناعتين ) ،  
وهو امتداد تام لقدامة ومنهجه في النقد والبيان .

( ب ) الأمير ابن سنان الخفاجي ( - ٤٦٦ هـ ) صاحب كتاب ( سر  
الفصاحة ) الذي أتبع فيه كذلك نفس منهج قدامة ، مع ظهور شخصيته في  
الدراسة والبحث والعرض والاستنتاج .

( ج ) ابن رشيق ( - ٤٥٦ هـ ) صاحب كتاب ( العمدة ) الذي صنع صنيع  
أبي هلال والخفاجي في سلوك منهج قدامة العلمي في النقد والبحث ، وقد  
استمر منهج قدامة سائداً بعد هؤلاء النقاد حتى آل إلى حاتم والمسكاكي  
( - ٦٢٦ هـ ) .

٣ - **التيار المزيج** : وقد شرع له عبد القاهر الجرجاني ( - ٤٧١ هـ )  
الذي أفاد من آراء المدرستين المصنفيتين ، في النقد الأدبي ، فكتب فصولاً  
ومقالات ويحوثاً عن أصول البلاغة العربية وموازينها بروح ابتكارية نقدية

---

(١) راجع شرحي على كتاب الإيضاح في علوم البلاغة للغزويني . حيث  
نفيت نسبته لقدامة وأثبت نسبته لابن وهب .

عميقة ، وقد ضمن دراساته هذه كتابيه ( الدلائل والأسرار ) اللذين سبق أن اشرنا اليهما ٠٠ ويعد عبد القاهر امام ( البلاغة العربية ) ، من حيث أنه افاد من التيارات المختلفة في دراسة اصول البيان العربى ، وجدد فيها ، ومن حيث وضع مباحث علوم البلاغة ، وقتن لموضوعاتها ، وذلك صغوبات البحث فيها ، وشرح مناهج البحث ، ثم اتبع سبيله الرازى ( - ٦٠٦ هـ ) في كتابه ( دراية الاعجاز ) ، ثم السكاكى في كتابه ( المفتاح ) ، أو على الأصح في القسم الثالث منه الذى خصه بالبلاغة العربية ، وقد امتاز السكاكى بتحديد علوم البلاغة وموضوعات كل علم منها ، وتشريع جميع اصطلاحاتها ، وأنه جمع في كل مسألة آراء عبد القاهر المفرقة فجعلها دستوره وهيكلا البحث البلاغى حولها ، ولكنه مع ذلك اضاف الى عبد القاهر ما استطاع أن يضيف اليه من زيادات واصطلاحات ، ويمتاز السكاكى عموما بتعميده للبلاغة ، وبتعميده كذلك في دراستها ، فقد كان يحكم الأسلوب المنطقى في كل شيء ، فاتخذ من هذا الأسلوب وسيلة للبحث وتنظيم الدراسة ، ومن ثم ساد الأسلوب المنطقى الجدلى مباحث البلاغة العربية منذ ظهر السكاكى ، وقد اقتفاه في ذلك تلاميذه من مثل القزوينى ( - ٧٣٩ هـ ) والسعد ( - ٧٩١ هـ ) والمسيدي ( - ٨٦٦ هـ ) ، والعصام وغيرهم .

وقد ظل نهج هذه المدرسة سائدا في دراسة البلاغة حتى اليوم .

## - ٢ -

ومدارس البلاغة العربية اليوم ، تظهر في بيئات علمية عديدة كهيئة كليات الآداب في جامعاتنا ، وبيئة كلية اللغة العربية في الأزهر ، وتمتاز الاولى بظهور محاولات لتلقيح البلاغة العربية بالبلاغات الأوروبية ، نجد صداها فيما ألف الشايب في كتابه ( الأسلوب ) ، وفيما ألف الخولى في كتابه ( فن القول ) ، وفيما ألف طه حسين من كتب موجزة لمدارسنا ، وتمتاز الثانية ، بالتمعمق في دراسة البلاغة العربية وتصنيفها من الشواثب ومن الآراء المعقدة التى تسميت اليها ، وكتاب الايضاح للقزوينى على أية حال صورة لا تزال ذات اثر كبير في التفكير البلاغى عند مختلف البيئات البيانية في مصر والعالم العربى .

ولكن صدئ التجديد في دراسة البلاغة العربية ضعيف غاية الضعف قليل الجدوى غاية القلة ، متمثر في خطأ كل التمعن ، وكان الدرس البلاغى لا يعنى مصر والعالم العربى في قليل ولا فى كثير ، مع أن عالمنا العربى هو موطن المروية ، والأرض التى نزلت فيها معجزة القرآن الكريم واستمعت الى بلاغته .



وأحب القول بأنه يجب تغيير البلاغة العربية تغييرا كاملا شاملا :

( أ ) فيحذف ما نسميه علم المعاني والبديع ويحل محلها فن الأسلوب ، على أن تكون موضوعات بحث هذا العلم ، هي : صور التعبير البلاغي ، بلاغة الإيجاز ، بلاغة الانسحاب ، بلاغة القصر ، قوة الأسلوب وعذوبته ، أسلوب الالتفات ، أسلوب التجريد - الأسلوب الحكيم ، أسلوب الخبر ، أسلوب الانتشاء ، أسلوب التكرير ، الذوق البلاغي وأثره في الأسلوب ، الاستناد إلى الفاعل وغيره ، بلاغة الاستناد العقلي ، ثقافة الكاتب والأسلوب ، الطبع والصنعة ، ويدخل في الصنعة بعض الصور التي هي مباحث ما نسميه بعلم البديع .

( ب ) يحذف ما يسميه علم البيان ويحل محله ( فن الخيال البياني ) أو « الصور البيانية » ويشتمل هذا الفن على ما يلي :

الحقيقة والخيال .

الخيال في التشبيه - الخيال في الكناية - الخيال في الاستعارة - الخيال في حسن التعليل - الفكرة الفلسفية والتعبير - الخيال والمبالغة - حور الخيال في البيان العربي - التجديد في الخيال .

وإن أردنا اسما قديما لهذا الفن ، فما أحرانا أن نطلق عليه ( فن المعاني ) بدلا من فن البيان ، ونطلق على الفن السابق وهو فن الأسلوب اسم ( فن البيان ) .

( ج ) يحذف من البلاغة كل ما يتصل بالنحو العربي عن مثل : مباحث باب المسند وباب المسند إليه .

( د ) يحذف منها كل ما يتصل بالمنطق والفلسفة .

( هـ ) تختار أمثلة جديدة لشتى بحوث البلاغة من ناصع الأنبياء العربى ويلقيه في مختلف العصور وبخاصة مما يحفظه الطلاب من نصوص أدبية على أن توجد هذه النصوص في مختلف المدارس والمعاهد في العالم العربى للفرق المتساوية .

٢ - ينشأ درس للنقد البلاغى يدرس فيه شخصية الأديب وسمات أدبه ، وخصائصه الأسلوبية ، وتجديده البياني ، ومدى ما يشتمل عليه أرب الأديب من عاطفة وصديق وأثارة ، ومدى ما وصل اليه الأديب من تجديد في فنه البلاغى .

هذه خطوط عامة صغيرة لا يضيرنا أن نقول أنها قد تعد نواة لما ننشده من تجديد . . . .

## حول التجديد البلاغي :

- ١ -

التقد أو البلاغة العربية حديتان على نشأتها الأولى لجهود علماء اللغة والأدب ، ولثابرة الرواة والنقاد الباحثين في أصول البيان العربي ، مع الأثر الفذ الذي أحدثه الكتاب والشعراء والأدباء في القرن الثاني والثالث الهجري -

ولقد تلاحقت الثقافات ، واتصلت المعارف ، وتبدلت الأفكار ، في عواصم العلم والثقافة في العالم الاسلامي القديم ، على أيدي العرب الذين نبغوا في اللغات الأجنبية ، والموالي الذين حذقوا اللغة العربية وأجادوها ، والمترجمين الذين كانوا همزة الوصل بين الثقافات القديمة والثقافة العربية الاسلامية الاصيلية -

كان خلف لا يشق له غبار في صناعة النقد ، له نفاذه فيها وحذقه بها وأجادته لها \* (١) ، وكان أبو عبيدة يعجب من فطنة بشار وجودة قريحته وصحة نقده للشعر (٢) ، وكان خلف يعجب من نقده للشعر ومذاهبه (٣) ، وكان الجاحظ (٤) يرى أن بشاراً زعيم المولدين \* ثم جاء ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن المدبر وابن المعتز ، فكان لجهودهم أثر كبير في نشأة البلاغة ونمو البحث في أصول البيان -

ولا ننسى جهود طائفة أخرى من العلماء في إثارة البحوث البلاغية والتعليق عليها ، وتلك الطائفة هي جماعة العلماء الذين شغلوا بالبحث في أعجاز القرآن الكريم وتفهم أسرار هذا الإعجاز والتأليف فيه ، فكشفوا الكثير من غوامض البلاغة وأصولها ، ومن هؤلاء أبو عبيدة والجاحظ وسواهما من أئمة المعتزلة وقولها -

---

(١) ١/١٩٧ الممعة

(٢) ٢٠٧ طبقات ابن سلام

(٣) ٢/٢٢ الأغاني

(٤) ١/٩١ الممعة

وعلى أيدي قدامة وأبي هلال والآمدى والقاضى والجرجاني وغيرهم من  
افئذان النقد فى القرن الرابع الهجرى ، نرى البحث البلاغى ينمو ويقوى  
ويزدهر ، ثم تلاهم الباقلانى وابن سنان وابن رشيق من علماء النقد والبيان .

ولقد لمعت عبقرية عبد القاهر الجرجانى المتوفى عام ٤٧١ هـ فى هذا  
المعهد ، وكان مظهر هذه العبقرية اللامعة كتابان جليلان الفهما قبل وفاته بقليل  
هما : ( دلائل الاعجاز ) و ( أسرار البلاغة ) اللذان يعدان حتى اليوم أصلاً  
ضخماً من أصول البيان وبحوث البلاغة والنقد والموازنة .

وبعد عبد القاهر انطفأ السراج ، ونزل العود ، وأصبحت الأنواق بالعي  
والعجز ، كما أصبحت البلاغة بالتأخر والاضمحلال . وبعد نحو قرن ونصف  
قرن ظهر فجأة السكاكى بمقاليته المنطقية ونوqe الأعجمى ، فأحال البلاغة الى  
جدل عقيم فى الألفاظ والأساليب ، وإلى قواعد جافة لا صلة لها بالذوق ولا  
بالحياة ، وكثر تلاميذ السكاكى ، وانتشر مذهبه فى البلاغة الذى يمثل القسم  
الثالث من كتابه ( المفتاح ) ، والذى عنى فيه مؤلفه بالقشور لا باللباب ،  
وبالتوافه لا بالحقائق ، ولاتزال دراستنا للبلاغة حتى اليوم قائمة على أصول  
مذهب السكاكى وتلاميذه وحدهم دون سواهم .

## - ٢ -

ولقد نهض جماعة من أدبائنا يدعون إلى التجديد فى البلاغة ، فمن قائل :  
إن الكتب القديمة يجب أن تحل محلها كتب أخرى مؤلفة على النهج الحديث ،  
ومن دعاة إلى تلقيح البلاغة العربية بأصول الدراسات البلاغية فى شتى  
اللغات الحديثة الأوروبية ، ومن تأهجين مناهج الغرب فى بحث أسرار البلاغة  
وأصولها ، ومن منادين إلى مذاهب البلاغيين القدماء : من أمثال عبد القاهر  
وقدامة وأبي هلال .

وهكذا تعددت الآراء ، وتخاصمت الأفكار ، فى التجديد فى البلاغة ،  
وبيان كيف يكون هذا التجديد ، على أن اتواق علمائنا المعاصرين وأدبائنا  
المشهورين لا تكاد تساعد على الوصول إلى هدف أو غاية ينشدهما المشفقون  
على البلاغة العربية اليوم ، والذين يحاولون التجديد فيها يكتفون بنقل أفكار  
الغربيين دون فهم أو يقظة فكرية أو المام ما يثرائنا القديم الخالد فى البلاغة  
والبيان والنقد .

عرض عبد القاهر الجرجانى للحذف ومكانه من البلاغة دون أن يبين  
سبب هذا الحذف والإحسان ، وصر هذا الجمال البيانى الأخاذ ، وبذهب

السكاكي والخطيب وتلاميذهم الى ان الحذف في موضعه كالذكر في موضعه ، لكل مكانه من البلاغة ، ومثله من سحر البيان ، وأبوا أن يكون للحذف مزية على الذكر بل هما يحصلان البلاغة ويوجدانها ، ثم عللوا الحذف بعلم متكلفة لا صلة بينها وبين أحكام الذوق الأدبي السليم .

ولكن الدراسة التي نشرت في مجلة الأزهر - عند ربيع الأول ١٢٧٢ هـ - بعنوان « علوم البلاغة في الميزان » ، والتي اتجه فيها الكاتب الى إثارة الملكات ، وتنشيط الأفكار ، وتحريض الأذهان على النظر والبحث والنقد والاستنتاج والكشف ، وجفرت الهمم للبحث والابتكار ، هي محاولة مجدية قوية في سبيل التجديد البلاغي ، وأول ذلك الأسرار البلاغية الدقيقة للحذف ، ومحاولة الكشف عنها .

ويحاول الباحث أن يعلل سر جمال الحذف وبلاغته بأسباب نفسية وأمور بيانية ، منها الهجوم بالسماع على المطلوب دفعة ، والجسدة التي نراها في أسلوب الحذف ، ومنها أن المحذوف تدل عليه القرائن ، فإذا ذكر كان ثقيلًا في موضعه لأنه تعريف لما عرف وبيان لما بين ، فيربط بذلك بين البلاغة وأحكام الذوق وأسرار البيان وملكات النفس الانسانية .

ومن البحوث التي أثارها هذا البحث أسلوب التجريد ، وتحليل ألوان جماله وسر هذا الجمال ، بعيدا عن تكلف القدماء وتأويلهم .

وكذلك عرض لأسلوب : رأيت اليوم حاتما ولقيت حاردا وسمعت سحبا وما أشبه ذلك ، مما أوله البلاغيون فجعلوا حاتما هنا كأنه موضوع للجواد ، فانتزعوه من معناه وهو « العلمية على الرجل المعسوف من طيء » ، ويبدأ التأويل يكون حاتم متناولا للفرد المتعارف المعهود والفرد غير المتعارف ، وهو من يتصف بالجود ، فيصير استعماله في غير المتعارف استعمالا في غير ما وضع له فيكون عندهم استعارة .

والأستاذ محمد عرفة يبحث ذلك كله ويناقشه وينقده ، ويحاول الوصول الى الصواب في أمره ، حيث يرى أن المراد هنا تشبيه هذا الكريم بحاتم في جوده ، فحاتم ياق على معناه دون تغيير أو تبديل .

إن القديم ليس كله صوابا ، وليس كله خطأ ، بل فيه الصواب ، وفيه الخطأ ، وفيه سوى ذلك ألوان من القصور العلمي الذي يجب ملافاته ، فما أجدرنا بتجديد البحث والدراسة في أصول بلاغتنا ، وفي مذاهب البيان وأسرارها .



## خاتمة الكتاب

هذا الكتاب يمثل منهجا جديدا قبل أن يمثل بحثا علميا حول أساليب البلاغة وفي الامكان أن نضيف اليه في الطباعات التالية الزيادات العلمية المتعلقة بكل باب من ابواب البلاغة التي ذكرناها هنا في ايجاز شديد حتى تعطى الصورة كاملة والمنهج واضحا ، والخطة ظاهرة في عمومها وايجازها .

ولا ريب أن ما يثيره هذا الكتاب من بحث ، وما يوضحه من منهج ، كفيلا بأن يخطط للبلاغة العربية طريقها الجديد المأمون العثار ، الذي نرجو أن تسلكه في ضوء متغيرات العصر ، وتجديدات الفكر المراهن ، وثورة الاتصال بال جماهير التي تجعل من العالم أشبه ما يكون بقسرية اليكترونية صغيرة ، حيث بلغ التواصل الانساني أقصى مداه ، الأمر الذي يقتضى ضرورة البحث عن بلاغة جديدة ، تعبر عن هذا العصر بكل ألوانه ومتغيراته .

ولا نملك الا أن نقول ان الشباب المعاصرين سوف يفهمون على ضوء هذا المنهج البلاغة العربية فهما أعمق ، ينبع من الأصالة والمعاصرة والرغبة في التجديد والتعبير عن مقتضيات التطور نحو بلاغة جديدة .

المؤلفان

### من مصادر البحث

- ١ - الايضاح فى البلاغة للقرظيى - ط بيروت - جزآن ١٩٧٠ .
- ٢ - استمرار البلاغة للجرجاني - تحقيق خفاجى - مكتبة القاهرة .
- ٣ - دلائل الاعجاز للجرجاني - تحقيق خفاجى - مكتبة القاهرة .
- ٤ - الوساطة لعلى بن عبيد العزيز - طبعة صيدا - لبنان .
- ٥ - العمدة لابن رشيق - تحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد .
- ٦ - فحولة الشعراء للاصمعى - القاهرة - ١٩٥٣ .
- ٧ - نقد الشعر لقدامة - نشر مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٨ .
- ٨ - قواعد الشعر للشعلب - طبع مكتبة مصطفى الحلبي - ١٩٤٨ .
- ٩ - طبقات النحويين البصريين للسيرافى - مكتبة الحلبي ١٩٤٨ .
- ١٠ - البديع لابن المعتز - مكتبة الحلبي ١٩٤٦ .
- ١١ - سر الفصاحة لابن منان الخفاجى - مكتبة الخانجي ١٩٣١ .
- ١٢ - البيان والتبيين للجاحظ - تحقيق السندوبى - نشر التجارية .
- ١٣ - فن القول - الخولى - القاهرة ١٩٥٦ .
- ١٤ - البلاغة العصرية - سلامة موسى .
- ١٥ - البلاغة العربية فى دور نشأتها - سيد نوفل - القاهرة .
- ١٦ - الشعر المعاصر على ضوء الشعر الحديث - مصطفى السحرى - القاهرة ١٩٤٨ .
- ١٧ - النقد العربى الحديث ومذاهبه - خفاجى - مكتبة الكليات الأزهرية ١٩٧٦ .
- ١٨ - تحرير التعبير لابن أبى الاصبغ - تحقيق حطفى شرف - المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .
- ١٩ - المثل المسائر لابن الاثير - د . طيبانة ، و د . الحوفى - مكتبة مصر - الفجالة .

- ٢٠- عيار الشعر لابن طباطبا - تحقيق محمد زغلول سلام - ١٩٥٦ \*
- ٢١- البلاغة تطور وتاريخ - د \* شوقي ضيف - دار المعارف بالقاهرة
- ٢٢- الأسس الفنية للنقد الأدبي - د \* عبد الحميد يونس - دار المعرفة \*
- ٢٣- في النقد الأدبي - د \* شوقي ضيف - دار المعارف \*
- ٢٤- الاعلام والاتصال بالجماهير - د \* ابراهيم امام - مكتبة الأنجلو المصرية \*
- ٢٥- الأسس العلمية لنظريات الاعلام - د \* جيهان شتى - دار الفكر العربي \*
- ٢٦- المدخل الى وسائل الاعلام - د \* عبد العزيز شرف - دار الكتاب اللبناني - القاهرة \*
- ٢٧- في اللغة والأدب - د \* ابراهيم بيومي مدكور - دار المعارف ( سلسلة اقرأ ) \*

## فهرست الكتاب

صفحة	الموضوع
٣	مقدمة . . . . .
٢٧ — ٤٤	الباب الأول : علوم البلاغة العربية — لماذا وضعت . . . . .
٢٩	تاريخ الفكر البياني . . . . .
٣٢	أهمية دراسة البلاغة . . . . .
٣٢	التأليف في البلاغة . . . . .
٣٤	أوائل البلاغيين . . . . .
٣٥	جهود النقاد . . . . .
٣٥	أول مؤلف في البلاغة . . . . .
٣٦	مدارس بلاغية . . . . .
٣٧	تراجم لشيوخ البلاغة . . . . .
٤٥ — ٨٤	الباب الثاني : الفصاحة — البلاغة — نحو بلاغة جديدة . . . . .
٤٧	الفصاحة : فصاحة المفرد . . . . .
٥٠	— فصاحة الكلام . . . . .
٥٢	— فصاحة المتكلم . . . . .
٥٢	— معنى البلاغة . . . . .
٥٧	— نحو بلاغة جديدة . . . . .
٨٦	مطالب البلاغة الجديدة . . . . .
٨٥ — ١٠٤	الباب الثالث : البلاغة في نظرية الاعلام . . . . .
٨٧	البلاغة في نظرية الاعلام . . . . .



الموضوع	صفحة
صلية الاتصال بالجماهير . . . . .	٨٩
الوظائف البلاغية ومستويات التعبير . . . . .	٩٦
انواع الاتصال الانساني . . . . .	٩٧
بلاغة الكلام : الرسالة الرمزية . . . . .	١٠٢
بلاغة المتكلم - مراتب البلاغة . . . . .	١٠٣
بين الفصاحة والبلاغة . . . . .	١٠٤
الباب الرابع : علوم البلاغة . . . . .	١٠٥ - ١٢٢
علوم بلاغية . . . . .	١٠٧
شواهد لطابقة الكلام لمقتضى الحال . . . . .	١٠٧
شواهد للكلام البليغ . . . . .	١٠٨
وسائل الاعلام امتدادات بلاغية . . . . .	١١٧
آراء ماثورة فى البلاغة . . . . .	١١٢
الباب الخامس : علم المعانى فى البلاغة العربية . . . . .	١٢٢ - ١٢٦
بحوث علم المعانى . . . . .	١٢٥
الخبر والانشاء . . . . .	١٢٦
أحوال الاسماء الخبرى . . . . .	١٢٧
أغراض الخبر . . . . .	١٢٨
المجاز العقلى . . . . .	١٣٠
المستند اليه . . . . .	١٣١
المستند . . . . .	١٣٢
متعلقات الفعل - أسلوب القصر . . . . .	١٣٣
الفصل والوصل - الإيجاز والاطناب والمساواة . . . . .	١٣٤

الموضوع	صفحة
الباب السادس : البيان	١٣٧ - ١٥٦
البيان	١٣٩
بحوث علم البيان	١٤٢
التشبيه	١٤٣
المجاز - المجاز المرسل	١٥٠
الاستعارة	١٦٣
الكنية	١٥٣
الفروق بين التشبيه والمجاز والكنية	١٥٦
الباب السابع : البديع	١٥٧ - ١٧٣
— البديع واتسمامه	١٥٩
— المحسنات اللفظية	١٦٠
— المحسنات المعنوية	١٦٤
مقاييس تحسين المحسنات البديعية	١٧٢
الباب الثامن : البلاغة العربية ومكانها من حركات التجديد	١٧٥ - ١٨٤
الخاتمة	١٨٦

